

أغاثا كريستي



تَحْرِيَّاتُ بَاذْكِرْ بَايْنِ

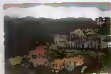
مجموعة قصص قصيرة



الأجيال
للمسرح والسينما



Agatha Christie



Parker Pyne
Investigates

تَحْرِيَّاتِ بارُكِرْ بَايْنِ

أُحِبُّتِ السَّيِّدَةَ بَالْيَاسِ وَالْأَسْرَ، وَلَكِنْ
حَيَاتُهَا أَتَقَلَّبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ بَعْدَمَا
فُرِغَتْ فِي الصَّحْفَةِ إِعْلَانًا بِقَوْلِ -أَهْلٍ
لَسْتُ سَعِيدٌ؟ إِنْ لَمْ تُكُنْ كَذَلِكَ فَعَلَيْكَ
بِاسْتِثْنَاءِ السَّيِّدِ بَارُكِرْ بَايْنِ!-

مَنْ هُوَ السَّيِّدُ بَارُكِرْ بَايْنِ الَّذِي يَسْتَشِيرُهُ
الْيَاسُونُ مِنْ أَصْحَابِ التَّشْكِلاتِ؟

إِنَّهُ أَهْلُ الدِّمَاقِي وَرِجَالُ التَّحْرِيقِ عَنِ
الْمَلُوكِ، وَلَكِنَّهُ -بِالْيَاسِ- الْأَكْبَرُ ثَلَاثًا
وَنُصْحًا وَهَرَابًا!

رواية جديدة عن روايات الكتابة المعلقة
التي تُعَدُّ أعظم مزاولة في التاريخ من
حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من
مئتي -بلا حُدودٍ- أشهر من كتب
قصص الجريمة في القرن العشرين وهي
سائر المصنوع. وقد تُرجمت رواياتها إلى
معظم اللغات الحية، وقام به عدد من
طبع منها ألفي مليون نسخة!



ورقم هذه الرواية حسب ترتيب
صدور الروايات بالإنجليزية

قضية الجندي المتيم

تردد المبحر ويلبراهام خارج باب مكتب السيد باركر باين
ليقرأ، كما قرأ عموماً من قبل، الإعلان الذي قرأه في صحيفة الصباح
والذي أحضره إلى هنا. كان إعلاناً بسيطاً نوعاً ما: 'هل أنت سعيد؟ إن
لم تكن سعيداً فاستشر السيد باركر باين، ١٧ شارع ريتشموند'.

سحب المبحر نفساً عميقاً ودخل من الباب الدوار المؤدي
إلى المكتبة الخارجية، فوجدت فتاة دعيمة تصرخها عن آلة الطابعة
ونظرت إليه مسائلة.

قال المبحر ويلبراهام وقد احمر وجهه: مكتب السيد باركر
باين؟

- تفضل من هنا رجاء.

ثمها إلى مكتب داخلي... إلى حضرة السيد الهادي باركر
باين، الذي يادوه قاتلاً: صباح الخير. هل لك أن تفضل بالجلوس؟
والآن، قل لي ما الذي يمكنك أن تعمله من أجلك.

بدأ الرجل حديثه: اسمي هو ويلبراهام...

- مبحر؟ أم كورنوليل؟

- بلى مبحر.

- أما وقد حدثت مؤخرًا من الخارج الهند؟ أم شرق أفريقيا؟

- بل شرق أفريقيا.

- أظن أنها مكانًا رائعًا، حسنًا، لقد حدثت نوبة إلى الوطن إذن، وأنت عبر مراتح لذلك، أليس هذه هي المشكلة؟

- أنت نحق تمامًا، مع أنني لا أعرف كيف عرفت

لروح السيد ماركو بلين بيد مؤثرة وقال: إن عملي هو أن أعرف، قلعة خمسة وثلاثين عامًا من حياتي كنت أعمل في جمع الإحصائيات في مكتب حكومي. وقد تقاعدت الآن، وعطرت لي أن أستخدم الخبرة التي حصلت عليها بطريقة مبتكرة - والأمر كله بسيط جدًا. أؤكد لك أن النعاسة يمكن تصبها تحت خمسة عاوين كبيرة، لا أكثر، وبمجرد أن تعرف سبب المرض، ذا يعود العلاج مستحيلًا.

إنني أقوم مقام الطبيب، والطبيب يشخص علة مريضه أولاً، ثم يصف طريقة علاج. وهناك حالات لا يكون فيها العلاج ذا فائدة، وإذا كان الأمر كذلك، فترى أقول - بصراحة - إنني لا أستطيع فعل شيء، أما إن توليت القضية فإن العلاج يكون مضموناً عملياً.

إن يوصي أن أؤكد لك - يا هيجر ويلبرهام - أن سنة ونصف بالمتة هي ثمة الإمبراطورية (كما أستطيع) نساء، إنهم يتخلون عن حياة نشيطة، حياة مليئة بالمسؤولية، حياة ذات أبعاد متحملة، يتخلون عنها مقابل - ماذا؟ مقابل فقر، وطفس سي، وشعور عام بأنهم كالسمكة خارج الماء.

قال المبحر كل ما قلته صحيح، إذ ما أشكره من هو المثل،

المثل والكلام الله الذي لا يشي حول ضلوع القرية. ولكن ما الذي أستطيع فعله إزاء ذلك؟ لدي مبلغ صغير من المال بالإضافة إلى واثني التقاعدي، ولدي بيت صغير رائع قرب كويهم، ولست متزوجاً، وجيراني جميعهم طيبون، ولكن ليست لديهم اهتمامات ذات شأن.

- خلاصة القول أنك تجد الحياة مملة

- مملة جداً.

- وأنت ترعب بالمتة، وبيدا بالخطر؟

رفع العسكري كتفه بلا مبالاة وقال: لا وجود لشيء من هذا في هذا البلد القبيح.

قال السيد ماركو بلين بحدة اعلموني، ولكنك مخطئ في هذا؛ إذ يوجد الكثير من الخطر والكثير من التشويق هنا في لندن إن عرف المرء أين يطلبه. أنت لم تر إلا السطح من حياتنا الإنكليزية السطح الهادئ المسطح. ولكن يوجد جانب آخر، وإن كنت ترغب فإن يوصي أن أريك ذلك الجانب الآخر.

نظر إليه الميجر ويلبرهام متأملاً. كان في السيد ماركو بلين شيء يبعث على الاهتمام، كان وجلاً صمخاً، ماهيك من سمته، وكان ذا رأس أصلع صمخ، وبصع نظارات سمينة فوق عينيه تقني نرمنان باستمرار. وكان له جوف عظمي اندياعاً بأنه ممن يُعتد عليهم.

مضى السيد ماركو مان قاتلاً غير أن علمي أن أسعدك من أن في الأمر حصر محاررة.

التمعت عينها المسكري وقالت: "لا بأس بذلك". ثم قال ساراً:
والعائد؟

- اتعاني هي حصون حبيبةً قد دفع مقدماً وحلال شهره إذا ما
بقيت في نفس الحالة من الملل سأعيد إليك المبلغ.

فكر ويلهام قليلاً ثم قال أخيراً: عرضي مُصغف. موافق
سأعطيكَ شيكاً الآن.

وهكذا أبرمت الصفقة، وضع السيد باركر ما بين يديه جرس
على طاولته وقال: الساعة الآن الواحدة، وسأطلب منك أن تأخذ
شايًا لتناول الغداء.

فتح الباب فدخل السيد باركر ما بين يديه، عزيزتي مادلين! دعيني
أعزفك على البيانو ويلهام الذي سيصحبك إلى الغداء.
قال المجر، يسرني ذلك.

قال السيد باركر ما بين يديه الأمانة دي سارا.

تمت مادلين «دي سارا» هذا تطف بالتحك.

قال السيد باركر ما بين يديه مخاطباً المجر: لدي عنوانك هنا،
وستسلم عدداً تعليمات إضافية سي.

كانت الساعة الثالثة عندما عادت مادلين. رفع السيد باركر ما بين
بصره وسأل: حسناً، ماذا جرى؟

هزت مادلين رأسها وقالت: لقد خاف مني، فقد ظن أنني
أستهدف استقلاله.

- هذا ما توقعت. هل تَقْدِرِ تعليلي؟

- نعم، لقد أخذنا واحداً في التعليق على من كان حولنا في
المطعم، إن النوع الذي يحبه هو انشراء قات العيش الزرقاوين مع
شيء من الشحوب، دون أن تكون بافغة الطول.

- يُفترض أن يكون هذا سهلاً. أعطيني الحطة «ب» لأرى ما
لدينا من محاولات في الوقت الراهن.

وعزّو إصبعه نزولاً على إحدى القوائم حتى أوقفها أخيراً على
اسم وقال: "فريدا كليج". نعم، أظن أن فريدا مستوم بالمهمة بشكل
رائع! ثم أضاف قائلاً بشيء من التأمل: "يُستحسن أن أرى السيدة
أوليفر بخصوص الأمر".

في اليوم التالي تلقى المجر رسالة جاء فيها:

في الساعة الثامنة من يوم الإثنين القادم ادع إلى المنزل رقم
٨٩ شارع هاريز لين، هامبستد، وسأل عن السيد جوتز. وسوف
تقدم نفسك بأعذارك قادمًا من شركة غوالا لشحن.

اتطلق المجر يوم الإثنين الذي تلا ذلك (وكان يوم عطلة)

فأصداً ذلك الموان في هامبستد. وأقول إنه اعطى، ولكنه لم يصل إلى هناك أبداً، إذ حدث شيء قبل أن يصل إلى هناك.

بدأ أن العالم كله كان في طريقه إلى هامبستد. وقد علق الميجر ويلبراهام ضمن حشده، وكاد الأرواحام في قمار الألفاق أن يهتفه. ووجد صعوبة في العثور على المكان كان فراتراً بين شارعاً متلفاً مهملًا تملؤه السمك، على حايه بيوت تبعدت قليلاً عن الطريق إلى الخلف. كانت بيوتاً كبيرة شهدت فيها مضي أياماً لفصل من أيامها هذه، إلا أنها باتت حرة الآن.

عنى ويلبراهام في الشارع يحدق النظر إلى لوحات الأرقام التي أوشكت أن تنسخي عن بوابات البيوت، وفجأة سمع شيئاً جعله يتصلب بكل انتباه. كان الصوت أقرب إلى الفخرخرة ١٤ صوت صيحة صلف مخوفة ثم سمع الصوت ثانية، ولكنه في هذه المرة كاد يشبه كلمة «التحفة»، وقد جاء الصوت من داخل البيت الذي كان يمر أمامه.

ودون أية لحظة تردد دلف الميجر ويلبراهام بوابة البيت المتعلمة وتسلل من دون صوت عبر الممشى المقفل بالأغصان، وهناك بين الشجيرات، كانت فتاة تكافح وهي في قصة حملتين من الزنوج. كانت تبني بلاء حسناً في مقاومتها وتقارم وتضرب بقدميها، وكان أحد الزنوجين يكتم قمها يده وهم يحاولان المستمينة لتخليص رأسها.

وبما أن الرجلين كانا مصيرين إلى صراعهما مع الفتاة فإلهما لم يشبها تقدم ويلبراهام، وكان أول انتباههما لذلك عندما رجه الميجر لكفة عيفة لفك الرجل الممسك بقم الفتاة مما جعله يتراجع إلى

الحلف. وقام الثاني، وقد أخذته المفاجأة، بترك الفتاة والانتفات ولكن ويلبراهام كان صاعداً له فعاوجه بكلمة أخرى جعلته يتراجع ويستعد ثم التفت الميجر إلى الرجل الآخر الذي كان يقترب منه

ولكن الرجلين نالا نصيبهما. فخرج الرجل الثاني وجلس ثم نهض والتدفع باتجاه البوابة ولحق به صاحبه سريعاً وانطلق الميجر خلفهما، ثم غير رأيه والتفت إلى الفتاة التي كانت متكئة على شجرة وهي تلهت.

قالت لاهمة: آه، شكراً لك! كان ذلك عظيماً.

رأى الميجر ويلبراهام للمرة الأولى الفتاة التي أنقذها من حصص المصادفة. كانت في نحو الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين من عمرها، شقراء ورفاه العينين، جميلة مع شيء من الشحوب في وجهها

شعرت قائلة لو لم تأت!

قال الميجر ثمناً: هيا، هيا، لا بأس الآن. ولكن أظن أن من الأفضل أن نخرج من هنا، فمن الممكن أن يعود هذان الرجلان.

ارتسمت على شفهي الفتاة إهانة خفيفة وقالت: لا أشكها سجدوا... ليس بعدما لقياء منك. لقد كان ذلك رائعاً مثلك!

احمر وجه الميجر أمام حراوة نظرة الإهانة في عينيها وقال بانينيك: لا يوجد ما يستحق ذلك. إنه أمر طبيعي تماماً... عندما تتم مضايقة سيده. سمعي، هل تستطيعين السير إذا اتكأتي على ذراعي؟ أعرف أنها كانت صدمة شديدة عليك.

- إنني بخير الآن.

ومع ذلك فقد انكبت على الذراع التي ثبّتت لها. كانت ما تزال مضطربة قليلاً، ونظرت خلفها إلى البيت وهما يخرجان من البوابة وقالت. لا يمكنني تخيل ذلك من الواضح أن هذا البيت حالي.

والقها المبحر وهو ينظر إلى المائدة المحملة والبلى الذي لحق بالبيت إنه غالي بالتأكيد.

قالت وهي تشير إلى اسم كاذب يلصق عند البوابة: ومع ذلك فهو منزل وايت برايرز، وهو المكان الذي يفترض أن أتى إليه.

- لا تقلقي تجاه أي شيء الآن. بعد لحظات سيكون بوسعنا استئجار سيارة أجرة، وعندما سذهب إلى مكان ما ونشرب فنجان قهوة.

وعند نهاية الرفاق خرجا إلى شارع أكثر حركة. ولحسن حظهما كانت سيارة أجرة قد أزيلت لتوها وراكباً عند أحد البيوت. لُوح لها ويلهراهم، ثم أعطى السائق عنواناً وصعدا السيارة.

قال لرفيقته لا نحاولي الكلام، تملدي فقط. لقد تعرضت لثبرة فظيعة.

انقسمت له بامتنان، فقال: بالمناسبة اسمي ويلهراهم.

- اسمي كليغ .. فريدا كليغ.

بعد عشر دقائق كانت فريدا كليغ تحتسي قهوة حارة وتنتظر عبر الطاولة الصغيرة إلى مقفها بامتنان. قالت. يبدو الأمر أشبه بالحلم، بل بالحلم السيء.

ارتعدت ثم أضافت: وقبل فترة قصيرة فقط كنت أتوق إلى حدوث شيء... أي شيء! آه، إنني لا أحب المفارقات.

- التبريني كيف حدث ذلك.

- حسناً، حتى أصبحك بشكل جيد سيعين عليّ أن أتحدث كثيراً عن نفسي.

قال المبحر وهو يتحني: وهو موضوع ممتاز.

- أنا يتيمة. مات والدي (وكان فيلقاً بحرياً) عندما كنت في الثالثة من عمري، وتربيت أمي قبل ثلاث سنوات. وأنا أعمل في المدينة. موفقة في شركة للغاز. في إحدى أسيات الأسبوع الماضي وجدت رجلاً ينتظر ليرائي عندما عدت إلى بيتي وكان معاهياً يدعى الميبل ويد من ملوون.

وقد كان مؤدماً جداً وسألني عدة أسئلة عن عائلتي. وقد شرح قائلاً إنه عرف والدي قبل سنوات كثيرة. بل إنه قام بتتبع صفقة لتزويجه له، ثم أسهرني بسبب زيارته فقال: ألتصق بك، إن لدي أسباباً تدعيني للاعتقاد بأنك قد تستفيد من صفقة مالية اشترك فيها أبوك قبل وفاته بسنوات عديدة. وقد فُحصت كثيراً بالطبع، ولكنه مضمي قائلاً: من غير المحتمل أن تكوني قد سمعت بهذه القصبة أبداً. وأحسب أن جون كليغ لم يأخذ تلك الصفقة على محمل الجد أبداً. وقد تحققت على غير توقع. ولكنني أخشى أن تعتمد أية معاملة لتقدمتها على امتلاكك أرواقاً معينة. ويحتمل أن تكون هذه الأوراق جزءاً من تركته والدك. ومن الممكن -طبعاً- أن تكون قد أُلغيت باعتبارها غير ذات قيمة. فهل احصلت بأي من الأوراق؟

شرحت له أن والدتي قد احتفظت بالعديد من أغراض والدي في صندوق قديم، وأني قد بحثت فيه على سجل ولكن لم أكتشف شيئاً ذا أهمية، فقال لي وهو يشتم: لا يكاد يكون من المرجح أن تدركي أهمية تلك الوثائق.

عدها فست قد بحثت إلى الصندوق فأخرجت منه الأوراق الغليظة التي يحتويها وجئت بها إلي. نظر إلى الأوراق، ولكنه قال إنه من المستحيل أن يستطيع الجزم فوراً بما هو مرتبط منها بالقضية وما هو غير مرتبط، وقال إنه سيأخذها معه ويتصل بي إل جدي شي. وفي البريد المسائي ليوم السبت تلقت منه رسالة يشرح فيها علي أن أتى إلى بيته لمناقشة القضية، وقد أعطاني العنوان؛ منزل وايت هرايز، بشوارع فرايز لين، في هينستد. علي أن أكون هناك في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم.

وقد تأخرت قليلاً في التمرور على المكان، ودخلت الوابطة بسرعة واتجهت صوب البيت حيث فزع هناك الرجلان المطيعان لحاج علي من بين الأشخاص. ولم يتج لي من الوقت ما أسرح معه، ولكنني خلصت رأسي بصعوبة وصرخت، فقام أحدهما بوضع يده على فمي وحلّمت رأسي ثانية وصرخت طالبة النجدة، ولحسن الحظ أنك سمعتني، ولولاك...

ثم توقفت، وكانت عيناهما أفصح من أي كلام.

- إنني معبد جداً لمصادفة وجودي في ذلك المكان بالضبط، وإني لأتمنى أن أسكن بهذين الوحشين. هل رأيتهما من قبل؟ مزمت رأسي باللفظ وقالت: ما معنى ذلك مرأيتك؟

- من الصعب الحزم، ولكن يبدو شي، واحد مؤكداً بوجود شي، ما بين أوراق أبوك، وأحدهم يريد. لقد أخبرك هذا الرجل، ريد، بقصة ملققة بحيث يحصل على فرصة تفتيش الوثائق، والواضح أن ما أراده لم يكن هناك.

- آه، حجباً عندما عدت إلى البيت يوم السبت ظننت أن أحدهم قد عثب بأغراضي، والصرخة أنني شككت بأن صاحبة البيت فتشت عهدي بدافع الفضول، ولكن الآن...

- نفي بما أقوله، لذلك هي المسألة لقد استطاع أحدهم دخول غرفتك وقام بتفتيشها دون أن يحد منها، وقد شكك بأهلك تعرفين قيمة تلك الورقة كائناتاً ما كانت وأنتك تحملتها معك دوماً، وهكذا غطط لهذا الكمين. فإذا رجذمت معك أحضرها، وإن لم توجد احتفظوا بك سجنية حتى تخبرهم بمكانها.

صاحت فرديداً: ولكن ما عساهما تكون؟

- لا أدري، ولكنها شئنا جداً بالنسبة له دون شك، حتى يبلغ به الأمر القيام بكل ذلك.

- لا يبدو هذا ممكناً.

- أه، لا أدري. لقد كان والدك محارراً، وقد سافر إلى أماكن بعيدة ثانية، ربما عثر على شي. لم يدرك ثبته أبداً.

ظهرت حمرة الاتعمال على وجهي اللثة وقائت: أظن ذلك حقاً؟

- نعم، بالتأكيد. المسألة هي: «ما الذي سيقوله الآن؟»
لا أحسبك تريد أن اللجوء للشرطة؟

- آه، لا أريد ذلك رجاء.

- يسعدني أن تقول ذلك؟ غانا لا أرى ما يمكن أن يفعله
الشرطة، ونحن يجب لك ذلك إلا المضايقة. أقترح الآن أن نسمحي
لي بأن أذهبك إلى الغذاء، ثم أرافقك إلى بيتك لأضمن وصولك
بأمان إلى هناك. وبعدها يمكننا أن نبحث عن الورقة لأنها ينبغي أن
تكون موجودة في مكان ما

- ربما يكون والدي نفسه قد أكلها.

- هذا ممكن بالطبع، ولكن الظروف الأخرى لا يبدو متعاضداً
بذلك، وهذا يحمل لنا بعض الأمل.

- ماذا نظنها نكون؟ كثيراً مدغونا؟

هاتف الميجر وقد استيقظت فيه مشاعر المعارفة لهذا الاقتراح.
قد تكون كذلك! ولكن هيا الآن إلى الغذاء يا آسة كايك

تناولا وجبة رائعة معاً، وروى الميجر لها كل شيء من حياته
في شرق أفريقيا وأصفا لها سيد العائلة، بحيث آثار متنها، وعندما
فرغا من طعامهما أصر على أخذها إلى البيت بسيارة أجرة.

كان منزل الفتاة قرب بوتنج في بيت، ولدى وصولهما إلى
هناك أجرت مريدا حديثاً قصيراً مع صاحبة البيت، ثم عادت إلى
الميجر ويلبراهام وأخذته إلى الطابق الثاني حيث كانت لها غرفة نوم

وهرة حلوس صميرتان غالت: إن الأمر كما طناه تماماً! لقد جاء
وجئ صباح يوم السبت أشرق على تمديد مملكته كهربائي جديد
وأخبرها بوجود خطأ في تمديدات الأسلاك في شرقها، وقد بقي
هناك لفترة لا بأس بها

قال ويلبراهام أريني صندوق والدك

أرثه فريدا صندوقاً مرمعاً بالنحاس، وقالت وهي ترفع غطاءه
هل تری؟ إنه فارغ.

أوما المسكري برأسه متأملًا وقال: ألا توجد أوراق في أي
مكان آخر؟

- لا أظن! لقد احتفظت أمي بكل شيء هنا.

تفحص الميجر داخل الصندوق، وفجأة أطلق صيحة انفعال
وهو يقول: «ههنا لائحة في البعثة»، ثم أدخل يده جدار وتلمس داخل
الفتحة، وما لبث أن قال: لقد دُمر شيء هنا

ومرغاه ما أخرج ثقبه، وكانت ورقة قدوة تم طيها عدة مرات،
مستندة على الطاولة وفريدا تنظر من وولته، ثم غنفت بحية أمل
إنها مجرد علامات غريبة.

صاح الميجر ويلبراهام عجباً، إنها مكتوبة باللغة السواحلية.
بالسواحلية، من بين كل لغات الأرض!؟ إنها لهجة سكان شرق
أفريقيا.

- ما أغرب ذلك! هل نستطيع ترجمتها إذن؟

قال: إلى حد ما، ياله من أمر مدهش!

ثم أخذ الورقة إلى قرب النافذة، فسألته فريدا بصوت مرتعش:
هل تعني شيئا؟

فرا العيجر الورقة بتمعن، ثم عاد إلى الفتاة وقال منبسحا:
حسنا، هذا هو كتزك المحبوه بالناكيد.

- كتز محبوه؟ حقيقة؟ أنسي أنه تعب إسياني .. سفينة ذهب
عارفة... شيء كهذا؟

- وربما لا يكون الأمر على هذا القدر من الروعاسية، ولكنه
نفس الشيء في النهاية، إن هذه الورقة تبين محطاً كتز من العاج.

قالت العداة بدعشة: العاج؟

- نعم، من القبلة كما تعلمين. يوجد قانون يحدد العدد الذي
يمكنك استيلاؤه بها، وقد تجبعب سباد ما في اصطفاة أعداد كبيرة
والسجة ببعثته وحين تقبوه دفن ما لديه من عاج، كمية هائلة منه
وهذه الورقة تعطي فكرة واضحة تماماً عن كيفية القعور على المكان.
اسمعي، سيكون علينا أن نتبع هذا الأمر، أنا وأنت.

- أنسي أنه يوجد -حقاً- مال كثير في هذا الأمر؟

- توجد ثروة لا بأس بها لك.

- ولكن كيف جاءت هذه الورقة لتصبح بين أوراق أبي؟

رفع العيجر كتفه خيرة وقال: ربما كان خلقك الهباب بهتضر

مغللاً... وربما كان قد كتب هذه الورقة باللغة السواحلية من باب
الحماية وأعطاهم لوالدك الذي ربما كان قد صادفه بشكل عام وربما
أن والدك لم يكن يوسعه قراءتها فإنه لم يعلق عليها أهمية كبيرة هذا
مجرد تخمين مني، ولكن لا أفنه تخميناً مستمداً جداً.

تحدثت فريدا وقالت: ياله من أمر مثير جداً!

- السؤال الآن: ما الذي تفعله بالورقة الثمينة لا أحب تركها
هنا فربما عادوا ليجنوا من حديد، لا أحببك تأتمنيتي عليها؟

- بل أفعل بالطبع، ولكن ألا يمكن أن يكون ذلك خطيراً
عليك؟

قال العيجر متجهماً: "إنني شديد المراس، لا حاجة لأن تقلقي
عليّ"، ثم طوى الورقة ووضعها في محفظته وقال: هل أستطيع القدوم
لزيارتك مساء عداً؟ سأكون قد وسعت عتدا حطة، وسأدق في
الأماكن على غربيشتي، في أية ساعة تعرفين من المقديتة؟

- أهوه في بحر السادة والنصف.

- عظيم، وسوف نتناقش عتدا في الأمر، وربما سمحبت لي
باصطحابك إلى العتدا. علينا أن نعتل بهذا الأمر. وداعاً إذن عداً
في السادسة والنصف

• • •

في اليوم التالي وصل العيجر في الوقت المحدد تماماً. رنّ

جرس البيت وسأل عن الأتمة كليج. وقد فتحت له الباب عادمةً
ولم تلتزم - الأتمة كليج؟ إنها ليست هنا.

لم يبق الحبحر ويلبراهام أن يقترح الدخول لانتظارها، بل قال:
سأعود بعد قليل

تحول في الشارع المقابل متوقعاً - في كل لحظة - أن تقدم منه
فريدا. ومرت الدقائق السابعة إلا ربعاً، السابعة، السابعة، الربع،
ولم تأت فريدا. احتاح شعور بعدم الارتياح، فعاد إلى البيت وقرع
الحرس ثانية.

- اسمعي. لدي موعد مع الأتمة كليج في السادسة والنصف.
أنت والفتاة أنتما ليست في المفاعل، أو أنها لم... لم تترك ملاحظة؟

سألت الخادمة: أأنت المبحر ويلبراهام؟

- نعم

- معي رسالة لك. لقد جاءت باليد.

أخذ الرسالة وقرأها:

عزيزي المبحر ويلبراهام،

لقد حدث شيء غريب بعض الشيء. لن أكتب المزيد
الآن، ولكن هل لك أن تقابلني في منزلك وأنت فرايز؟
اذهب إلى هناك بمجرد حصولك على هذه الرسالة

المختصة: فريدا كليج

قطب المبحر ويلبراهام حينه وهو يفكر بسرعة، ثم امتدت
به بشهود فأخرجت رسالة من جيبه وقال للخادمة: هل يمكنك
الحصول لي على طابع؟

- أحب أن السيدة باركنز قد تفيدك في ذلك

ثم عادت بعد دقيقة ومعها طابع دفع المبحر ثمنه شيئاً، وبعد
دقيقة أخرى كان المبحر يمشي باتجاه محطة لطار الاتفاق حيث وضع
الرسالة في صندوق بريدي لدى مروه

أشعرته رسالة فريدا بعدم ارتياح شديد. ما الذي يمكن أن يأخذ
الفتاة بفردا إلى مسرح المراجعة المخيفة التي جرت بالأمس؟ هل
رأسه حيرة. يا له من تصرف أحمق! هل طير ويد؟ هل نجح بشكل
أو بأسر في جعل الفتاة تثق به؟ ما الذي أخذها إلى هاستد؟

نظر إلى ساعته فوجدته تقارب الساعة والنصف من شأنها
أن تكون قد اعتمدت على لطلاقة إليها في السادسة والنصف. أي
أن هناك ساعة كاملة من التأخير، وهي فترة طويلة. لو كان لديها من
الحكمة ما يجعلها تعطيه لمحة عن الأمر

حبرته الرسالة، وشعر - على نحو ما - بأن نيرة الاستقلالية فيها
لم تكن من صفات فريدا كليج

كانت الساعة قد بلغت الثامنة إلا عشر دقائق عندما وصل إلى
فرايز لين، وكان الغلام قد بدأ يغمض. نظر بحدة حوله، فلم يجد
أحدًا. دفع البوابة المتخلعة مهدو، بحيث افتحت دون صوت. كان
المرء خالياً، والبيت منقلاً، مشى في الممر بهذر وهو ينظر إلى

حاليه ، إذ لم يكن ينبغي أن يوجد على حين غرة.

وفجأة توقفت ، فلاحظت قصيرة فقط ظهرت التماعة صوم من
حلل إحدى التوالف. فالييت لم يكن فارغاً إذن؟ كان أحدهم في
الداخل.

تسلل المجر ويلبراهام يهدوء بن الأخصان وشق طريقه إلى
مؤخرة المنزل ، وفي النهاية عثر على ما كان يبحث عنه. كانت إحدى
نوافذ الطابق الأرضي غير مغلقة ، وكانت نافذة تدور وكلها تعرف
الأولي الملحقة بالمطبخ فتح النافذة وأضاء مصباحاً كهربائياً يدويًا
(كان قد اشتراه من محل عند قدومه) وسقط الضوء على داخل الغرفة
المهجورة. ثم تسلق قدخلها.

فتح باب الغرفة بكل حذر وأصغى. فلم يسمع شيئاً ، وأضاء
المصباح ثانية فوجد مغطىة فارغة. وغادر المطبخ كالت هناك بضع
دقائق ، وباب بدا واضحا أنه يؤدي إلى القسم الأمامي من المنزل.

فتح الباب وأصغى ، فلم يسمع شيئاً سوى يهدوء حتى أصبح
الأذن في الصالة الأمامية ، ولم يكن هناك أيضاً أي صوت كان هناك
بابان أحدهما إلى يمينه والأخر إلى شماله. وقد اختار الباب الأيمن
فأصغى عنده للحظة ثم أدار قبضته فالتفت فقام بفتح الباب ببطء
شديد ثم دخل.

وأضاء المصباح ثانية فوجد الغرفة فارغة لا أثاث فيها . وفي
تلك اللحظة بالذات سمع صوتاً غلغله فالتفت... ولكن الوقت كان
متأخراً ، نزل شيء ما على رأسه وسقط على الأرض مغشياً عليه.

لم يعرف المجر ويلبراهام كم مر عليه من الوقت قبل أن
يستبد وعيه. ولكنه عاد إلى الحياة متألماً موجع الرأس. وحاول
التحرك ولكنه وجد ذلك مستحيلاً ؟ فقد كان مربوطاً بالحبال.

وفجأة عاد له رشده وتذكر أنه قد ضرب على رأسه وأظفر
له سوء خافت يبعث من مصباح زيتي في أعلى الجدار أنه كان في
لبو صغير نظر حوله ففكر قلبه ، فعلى بعد خلوئين منه كانت لريدا
مربوطة مثله « مغمضة العينين » ولكنها تهدت وهو ينظر إليها بلهفة
وقعت حبيها. وقعت نظرتها المذعورة عليه فتعززت إلى عينيها نظرة
فزع وتعرف ، وقالت : أنت أيضاً ما الذي حدث؟

- لقد عدلتك أيما خذلاي سمعت مباشرة حتى وقعت في
اللعن. أعبرني ، هل تركت لي ملاحظة تطمين فيها أن ألتيك هنا؟

التفتت عينا الفتاة دهشة وقالت : أنا؟ أنت من أرسل لي
ملاحظة؟

- آه هكذا إذن؟

- نعم ، تلقيتها في السكتب ، وقد طلت حي لقاتك هنا بدل
يحي

وعدم قاتلاً: أتيت نفس الطريقة معنا نحن الاثنين.

ثم شرح لها الموقف ، فقالت قهمت ، فقد كانت الفكرة
إذن...

- الحصول على الورقة .. لا بد أننا كنا ملاحقين بالأمس ،
وهكذا قالوا مني.

- وهل... حصلوا عليها؟

قال العسكري وهو ينظر بحزن إلى يديه المقيدين: لا أستطيع مد يدي للتأكد من ذلك مع الأسف.

بعد ذلك جمل الأثنان، فقد تكلم صوت، صوت يدا أنه قادم من الفراخ. قال الصوت، نعم، شكراً لكما. لقد حصلنا عليها، بكل تأكيد.

جعلهما الصوت الخفي يرتعدان، وثمشت فريدا: السيد ويد.

قال الصوت: ويد هو واحد من أسمائي يا فتاتي العزيزة... ولكنه واحد منها فقط، قلدي من الأسماء الكثير والآن يوسفى القول إنكما قد تدخلتما في خطيئتي... وهو أمر لا أسمع به أبداً، إن اكتشفتكما هذا البيت فظيفة خطيرة، إنكما لم تحبى الشرطة عن ذلك، ولكنكما قد فعلان ذلك في المستقبل، أخشى أن لا أستطيع الثقة بكما في هذه المسألة. ربما وعدتما بالترام الصمت، ولكن الوعود نادراً ما تحترم. وهذا البيت مفيد جداً بالنسبة لي، بوسعكما تسميته فيبيت التصفية.. البيت الذي لا عودة منه، فمن هنا تتفلقان إلى.. عالم آخر، ويوسفى القول إنكما ستتفلقان إلى ذلك العالم، وهو أمر مؤسف.. ولكنه ضروري.

سكت الصوت لحظة ثم تابع يقول: لا إرادة دماء، أنا أمضت إرادة الدماء طريفي أسوأ بكثير، وهي حقاً ليست مؤلمة جداً كما فهمت. حسناً، يعني أن أذهب طاب مساكلكما.

صاح ويلبرهام: اسمعي! أفضل بي ما تشاء ولكن هذه الفتاة

لم تعمل شيئاً.. أبداً، لا يمكن أن يؤدبك إطلاق سراحها.

ولكن لم يكن لمة جواب وفي تلك اللحظة انطلقت صرخة من فريدا: الماء... الماء!

التفت ويلبرهام مثلاً وعثر إلى حيث تنتظر فريدا، فرأى فتحة عند السفلى ينصب منها الماء به انقطاع.

صاحت فريدا بجنون: إنهم سيخترقونا!

نهل جين ويلبرهام بالمرق وقال: لم يتة أمراً بعد، منصرخ طلباً للتجدة، لا يد أن يسمعت أحد، مياه، فصرخ مرة.

صرخا بكل ما أوتيا من قوة، ولم يسكتا حتى يُخ صولاهما، قال المبحر يحزن، أحسني أنه لا عائدة، فتعي تحت الأرض، وأظن أن الأبواب محكمة الإغلاق، ولو كان بالإمكان سماعنا لتختم ذلك الوحش أخواها دون ريب.

صاحت فريدا: والغلطة خلطني، فأنا التي ورطتك في هذا الأمر.

- لا تفلني بشأن ذلك يا طفلي، إنك أنت ما أنكروه الآن. لقد وقعت في مآرق كثيرة من قبل وسرجت منها.. لا تفقدي شجاعتهك! صاعرجك من هذه الورطة.. لدينا الكثير من الوقت، فحسب معدل دخول هذه المياه سنمر ساعات قبل حدوث أي مكرود.

- كم أنت رائع! أنا لم أظنك مثلك أبداً.. إنني في الروابات.

- هراء... إنه المطلق صعب. والآن علي أن أفك هذه الحبال.

طوقها بأذنيه وقال: يا حبيبي المسكينة! لقد كتبت شجاعة بشكل رائع فريدا... هل لك... أعني هل يمكنكك... إني أحبك يا فريدا. هل تترجيني؟

وبعد فترة صمت مناسبة وحرصه كثيراً لكلا الطرفين قال الميجر ويليام صاحبك: ووقى ذلك فلا يزال أماننا سر العاج.

- ولكنهم أخذوا الورقة منك!

حسك الميجر ثانية وقال: هذا عالم يفعلوه أهدأ؟ فقد كتبت لائحة زائفة من الرسالة، وقيل أن أتى إليك هنا هذه الليلة وضعت الرسالة الحقيقية في رسالة ووضعها في صندوق البريد. لقد حصلوا على النسخة الزائفة... وأتمنى لهم كل معادة ميذا أنتعسين ماذا ستفعل يا حبيبي؟ سذهب إلى شرق أفريقيا لغضاء شهر عسلنا وللتحدث عن الكثر

غادر السيد باروكر ماين مكتبه وسعد فرحاً، وفي عرفة هي أعلى المبنى جلست السيدة أوليفر، كاتبة الروايات المثيرة التي أصبحت الآن واحدة من مؤلفي السيد باروكر باين

فرح السيد باروكر ماين الباب ودخل. كانت السيدة أوليفر تجلس على طاولة عليها آلة طباعة، وعدة دفاتر ملاحظات، ونوموس شديدة من المسطحات، وسلة كبيرة من البضاج.

قال لها السيد باروكر ماين بمودة: كانت قصة جيدة جداً يا سيدة أوليفر.

وبعد نحو ربع ساعة وكثير من الجهد شعر ويليام بأن فريده تحولت إلى حد مقبول، ثم تمكن من إحتاد رأسه ووقع رسيفه ليهاجم عقد الحبل بأستائه، وبسجده أن أصبحت يدها طليقتين أصبح ما تبقى مسألة وقت فقط. كان جسمه قد تشنج وتصلب، ولكنه نحر من السبال ولتكب على الفتاة، وبعد لحظة كانت قد تحررت هي الأخرى.

لم يكن الماء قد بلغ إلا كاحليهما حتى الآن. قال العسكري والآن إلى الخروج من هنا

كان باب القبر في أعلى درج صغير، فضحصه الميجر وقال: لا توجد سموة هنا؛ فهو باب أخرق الصنع ولن يلبث أن يتخلع من معاسله.

وصمغ عليه كتفه وأخذ يدفع طناتك المشتب، ثم سمع صوت ارتطام، واتخلع الباب من مفاسله.

كلك في الخارج دوج في أعلاه باب آخر... باب مختلف تماماً، من الخشب القوي وقضبان الحديد

قال الميجر ويليام: هذا أصعب قليلاً... ولكن مرحى، لعبا شيء من الحظ هنا؟ إنه غير مقفل.

فتحته ونظر إلى الخارج. ثم أشار للفتاة أن تنبعه غرح الاثنان إلى سر خلف المطبخ. وبعد لحظات كانا يقفان تحت النجوم في فراير لين.

قللت فريدا وهي تشج قليلاً: آه! كم كان ذلك وهيباً!

- هل بحسب؟ سمعتي ذلك.

- ولكن تلك المسألة الخاصة بصب مياه في الفيض الآتين
شروية للتفكير بيني - أكثر إبداعاً في المستقبل؟

طرح اقتراحه ذلك بشيء من الضعف المطلوب، فنهزت السيدة
أوليفر رأسها بالتي وقالت وهي تأخذ قفازة من السلة، لا أظن ذلك
يا سيد باين؛ فقد تعود الناس فراء مثل هذه الأمور؛ أفتية يتم ملؤها
بالماء، تسربها غداً صغوم. إلى آخر ذلك. إن معرفة هذه الأمور
مستحبة تجعلها ذات متعة أكبر عندما تحدث للمرأة. إن الجمهور
محافظ يا سيد باين. وهو يحب الحيل القديمة منها.

- حسناً، أنت تعرفين أفضل مني

اعترف السيد بلوكر باين بهذا وهو يعكر بست وأربعين رواية
ناجحة للسيدة أوليفر حققت كلها أعلى المبيعات في إنكلترا وأميركا
وأُرجمت إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والهلمانية والفنلندية
والألبانية والحشية

قال لها - ماذا عن التكاليف؟

- سحبت السيدة أوليفر ورقة وقالت: تكاليف زهيدة عموماً.
لقد طلب الزمجان، بيرسي وجيري، مبلغاً بسيطاً جداً. وقد وافق
الممثل الشاب فوريمر على أداء دور السيد ويد مقابل خمسة
جنيحات، أما خطبة الفيو فقد كانت تسجيلاً بالطبع.

- لقد أهداني منزل وابنت فرامرز لهما خاتمة. فقد اشتريته بثمان
بضئ جداً. وقد كان حتى الآن مسجلاً لإحدى عشرة مسرحية مبررة.

آه لقد نسيت! أحوار جوني .. خمسة شلنات

- جوني؟

- نعم، الصبي الذي صب الماء من أباريق السفاية من خلال
فتحة الجدار.

- آه، نعم. وبالنسبة يا سيدة أوليفر، كيف حدث لك تعرفين
اللغة السواحلية؟

- أنا لا أعرفها

- فهمت - استعنت إذن بالمتحف البريطاني؟

- لا، بل مكتب ديلفريدج للمعلومات.

تتمتع قاتلاً ما أروع مصادر التجارة الحديثة!

قالت السيدة أوليفر: الأمر الوحيد الذي يقلقني هو أن الاثنين
لن يجهدا أي كثر عندما يصلان هناك.

- ولكن المرأة لا يستطيع الحصول على كل شيء في هذا
العالم، سبقه فيك شهر غسل مثيراً على أي حال.

كانت السيدة ويليامام تجلس على كرسي، وكان زوجها
يكتب رسالة. سألتها: ما هو تاريخ اليوم يا قريدا؟

- السادس عشر

- السادس عشر؟ يا إلهي!

- ما الأمر يا عزيزي؟

- لا شيء. تذكرت - فقط - رجلاً يدعى حوز.

مهما كانت سعادة الزواج فإن هناك أموراً لا يبرح بها المرء.
فكر الميجر ويلبراهم قائلاً لنفسه نياً كان ينبغي أن أزوو ذلك
المكتب وأمرأة مالي

وبعد ذلك - ولأنه ذو عقل مُنصف، نظر إلى المسألة من زاوية
أخرى وقال لنفسه: ولكنني أنا من نقض الاتفاق. إذ أحسب أنني
لو ذهبت لرؤية حوز لكان قد حدث شيء ما - وعلى أية حال فإني
لو لم أذهب لرؤية حوز لما عُذِر لي أبداً أن أسمع استعانة فريدا
وربما ما كنا لتنتهي أبداً، ولذلك فربما كان لهم الحق - بشكل غير
مباشر، في جتبهاتي الخمسين!

السيدة ويلبراهم كانت تنزع هي الأخرى سلسلة أفكارها
الخاصة: كم كنتُ حبيبة طيبة حين صدقتُ ذلك الإعلان ودفعت
ثلاثة حبهات لأولئك الناس. إنهم لم يفعلوا شيئاً يبرر ذلك للمبلغ
بالطبع، ولم يحدث شيء أبداً. لو أنني عرفتُ فقط ما كان ينتظرني!
السيد ريد أولاً، ثم هذه الطريقة الرومانسية الغريبة التي دخل تشارلي
بها حياتي... والألمني أن أفكر أنني لو لا المصادفة المحضة لما كان
لي أن أنقذ أبداً!

انظرت وانسمت لزوجها بحبه.

زوجة في وسط العمر

بأربع زهرات اشياء، وصوت سائح يسأل عن سبب عيب الناس بالقممات، ويأبى مصطفى، عائد السيد باكينغتون للقحاق بقطار الساعة إلا ربحاً المتجه إلى المدينة. أما السيدة باكينغتون فقد جلست على مائدة الإفطار، وكان وجهها محمراً، وشفتاها مرمومتين، وكان السبب الوحيد لعدم بكائها هو أن الغضب حلّ في اللحظة الأخيرة محل الحزن. قالت السيدة باكينغتون: "كن أنتجمل ذلك، لن أنتجمله". وبقيت تفكر بتجهيم المحطات - ثم تمنت، السائلة: تلك الظهيرة أغلقة! كيف يمكن لحورج أن يكون معذراً إلى هذا الحد؟

فلاش تعصب، وعاد الحزن، وتفرقت الشجون في عيني السيدة باكينغتون ثم أصبحت نزولاً على تعابها الكهلين وهي تفكر: من السهل جداً القول إنني لن أنتجمل ذلك، ولكن ما الذي أستطيع فعله؟

محاة شعرت بالوحدة، والحجز، والهجران التام، وبيضاء أخذت صحيفة الصباح وقُرأت، كما قرأت مراراً من قبل، هذا الإعلان على الصفحة الأولى "هل أنت سعيد؟ إن لم تكن سعيداً فاستشر السيد باركر باين، ١٧ شارع ريتشموند".

قالت السيدة باكينغتون: "هراء وسحب كاهل!". ثم قالت بعد قليل: ولكن يمكن أن أجرب فقط... وهذا هو سبب دخول السيدة

داكيغتن في الساعة الحادية عشرة، وهي مرتبة قليلاً، إلى الدكان الخاص للسيد ياركر باين.

وكما سبق وقيل، كانت السيدة داكيغتن مرتكة، ولكن لسبب أو لآخر فإن مجرد رؤية السيد ياركر باين قد جلب لها شعوراً بالطمانينة. كان رجلاً صحيحاً، كبراً تقول سمياً، وكان له رأس أصلع غصم، وبظارات صميكة، وعيون صغيرتان ترششان بالدمعار. قال: "أرجو أن أحسب"، ثم أضاف يحثها على الكلام: "هل جئت استجابة لإعلاني؟"

فالت السيدة داكيغتن: نعم

وتوقفت عند ذلك، فقال السيد ياركر باين بصوت بهيج واقعي: وأنت لست سعيدة؟ فيقول هم السعداء. سعدتني أو علمت مدى قلة السعداء

- حقاً -

فالت السيدة داكيغتن دون أن تشعر بأن سعادة الآخرين أو تعاستهم مسألة مهمة.

قال السيد ياركر باين: أعرف أن هذا لا يملكه، ولكنه بهمي أنا كثيراً، فلماذا خمسة وثلاثين عاماً من حياتي كنت مشغولاً بوضع إحصائيات في مكتب حكومي، وقد نقادته الآن، وقد حظرت لي أن أستخدم الخبيرة التي كنتها بأسلوب يشبه بالجدد، والأمر كله بسيط جداً! أؤكد لك أن التعاسة يمكن أن تزدح تحت خمسة عتاوين ولينة. لا أكثر، وبمجرد معرفتك بسبب المرء لا يعود العلاج مستحيلاً. إنني أقوم مقام الطبيب، فالطبيب ينصح أولاً علة

سريته، ثم يمضي ليصف طريقة علاج. وتوجد حالات لا يكون فيها العلاج ذا فائدة، وإذا كان الأمر كذلك فإنني أقول بصراحة إنني لا أستطيع فعل شيء، ولكنني أؤكد لك - يا سيدة داكيغتن - أنني إن توليت قضية فإن العلاج يكون مشروناً عملياً.

أيمكن أن يكون الأمر كذلك؟ أهذا مراد، أم أنه ربما كان صحيحاً؟ حدثت السيدة داكيغتن إليه بأمل.

قال السيد باين مبتسماً: "هل لنا أن نشخص حالتك؟"، ثم عاد ليستند إلى ظهر مقعده، ثم جمع أطراف أصابعه معاً وقال: المشكلة تخص زوجك لقد قصبت -عموماً- حياة زوجية سعيدة، وأظن أن زوجك قد لاقى نجاحاً وأحسب أن في هذه القضية فتاة شابة.. وربما كانت شابة في مكتب زوجك.

- إنها عاملة طابعة حفيرة... ذات حصلات شعر ملقوفة.

انطلقت الكلمات من لسانها بسرعة، فأولاً السيد ياركر باين برأسه كمين يسري عنها وقال: لا بأس، وأنا متأكد كيف يفكر زوجك الآن: لماذا لا يستمتع بصدقة برتبة مع هذه الشابة، ويكون قادراً على إدخال قليل من الحيوية وقليل من المرح على حياتها المملة؟ فانتعلمة المسكينة لم تر الكثير من السعادة. يُحِيلُ لي أن تلك هي مشاعره.

أومأت السيدة داكيغتن برأسها بقوة وقالت: كذب.. كله كذب! إنه يأخذها إلى النهر، وأنا أحسب دوماً الدعاب إلى النهر، ولكنه قال لي قبل خمس سنوات أو ست إن ذلك يتعارض مع لعبة الغولف التي يلعبها. ولكنه يستطيع التخلي عن الغولف من أجلها

هي، وأنا أحب العسرج... وقد كان جورج يقول دائماً إنه يكون متعباً جداً في الليل بحيث لا يستطيع الذهاب إليه. والآن يأخذها كل ليلة ويعود لي الثالثة صباحاً إتني... إتني...

- ولا شك أنه يستنكر حقيقة كون النساء غيورات، عيورات مشكل غير منطوق في حين لا يوجد أبداً داع للغيرة، أليس كذلك؟
أوامت السيدة ماكينتن ثانية برأسها وهي تقول، 'بالصدا'. ثم سألت سحداً: كيف تعرف كل ذلك؟

قال السيد ياركر باين ببساطة: الإحصاء.

- إتني تبسة جداً، لقد كنت دوماً زوجة طيبة لجورج. لقد عملت أعمالاً شاقة في أيامنا الأولى، وساعدته على التقدم، ولم أنظر أبداً إلى أي رجل آخر. مارنزه دائماً حائراً، وجيانه جيداً، والبيت في أحسن حال وأديره بشكل اقتصادي جداً. والآن... وقد تعسنت أحوالنا وأمكننا أن نستمتع بحياتنا ونسافر قليلاً ونعمل كل الأمور التي كنا نخلع لنعلها يوماً ما... قاني هذه المشكلة!

ثم انتظمت وبها بصعوبة، فأومأ السيد ياركر باين برأسه سحداً وقال: أؤكد لك أنني أهمهم فضبتك تساماً.

سألك بصوت أتمه بالهمس: وهل... وهل نستطيع فعل شيء، بشأننا؟

- بالتأكيد يا سيدني العزيزة يوجد علاج. نعم، يوجد علاج.

سألت: 'وما هو؟'، ثم انتظرت وقد اتسعت عينها ترقباً.

تكلّم السيد ياركر باين مهدوء وحزماً: سوف تضعين أعرك بين يدي، وستكون أجوري مثلي جنبه.

- مثلي جنبه!

- بالاضبط يمكنك دفع مثل هذا الصلغ يا سيده ماكينتن، من شأنك أن تدفعي هذا الصلغ لعملة حراحية، والساداة لا تقل أهمية من الصحة الجنسية.

- وأحبب إتني سأدفع لك فيما بعد، أليس كذلك؟

- على العكس، ستدفعين لي مقدماً.

تهست السيدة ماكينتن قائلة: أغشى إتني لا أرى طريقتي

قاطعها السيد ياركر باين قائلاً بمرح: اشراء منك لي بحر؟ حسناً، ربما كتبت على حق. إنه صيلع أكبر من أن يُجارف به، ولكن عليك أن تتقي بي، وعليك أن تدعني العمل ونجربني فحمتك، تلك هي شروطي.

- متنا جنبه!

- بالاضبط، متنا جنبه. إنه صيلع كبير. طاب صاحبك يا سيده ماكينتن. أخبريني إن غيرت رأيك.

ودعها وهو يهيم بشكل هادئ، وعندما ذهبت ضمط جرساً على مكتبه، فأحلت على الجرس شابة بشعة الشكل. قال لها: أريد ملفاً من لفصلك، وأملني كلود بانتي يمكن أن أحناحه قريباً.

- نعم، زينة جديدة. لقد ذهبت حالياً، ولكنها مستودع، وربما عادت في نحو الرابعة من بعد ظهر اليوم، فادخلها.

المخطئة؟ الله بالطبع غريب كيف يعنى كل امرئ أن مشكلته فريدة لا مثل لها. حسناً، ينبغي كلود قولي له أن لا يكون غريب المظهر أكثر مما ينبغي. لا يستعمل عطره، ومن الأفضل أن يقتصر شعره.

كانت الساعة الرابعة والربع عندما دخلت السيدة ماكيفتن مرة أخرى إلى مكتب السيد باركر باين. أخرجت دفتر شيكات وكتبت شيكاً وأعطته له، فأعطاه أيضاً بالمقابل.

قالت السيدة ماكيفتن وهي تنظر إليه بأمل: والآن؟

قال السيد باركر باين وهو يتسهم: والآد ستعودين إلى البيت ومستسلمين عما في يدي الصباح تعليمات معينة مأثورة سجداً إن نفذتها.

ذهبت السيدة ماكيفتن إلى البيت بحالة ترقب مفرح، أما السيد ماكيفتن فقد عاد إلى البيت بمزاج دفاعي، حاضراً لمناقشة موقفه إذا ما أعيد فتح الموضوع للذي طرح على مائدة الإفطار ولكنه ارتاح إذ رأى أن زوجته ليست في مزاج قتالي. كانت تتأمل على غير عاداتها.

أسفى حورج للمذباح، وتساءل إن كانت تلك الفتاة العزيزة

سمح له بأن يقدم لها معطفاً من الفراء؟ فقد كان يعرف أنها شديدة الاعتزاز بنفسه. وهو لا يريد حرج مشاعرها. ومع ذلك فقد سئل لها أن اشتكت من البرد، ومعطفاها الصوفي ذلك معطف وحش لا ينعم كثيراً في مكافحة البرد. ربما كان يوسعه طرح الموضوع بحيث لا تمنع. يجب أن يقضيا أمسية أخرى في الخارج قريباً. إنه لمن السمت أن يأخذ المرأة فتاة كهنه إلى مطعم راقٍ. لقد كان يوسعه رؤية العديد من الشبان يمسدونه؛ فقد كانت جميلة بشكل يندر وجوده. وهي محبة به، فيالسنه لها - كما أخبرته - ثم يبد لها كبير أيداً.

وقع بصره فتلقى عينه بعين زوجته. وشعر فجأة بالذنب، الأمر الذي ألزمه بالامارة من امرأة شبيقة التفكير شكاكاً إليها شخص عليه أي إحقة معادة. ثم أخلق المذباح ودعب إلى فراشه.

تلقت السيدة ماكيفتن رسالتين غير متوقعتين في صباح اليوم التالي. كانت إحداهما استمارة مطبوعة تؤكد موعداً لدى أحد صالونات التجميل المشهورة، وكانت الثانية موعداً لدى عياط. كما استلمت رسالة ثالثة كانت من السيد باركر باين ويطلب فيها منها تشريفه بقبول العشاء معه في فندق ريتز في ذلك اليوم.

ذكر السيد ماكيفتن أنه قد لا يعود إلى البيت للعشاء مساء لأنه مرتبط بموعد عمل مع أحد الرجال، وقد اكتفت السيدة ماكيفتن بإيماءة من رأسها وهي شاردة، وغادر السيد ماكيفتن البيت وهو يهين نفسه على سجاته من العاصفة.

كان اختصاصي التجميل واقعاً: "يا لهذا الإهمال! ولكن لماذا يا سيدتي؟" كان ينبغي تدارك ذلك منذ مواته. ولكن الوقت لم

يفت بعد". حرمت عمليات عديدة لوجهها ، قد ضغطت ذلك ويغير ، ووضع عليه معجون ، ووض بالمشاحيق ، ثم أجريت عليه العديد من الضربات الأخيرة ، وفي النهاية أعطوها مرآة ، فقالت لغيرها : أنظر أنبي أبدو أصغر حقاً ، أما جلسة الخياط ظلم تكن أقل إثارة ، وقد خرجت من عهده وهي تشمر بالأناقة والعصرية .

وفي الساعة الواحدة والنصف ذهبت السيدة ماكينتن إلى عودها في فندق ريتز ، وكان السيد باركر باين ينتظرها بأفضل اهتمام وقد حمل معه ذلك الحزب المتهذي المهدئ الذي يتميز به قاك وسبه الشعبية ترميها من رأسها حتى أنخص قديمها . ولتح . لقد طلبت لك القهوة .

أصغت السيدة ماكينتن لمرشدتها اللطيف وهي ترتشف من فتجانها . قال السيد باركر ينبغي أن نجعل زواجك "يتصل" يا سيدة ماكينتن . أنتهضتي؟ أن يتصل ويكسر . وللمساعدة في ذلك فإنني سأهزئك على صديق شاب لي ، وسوف تغدئين معه اليوم .

في تلك اللحظة جاء شاب وهو ينظر من جانب لأخر ، وما لبث أن لمح السيد باركر فجاء نحوه ، برشاقة ، قال السيد باركر مُعزلاً : السيد كلود لوترييل ، السيدة ماكينتن .

لم يكن السيد لوترييل قد بلغ الثلاثين من عمره . وكان بهي الطلعة مرحاً شديد الأناقة والوسافة تشم هائلاً : "أشعدي معركتك" وبعد ثلاث دقائق كانت السيدة ماكينتن تواسي مرشدتها الجديد على طاولاة صغيرة منخفضة لانيين

قالت خجلة في البداية ، ولكن السيد لوترييل سرعان ما جعلها

تشمر بالارتياح . وقد سألتها إن كتلت تحت المسرح ، فأجابه بأنها تعبها ولكنها نادراً ما تزوره في هذه الأيام إذ أن الميعد ياكينتن لا يهيم بالخروج ليلاً .

قال الميعد لوترييل وهو يتشم ثقلها صفاً من الأسنان شديداً ، اليائس . ولكن لا يمكن أن يكون ظالماً بحيث يُطيلك في البيت . إن النساء لا يتحملن غير الرجال في هذه الأيام .

أوشكت السيدة ياكينتن على القول إن العيرة لا شأن لها بهذا الأمر ، ولكنها لم تقل ذلك . فهدت فكرة جيدة على أي حال تحدث كلود لوترييل بعنوية من المسرح ، ثم تقرر أن يذهب معاً في الليلة التالية إلى مسرح لسيير المشهور .

كانت السيدة ياكينتن مترددة قليلاً في إعلان هذه الحقيقة لزوجها . فقد شعرت بأن جورج سري ذلك غريباً ، ولكن جاء ما يوفر حلها كل عنه في هذا الشأن ، فقد كانت أكثر تردداً من أن تلصص عن نيتها على مائدة الإفطار ، ولكنها تلقت في الثانية ظهراً مكالمة هاتفية معادها أن السيد ياكينتن سيتناول عشاءه في المدينة .

وقد كانت الأمسية ناجحة جداً ، فقد كانت السيدة ياكينتن في مزاج جيد ، وقد هدأها الميعد لوترييل على نوبه وعلى تسريحة شعرها أيضاً (وكانت قد شرب لها موعد صباح ذلك اليوم مع مصفف شعر حتى أسلوب حديثه) . وعندما ودعها السيد لوترييل كانت في قمة المحادة ، فهي لم تكن قد تمتعت بنفسية كهذه منذ سنين عديدة .

مرت بعد ذلك عشرة أيام حافلة ، تحدثت فيها السيدة ياكينتن

ونعشت وذاوت كل المسارح، وسمعت كل شيء، عن طفولة كلود لوفريل البالغة والطروف المؤسفة التي حصر فيها أوه كل أحواله، وسمعت قصة حبه التراخيية ومشاعره العريضة نحو النساء عامة.

وفي اليوم الحادي عشر كانا يتمشيان معاً في مظهر أدميرال، وقد رأته السيدة باكينغتون زوجها قبل أن يراها هو. كان جورج مع الشابة التي تعمل في مكتبه، ولم يكن على طارئة بعيدة. وعندما صدف والتفت باتجاهها قالت بطلاء: مرحباً جورج.

وبعدا بالغة رأته السيدة باكينغتون وجه زوجها يحدو أولاً، ثم يبدو غمزياً من دهشته. ومع الدخلة أمكنها رؤية شيء من النحور بالذنب، وشعرت خرقاً بأنها سيدة الموقد. يا لجورج المسكين! جلست على طاولتها تراقبه... كم كان سبباً وأصلحاً مسكين جورج، يريد سلباً أن يبدو شيئاً، وذلك الفتاة المسكينة التي يتعشى معها مصطرة للتظاهر بالتصنع بالأم. إنها تبدو الآن مبتهة ناعماً، ووجهها حلسه كظه بحيث لا يستطيع رؤيته

وفكرت السيدة باكينغتون -شيء من الرضا- بأن وضعها هي أكثر مدعاة للحسد، وتطرت إلى كلود الذي كان الآن ساكناً بلباقة كانت تحس منظره جورج الاعتداليه تراقيهما، وتذكرت أن المرأة كانت تقضي أسوأاً ببالوة قبرة جورج. كم عصى وقت طويلاً على ذلك! إنها لا تريد الآن حقاً إثارة عيرة جورج. هذا قد يرضعه، ولماذا صابها ترشح ذلك المسكين؟ لقد كان الجميع سعداء

كان السيد باكينغتون قد وصل إلى البيت قبل ساعة عندما

وصلت السيدة باكينغتون. بدا حائراً غير واثق من نفسه، وقال معلناً: أوه، لقد عُدتِ إذن؟

ألقت السيدة باكينغتون وشاح مبهره كان قد كلفها أربعين جنيهاً في ذلك الصباح نفسه وقالت مبتسمة: نعم، لقد عدت.

تصيح جورج وقال لطفه...

- لقد كان من العريب أن ألاتيك، أليس كذلك؟

- إنني فكرت أن من اللطف أن أأخذ الفتاة إلى مكان ما، فقد كانت تتعرض للعديد من المناصب في البيت... مجرد لطفه

أرأيت السيدة باكينغتون برأسها، مسكين جورج!

- من هو هذا الشاب الذي كتب معه؟ إيسي لا أعرفه، أليس كذلك؟

- اسمه لوفريل، كلود لوفريل

- وكيف قابلته؟

قالت السيدة باكينغتون بغموض: عرفتني عليه أجدعهم.

- أمر غريب منك بعض الشيء، بما عزيزي، أن تتخرفي مع شاب كهذا وأنت... مثل منك. يجب أن لا تجعلني تنسك أصبحوكه يا عزيزتي.

ابتسمت السيدة باكينغتون. كانت تشعر بأنها الآن التطف من أن نجيه الجواب الواضح. قالت بموقفة التغيير مسألة لطيفة ذاتاً.

- ولكن ينبغي أن نحرصي؛ يوجد الكثير من هؤلاء العاطلين عن العمل في المجتمعات الراقية، والنساء في وسط أعمارهن يعملن من أنفسهن أصحوة أحياناً. إنني أمدوك فقط يا عزيزتي؛ فقلت أحب أن أراك تعطين شيئاً غير مناسب.

- لقد وجدت الأمور مسلية جداً.

- آه... نعم.

قالت السيدة باكينغتون بلطف: وأنتك وجدتها أنت كذلك أيضاً. الأمر المهم هو أن يكون المرء سعيداً، أليس كذلك؟ أذكر أنك قلت ذلك ذات صباح على مائدة الإفطار قبل نحو عشرة أيام.

نظر إليها زوجها بحدة ولكن أسلوبها بدا غليظاً من الصغرة، ثم تبادلت وقالت: ينبغي أن أذهب إلى النوم. وبالنسبة يا جورج، لقد كنت مسرقة جداً مؤخراً، وسوف تأتي بعض العواثر الرهيبة. لا أحسبك تسمع، أليس كذلك؟

قال السيد باكينغتون: فواتير؟

- نعم؛ للملابس والتدليك ومعالجة الشعر. لقد كنت مسرفة جداً، ولكنني أعرف أنك لا تسمع.

ثم سمعت الدرج؛ فيما بقي السيد باكينغتون فائراً فمه. لقد كانت ماري لطيفة إلى حدٍّ مدهش بخصوص هذه الليلة، إذ لم يبدو أنها تهتم أبداً، ولكن من المأسف أن تعتمد فجأة على صرف المال مالياً. التي هي رمز الاقتصاد والتدبير!

يا لنساء! هن جورج باكينغتون رأسه يا اللوططات التي يتورط بها الرجال مؤخراً حسناً، لقد أسعده أن يساعد، ومع ذلك، ورغم كل شيء فإن الأمور لم تكن تجري على ما يرام في المدينة. وسعد السيد باكينغتون الدرج بدوره وهو يشهد.

أحياناً يتم في وقت لاحق تذكر الكلمات التي لم تُعَد تأثيرها لبعض الكلمات التي قالها السيد باكينغتون لم تخترق وعي زوجته حتى صباح اليوم التالي: العاطلون في المجتمعات الراقية، النساء في وسط أعمارهن يعملن من أنفسهن أصحوة.

كانت السيدة باكينغتون ذات قلب شجاع، فعلست وأخذت لواجه الحقائق. أيكون كلود من أولئك الشباب الذين نضاجهم النساء السينات لسرافتهن؟ لقد قرأت الكثير عن مثل هؤلاء الشباب في الصحف، وقرأت أيضاً عن عتازي النساء الكهلانات.

أيكون كلود من هؤلاء؟ رأته أنه مهم. ولكن السائد هو أن يدفع النساء مضارب أمثال هؤلاء، فيما كان كلود هو الذي يدفع مضاربها. نعم، ولكن السيد باركر بابي هو الذي دفع وليس كلود. أو أن المصاريف - بالأحرى - كانت من العتبي حبه التي دفعها هي. أتراها كهذه صغلة؟ هل يضحك كلود منها خلف ظهرها؟ احمر وجهها لهذه الفكرة.

حسناً وما أهمية ذلك؟ لقد كان كلود من أولئك الشباب، وهي كهذه مفعلة، ورأت أنه كان عليها أن تهديه شيئاً قادتها فكرة غريبة مفاجئة لأن تذهب لتوها إلى محل لبيع الهدايا، حيث اختارت هبة ذهبية للفاقات النعج وهدمت نفسها. وكان شغراً أن تلتي بكلود

للغدا في مطعم كلاودج وفيما كنا بضميان الشهوة أخرجت العلة
من محفظتها وقالت له: هدية صغيرة

وقع بسره، وعسى ثم قال: لي أنا؟

- نعم، وأرجو أن تعجبك.

أطبقت يده على العلة ثم دفعها بعف غير الطارئة قائلاً: لماذا
تعطيت هذه؟ كن أعزها. خديها، أعيد بها.

كان غاضباً وعيناه السوداوان تلتمعان. ثمتت قائلة: "ليني
أسعة"، ثم وصعتها في حقيبتها من جديد.

ساد شيء من النعيق بينهما يومها، وفي صباح اليوم التالي
التصل بها وقال: يجب أن أراك، هل أستطيع القدوم إلى بيتك بعد
ظهر اليوم؟

أخبرته أن يأتي في الساعة الثالثة، فحدها شاحبة جداً ومتوتراً.
تبادلا التحية، وكان التحدث أكثر وعسراً. ولبعض فتر واقفاً مواجهاً
لها وقال: ماذا تحسني؟ هذا ما جئت لسؤال عنه، فأنت نظير
أني... أني من أولئك العاطلين الذين يصاحبون النساء لقاء أجر.
تطيتني مخلوقاً يعيش على حساب النساء، اليس كذلك؟

- أبدأ، أبدأ.

حتى جئنا احتياجها بحركة من يده. كان وجهه قد شح
قليلاً، ومضى يقول: أنت تطين ذلك بالفعل! حسناً، هذا صحيح.
هذا ما جئت أقوله. هذا صحيح! لقد تلقيت أوامر لكي أخرجك،

وأسلبك، وأجعلك تسين زوجك. كانت تلك مهمتي... مهمة
ببساطة، اليس كذلك؟

- لماذا تقول لي ذلك؟

- لأنني أنهيت ذلك كله. لا أستطيع الاستمرار في هذا. ليس
معك لنت، فأنت مختلفة. أنت امرأة أستطيع تعذيبها والشفة بها.
إنك تغطين أمني أقول ذلك ادعاءً فقط وأنت جزء من اللعبة.

أقرب منها وقال: "وصوه أثبت لك أنه ليس كذلك. ليني
سافر. يسلك. إنني سأجعل من نفسي رجلاً يذل هذه المخلوق
المتيت الذي تربته، وذلك كله يسبك". ثم ابتعد قليلاً. وداعاً، لقد
كنت وغداً دائماً، ولكني أقسم أن الأمور ستختلف الآن. لقد تليت
لي - مرة - إنك تحبين قراءة زاوية مشكلات القراء في الصحف،
اليس كذلك؟ في مثل هذا اليوم من كل عام ستجدين هناك رسالة مني
نقول إنني ما أزال أذكر وإني أتقدم بشكل جيد، واعتقد ستعفين
ما كنت تميمه بنائس لي. وأمر آخر... أنا لم أجد منك شيئاً، ولكني
أريدك أن تأخذي شيئاً مني.

سحب من إسمه خاتماً دعياً وقال: هذا كان لامي، وأود أن
تأخذه. والآن وداعاً.

جاء جورج باكنتن إلى البيت مبكراً، فوجد زوجته تحق إلى
نار الموقد منظره بعيدة متاملة، وقد تكلمت معه بلطف ولكن بشروط.
وفجأة قال لها: اسمعيني يا ماري، بخصوص تلك اللثة؟

- نعم يا عزيزي؟

- أنا... أنا لم أقصد أبداً لزعجك. لا يوجد في الأمر شيء.

- أعرف... لقد كنت غبية. قابلها وقلنا نشاء إن كان معنا
يسعدك.

كان من شأن هذه الكلمات - بالتأكيد - أن تُعرج جورج
باكيتشن. ولكن الغريب أنها أزعجته. إذ كيف تستطيع التمتع
بالخروج مع فتاة إذا ما كانت زوجتك تحبك على ذلك؟ تياً للأمر
كله. فهذا ليس معقولاً! وهكذا تلاشى ومات مينة عبر شرفة كل
هذا الشعور لأنه بأنه ذلك الرجل المرح القوي الذي يلعب بالنار.
وشعر جورج باكيتشن فجأة بأنه متعب وبأنه أقر جيباً بكثيراً. لقد
كانت الفتاة نمواً ذكية؟ وقال بشيء من الخنوع: بوصفنا إن لسافر
معاً إلى مكان ما لبعض الوقت إن أحببت يا ماريا؟

- آه، لا تهتم لي، أنا سعيدة تماماً.

- ولكنني أوشع في أخذك في رحلة... لسافر إلى الويفيرا.

انست السيدة باكيتشن له من بعيد. يا لجورج الممكنين!
كانت من قبل معززة به، ووانه الآن وجلاً يستحق الشفقة. لم يكن
في حياته أثنى سري كذلك الموحود في حياتها.

وانست بشكل أكثر لطفاً وقالت: سيكون ذلك رائعاً
يا عزيزي.

قال السيد ماركو ماين لسكرتيرته الأيسة ليمون: حساب الزميه؟

قالت: متاً وجنيهاً وأربعة عشر شلناً وستة بنسات.

فتح الباب ودخل كلود فوتريل وهو يبدو معكر المزاج. قال
السيد ماركو ماين صباح الخير يا كلود، هل مضى الأمر بشكل
قوي؟

- أظن ذلك.

- والمحاكم؟ ما الاسم الذي لفتت داخله بالمناسبة؟

قال كلود متحمهاً: مانيلدا، ١٨٩٩.

- ممتاز. وما هي صيغة الدعاية؟

- أنا أقدم، وما زلت أفكر. كلود.

- اكتب ملاحظة بذلك يا أيسة ليمون في زاوية مشكلات

القراء، هي الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) لكل عام حتى... إيز؟
لقد كانت النقائات متاً وجنيهاً وأربعة عشر شلناً وستة بنسات
حسناً، اجعلي الإعلان يُنشر لمدة عشر سنوات. هذا يترك لنا أرباعاً
قادرها اثنان وثمانون جنيهًا وثلثان وأربعة بنسات... ربح مناسب،
مناسب تماماً.

خادمت الأيسة ليمون. وانفجر كلود قاتلاً: اسمعني، إنني
لا أحب هذا الأمر... إنها أسة قذرة.

- يا فتني العزيز!

- إنها لعبة قذرة، لقد كانت تلك امرأة طيبة إن رواية كل ذلك
الكذب وشحنها بكل تلك العواطف... ثبأ، إن هذا يقرني!

عدّل السيد ماركر باين نظراته ونظر إلى كلود بنوع من الاهتمام
العلمي، وقال بيروود: يا إلهي! لا أكاد أذكر أن ضميمك قد لزعجك
خلال حياتك المهنية في الماضي.

- حسناً، لقد بدأت أشعر بشكل مختلف؛ فهذه اللعبة ليست
ليست لطيفة.

تكلم السيد ماركر باين بصوت مدير مدرسة يوينغ أسد ثلاثته
المفضلين. لقد تطلعت عملاً يستحق الثناء. يا عزيزي كلود. لقد منحت
امراً نعمة ما تحتاجه كل امرأة. قصة حب شاعرية. إن من شأن
المرأة أن تتجاهل حياً جارحاً وتضرب به عرسي الحائط ولا تستفيد
منه شيئاً. أما القصة الشاعرية فمن شأنها أن تحتفظ بها عطرة وتعود
إليها لسنوات طويلة قادمة. إنني أعرف الطبيعة البشرية يا فتني،
وإنني أقول لك إن من شأن المرأة أن تعيش على مثل هذا الحادث
لسنوات طويلة.

قال كلود: إنني لا أحب هذه اللعبة، ثم غادر الغرفة

أخرج السيد ماركر باين ملفاً جديداً من الدرج ومحب فيه.
«لوحظت دلائل مثيرة للاهتمام على وجود ضمير حي لدى الشاب.
ملاحظة: تُدرس التطورات».

* * *

دق الجرس الموحود فوق مكتب السيد باركر ماين بصوت
خافت، فقال الرجل الصخم: نعم؟

قالت سكوتبيرت: سيده طابة ترغب برؤيتك، وليس لديها
موجود.

- يمكنك أن تدخلها يا أخته ليون.

وبعد لحظة كان يصطحب زالوند قائلاً: صباح الخير، تعظلي
بالحلو.

جلت اثناء وعطرت إلى السيد باركر ماين. كانت فتاة جميلة
صغيرة السن، وكان شعرها أسود متموجاً تنزل من غصلات على
مؤخرة عنقها، وكانت ترتدي ملابس أنيقة، من الغطاء الأبيض
المنسوج فوق رأسها إلى المعذاة الناعم. وهذا أوتياها واضعاً.

سألت: أنت السيد باركر ماين؟

- نعم.

- أنت اندي، أعلان؟

- أنا الذي أعلن.

- إنك تقول إن الناس إن لم يكونوا ، إن لم يكونوا سعداء ،
فليأتوا إليك .

- نعم .

انطلقت قائلة : حسناً ، إنني نعمة جداً ، ولذلك فكرت بأن آتي
و... وأرى .

انتظر السيد باركر باين ، فقد شعر أن المزيد سيأتي .

قالت : "إنني" - إنني في مشكلة فظيعة . ثم ضمت ثدييها
بإلتهام .

قال السيد باركر باين : هذا ما أراه . أتمنى أن بمقدورك أن
تخبريني بالأمر ؟

بدأ أن ذلك ما لم تكن الغفلة والثقة مع أبداً . حدثت إلى السيد
باين مايتايش ، ثم تكلمت فجأة بسرعة : نعم ، سأخبرك ، لقد
عزمتُ أمري الآن . لقد كاد القلق يقتلني ولم أعرف ما أفعل أو إلى
أي اتجاه ، ثم رأيت إملائك وفكرت في أنه ربما كان مجرد احتمال ،
ولكنه بقي في ذهني ، فقد بدا مريحاً جداً على نحو ما . وبعد ذلك
فكرت . فكرت بأنه لن يكون صواباً إن حدثت ووليت . فبوسعي دوماً
تقديم عذر والخروج ثانية إن لم... إن لم... .

- بالصلح ، بالصلح .

- ألهمني ؟ إن المسألة تعني الثقة بشخص ما

قال مبتسماً . وهل تشعرون أن بوسعك الثقة بي ؟

قالت الفتاة بشيء من الوفاة اللاواعية . غريباً ولكنني أشعر
بذلك دون أن أعرف أي شيء هناك أنا وثقة أن بوسعي الثقة بك .

- يمكنك أن تؤكد لك أن تثق لن تكون في غير محلها

- إذن فإني سأخبرك كل شيء عن الموضوع . اسمي هو دافني
سبنت جون .

- نعم يا آنسة سبنت جون .

- بل سيده فأنا . فأنا متزوجة .

تأوه السيد باركر باين متزعجاً من نفسه وقد لاحظ الخاتم
البلاتيني في الإصبع الأوسط ليدعها اليسرى ، وقال . ما أغاني !

قالت الفتاة : لو لم أكن متزوجة لما اهتممتُ إلى هنا الحد
أعني أن المسألة لم تكن لهم كثيراً إن التفكير بجيرالد... حسناً ،
إليك قصة المشكلة كلها !

نشبت في حفيبتها وأخرجت منها شيئاً وألقت على المكتب
حيث تدرج وهو يلتصق حتى وصل السيد باركر باين . كان ذلك
عزماً بلاتينا ذا الماسة ضخمة من السوليتير .

التفت السيد باين وأخذ إلى قرب التافذة ، ثم احتبره على
زجاج التافذة ، ثم وضع على عينه حذسة جواهرية وتفحصه بدقة ،
ثم قال وهو يعود إلى المكتب : الماس رائع جداً . أطلت يساوي نحواً
من ألقي جنبه على الأقل .

- نعم ، وهو مسروق... أنا سرقتها ولا أعرف ماذا أفعل .

- يا إلهي! هذا أمر جداً.

انهارت زبونه وواحت تشعب في مندبل لا يفي بهذا الغرض ،
فقال السيد باين : هيا ، هيا ، سيكون كل شيء على ما يرام

حففت الفتلة حينها ونشفت قائلة : آه ، هل سيكون كذلك حقاً ؟

- طبعاً سيكون كذلك ، أخبريني فقط بالقصة كلها

- حسناً ، لقد بدأ الأمر بفضيحة مررت بها وأنا امرأة سرفه
جداً ، وجيرارد يتزعج كثيراً من ذلك ، حيراره هو زوجي ، وهو أكبر
مني بكثير ، وله أنكار... مزمنة جداً ، فهو يرى أن وقوع المرأة في
الذين مسألة غريبة ، ولذلك لم أخبره . وقد ذهبت مع بعض الأصدقاء
إلى لوتوكبه ، وفلتت أني ربما أكون معطوطة قليلاً في الممار والتف
على رجلي من جديد ، وقد رجعت في البداية ، ثم رجعت ، ثم رأيت
أن علي الاستمرار في اللعب ، ثم... ثم..

- نعم ، نعم ، لا حاجة بك للخوض في التفاصيل . الخلاصة
أنك أصبحت في بلوي أكبر من أية بلوي سابقة ، أليس كذلك ؟

أومأت داني سبنتا جون برأسها موافقة وقالت : وبعد ذلك لم
أستطع - بساطة - إخبار جيرالد لأنه يكنه الغماز ، آه ، لقد كنت في
حال يرثي لها ، بعد ذلك ذهبت للإقامة أياماً مع عائلة دورتميرز قرب
كرويهام . وصاحب البيت نني جداً بالطبع ، وقد كانت روحه ناعمي
معي في المدرسة ، وهي جميلة وطيبة . وعندما كنا هناك لتحمل
فصل هذا الحاتم ، وهي صباح مغادرتنا ظلمت مني أن أحله إلى بائع
الحلوى الذي تتعامل معه في شارع بوند .

ثم سكنت ، فقال السيد باركر باين يساعدها ، ولأن غاني إلى
الجزء الصعب من القصة . استعري يا سيدة سبت جون .

قالت المرأة متوسلة : لن نعبر أحداً بذلك لهدأ ، أليس كذلك ؟

- إن أسرار زبائني مقدسة ، وعلى أية حال فقد أخبرتني - يا
سيدة سبت جون - ما يمكنني معه أن أكمل القصة من هندي .

- هذا صحيح . حسناً ، ولكنني أكره سره ذلك... فهو لطيف
جداً ، ذهبت إلى شارع بوند ، وهناك رأيت محل حلي آخر اسمه
لورو ، وهو محل يصنع تسخاً طبق الأصل من الحوامر . فجاءت ففدت
عقلي ، فلدغلت بالخاتم وقلت إنني أريد نسخة مطابقة له ، مبروة
ذلك بأنني صالرة إلى الخارج ولا أريد أخذ جواهر حقيقية معي
وبدا أنهم : أو! الأمر طيباً تماماً .

بعد ذلك حصلت على التسعة الزائفة ، وكانت من الإقنان
بحيث لا تستطيع تمييزها عن الخاتم الأصلي ، وأخذتها إلى الليدي
فلورينس . وقد كانت لديني عليه عليها اسم الحوامري الأصلي الذي
تتعامل معه الليدي ، وهكذا لم أجد صعوبة في الأمر ، وصعدت الخاتم
في العلبة ولففته بشكل يدل على الاحتراف . وبعد ما قممت... قممت
برهن الخاتم الحقيقي .

غابت وجهها بين يديها وقالت : كيف أمكنت ذلك ؟ كيف
لمنك ذلك ؟ لقد كنت نعمة وضبعة ؟

تتحن السيد باركر باين ولال : لا أظنك أكملت القصة تماماً .

- نعم ، لم أكملها . لقد حدث ذلك قبل نحو ستة أسابيع .

وقد وفيت كل ديوني حتى لم أعد مدينة لأحد، ولكنني كنت بائسة طوال الوقت بالطبع. وبعد ذلك توفي ابن عمّ حجروني وورث بعض المال، وكان أول شيء فعلته هو استعادة الخاتم وفك الرهن عنه - حسناً، لقد تم ذلك كما ينبغي، ولكن حدث أمر صعب جداً.

- وما هو؟

- تشاورنا مع عائلة دورليمر. وكانت المشاجرة بشأن بعض الأسهم التي أكتسب السير روبن دورليمر زوجي مشاركتها، وقد تكبد زوجي خسارة فادحة فيها فسيب السير دورليمر بأفدع الكلام. آه، إنه أمر فظيخ! والأمر لا أستطيع إعادة الخاتم.

- ألا تستطيعين إرساله إلى الليدي على أنه من مجهول؟

- هذا ينطرح الأمر كله! لأنها ستتخصص شاتمها فتجده مزيفاً وتخلص فوراً ما فعلته.

- أنت تقولين إنها صديقتك، لماذا لا تقولين لها الحقيقة كاملة... وتضمن نفسك تحت رحمتها؟

هرت السيدة ميسك جون رأسها وقالت: لست صديقتين إلى هذه الدرجة، وعندما يتعلق الأمر بالأموال أو الحلي فإن معومي فاقدة لأية مشاعر. ربما لا أستطيع ملاحقتي قضائياً إن أعدت لها الخاتم، ولكن يوسعها أن تضر الجميع بما فعلته فتدمري، وسبعرف جييراند وإن يسامحتني أبداً، آه، ما أفضح الأمر كله!

ثم بدأت تبكي من جديد وقالت: لقد فكرت وفكرت،

ولا أستطيع أن أرى ما يمكنك فعله! آه، يا سيد باين، ألا تستطيع فعل شيء؟

- من عدة أشياء.

- أستطيع؟ حقاً؟

- بالتأكيد. لقد اقترحت عليك أبسط الطرق لأشئ وجدها، بحبرتي الطويلة، أفضل الطرق! فهي تحت المرأة أي تعقيدات غير محسوبة، ومع ذلك فيمكنني أن أرى وجاعة اعتراضك. ألا يعرف أحد غيرك بهذا الحدث العزوف في الوقت الراهن؟

- أنت فقط.

- آه، أنا لا أأخذ! حسناً، إن سرك في حوز أمين حالياً. كل ما هو مطلوب هو تعديل الخاتمين بشكل لا يثير الريبة. قالت المنة بلهجة هذا هو الأمر.

- ينبغي أن لا يكون ذلك صعباً. ينبغي أن نأخذ بعض الوقت للتفكير في أفضل طريقة...

قاطعة قائلة: ولكن لا يوجد وقت! هذا ما يكاد يدفع بي إلى الجنون! إذ أنها ستأخذ الخاتمين لتبدلي حجره.

- وكيف عرفت؟

- بالمصادفة البحتة كنت أتعدى مع امرأة قبل يومين وأبدت إعجابي بمخاتم كان في يدها... من الزمرد النضج، فقالت إنه أمر

صحيحات الموضة وإن دعوي دورثير متأكد حاتمها لتغير حجره
وقد هذه الموضة.

قال السيد باروكر يابن متأملًا: مما يعني أن علينا التصرف
بسرعة، وهذا يعني ضرورة التناحر في إدخال أحدهم إلى البيت...
ولن ينجح أن يكون هذا المرء خادماً؛ فقرة الحدم في الوصول
إلى الخوازم الثمينة فرصة صعبة. هل لديك أنت أية أفكار يا سيده
سينت جون؟

- حسناً، إن دعوي مستقيم حفلة يوم الأربعاء، وصديقتي هذه
ذكرت أنها كانت تبتع عن فرقة للرقص الاستعراضية

- أظن أن الأمر يمكن ترتيبه. إن كانت المسألة قد تم ترتيبها
أصلاً فسيكون ذلك تكلفاً أكثر، هذا كل ما في الأمر. وهناك شيء
آخر. هل تعرفين مكان لوحة المفاتيح الكهربائية في البيت؟

- الحقيقة أنني أعرف ذلك بالفعل، فقد حدث هناك لحاس
كهربائي في ساعة متأخرة من إحدى الليالي بعد أن ذهب الحدم إلى
النوم. إن اللوحة في صندوق في مؤخرة الصالة داخل غرفة صغيرة،
وبناءً على طلب السيد يابن، قامت برسم مخطط للمكان.

قال السيد باروكر يابن: والآن سيكون كل شيء على ما يرام،
لا تقلقي يا سيده سينت جون. ماذا عن الخاتم؟ هل أعده الآن أم
تفضلين الانتظار به حتى يوم الأربعاء؟

- ربما كان من الأفضل أن أحفظ به.

- حسناً، لا حاجة لمزيد من القلق الآن.

سألت بشيء من القنوط: وماذا عن... أتعابك؟

- يمكن تأجيل ذلك حالياً، سأعبرك عما احتجته من نفقات
في يوم الأربعاء، وأؤكد لك أن الأتعاب ستكون مضمونة.

فادعها إلى الباب، ثم غنط على زر الحرس على مكتبه وقال:
أرسلني لي كلود ومادلين إلى هنا.

كان كلود لوتربيل واحداً من أشد طفلي المجتمعات الراقية
ومما في إنكلترا. أما مادلين دي سارا فكانت فتاة بائسة الجاذبية.

استرحهما السيد باروكر يابن باستحسان وقال: يا عزيزي،
عندي لكما عمل متكونان من أكثر الراقصين الاستعراضيين شهرة في
العالم، والآن اسمعني جيداً يا كلود، والفهم جيداً ما أقوله لك...

كانت الميدي دورثير مفتحة تماماً بالترتيبات التي أجراها
لحفلتها. استعرضت زينة الزمور ووافقت عليها، ثم أعطت بعض
الأوامر الأخيرة لكبير الخدم، وقالت لزوجها إن كل شيء قد سار
على ما يرام حتى الآن!

وقد كانت حية أمل بسيطة أن هاككل وغواتينا الراقصين من
فرقة ريد أدميرال، لم يستطيعوا الإبقاء بعقدتهما في اللحظة الأخيرة
بسبب الفناء في كاحل غواتينا، ولكن تم بدل ذلك إرمال وراقصين
أثارا عاصفة إعجاب في باريس. وهكذا فست النصة على الهاتف.

وصل الرافضان في الوقت المحدد وحظيا مقيول الذي
دورليم، ومقت الأسيه بشكل رائع. وقد قام خوليس وساتيا
مقرتهم وكانت مبتة جداً، وقد تضمنت رقصة صابغة بومان
الثورة الإسيانية، ثم تم استعراض رائع للرقص الحديث.

وبعد أن انتهى الاستعراض، تم استئناف الرقص العادي. وقد
طلب خوليس الوصم مراقبة اللبدي دورليم، وطافاً معاً يرقصان.
أما السير ووين دورليم فقد كان يبحث عن ساتيا عفاً، إذ لم تكن
في قاعة الرقص (والحقيقة أنها كانت في الخارج، في الصالة الفارغة
قرب علية صغيرة على الجدار، وغناها ثابنتان على الساعة الثمينة
التي كانت تضعها في مصفاها)

نعم خوليس في أذن اللبدي دورليم أنت لست إنكليزية...
لا يمكن أن تكوني إنكليزية بطريقتك وأصداك الرائعة هذه. دروشكا
يبرولكا فالارونشي
- أية لغة هذه؟

قال خوليس كاذباً: الروسية. إنني أقول بالروسية شيئاً لا أجرو
على قوله بالإنكليزية

وفجأة انطلعت الأنوار فسحبت اللبدي دورليم يدها، ولكن
خوليس قام بحركة بارعة، وعلى سحر ما اتزلق خاتم من إصبعها
إلى يده. وقد بدا لللبدي أن انقلاخ الكهرباء لم يدم إلا ثانية واحدة
وجدد بعدها خوليس يتسم لها قائلاً: حاتمك، لقد التزق من يدك.
هل تسمحين لي؟

ثم أعاد وضعه لي إصبعها فيما كان السير دورليم يتحدث عن
لوحة مفاتيح الكهرباء ويقول: لا بد أنه مقفل ما.

• • •

وصل السيد باركو باين إلى مكتبه صباح الخميس ليجد السيدة
مبتة حون في انتظاره، فقال لسكوتيرته: أدخلها

دخلت وقالت له بكل لهفة: ماذا حدث؟

قال لها بلهجة اتهام: تبدين شاحبة الوجه.

هرت رأسها وقالت: ثم أستطع النوم طوال الليلة الماضية.
كنت أسأل...

- ما هي فائرة التكاليف. أجور نفويص، ولزباد، وعمسون
جنيهاً لمايكل وجوانينا. المجموع خمسة وستون جنيهاً وسبعة عشر
شكلاً.

- نعم، نعم. ولكن ماذا بشأن الليلة الماضية؟ هل نجح
الأمر؟

نظر إليها السيد باركو باين ذهناً وقال: يا حاتي العزيزة! لقد
نجح الأمر بالتأكيد! لقد افترغيت! - جدلاً- أنك قد فهمت ذلك.

- يا له من ارتياح! لقد خشيت...

هر السيد باركو باين رأسه مودناً وقال: إن القتل كلمة غير
مسموح بها في هذه المؤسسة، فإن لم أكن أرى أن بإمكانني النجاح

فإنني أرفض تولي القعدة أساساً، وإذا ما توليت قضية فإن مجازها يكون مسألة محسومة عملياً.

- هل استردت عثامتها حقاً دون أن تشك بشيء؟

- لم تشك بشيء أبداً؟ لقد تم تنفيذ العملية بكل دقة ومهارة.

تهندت دافني سينت حوث وقالت: إنك لا تعرف الحمل الذي نزل عن عاتقي. ماذا كنت تقول عن الدكتوريف؟

- خمسة وستون جنيهاً وسبعة عشر شلنًا.

خضعت السيدة سينت حوث حقبتها وهدأت القرد، وشكرها السيد باركر باين وكتب لها إيصالاً باستلام المبلغ. وقالت: ولكن ماذا عن أنعامك؟ هذا فقط لتغطية التغطات.

- في هذه القضية لا توجد أنعام

- آه يا سيد باين! إنني لا أستطيع قبول ذلك.

- إنني أسر يا فتاتي العزيزة، لأن الشمس بنسأ وهدأ، فسيكون ذلك مخالفاً لمبادئنا. ها هو إيصالك. والآه...

وبإيضاة ساحر يُخرج حيلة ناجحة صاحب حيلة صغيرة من حبه ودفعها إليها عبر المكتب، فتحت دافني، وكانت بداخلها النسخة طبق الأصل من الخاتم. قالت السيدة سينت جون وهي تُعطي وجهها لمظهر الاشتغال: مبص... لكم أكرهك! تراودني نفسي أن ألقى بك من النافذة.

قال السيد باركر باين: ما كنت لأفعل ذلك، فهذا قد يُدعش الناس.

- أأنت واثق تماماً أنه ليس الخاتم الأصلي؟

- نعم، نعم! إن الخاتم الذي أوتيت إياه في المرة السابقة هو الآن في يد الليدي دورثير دون شك.

تهضمت السيدة سينت جون ضاحكة بسرور وقالت: حسراً إذن.

- ولكن من الغريب أن تسأليني ذلك، إذ أن كلود العسكين لا عقل له بالطبع، وربما اختلط عليه الأمر بسهولة. ولذلك؛ وبغية التأكد، جعلت أحد الخبراء يقي بطراً على هذا الخاتم صباح اليوم. جلست السيدة سينت جون ثانية بشكل مفاجئ وقالت: آه! وماذا قال؟

قال السيد باركر باين مبسماً: قال إنه تقليد ممتاز جداً صنع من الدرجة الأولى، ولذلك فإن هذا سريع بالذات، أليس كذلك؟

بدأت السيدة سينت جون تريد قول شيء ثم توقفت، وأخذت تتحدث إلى السيد باين الذي عاد للحلوس خلف مكتبه وهو ينظر إليها بلطفه. ثم قال حالماً: الملقط الذي يأخذ الكشاء من بين الجعر، إن دور الملقط هذا ليس دوراً لطيفاً... ليس بالدور الذي يمكن أن أستهه لأني من موطن. «فروا» هل قلت شيئاً؟

- آنا... لا لا شيء

قال السيد بلوكر باين :

جيد. أريد أن أتعرف عليك قصة صغيرة يا ميدة حيث حزن.
قصة من فتاة أظنها شغراء الشعر، وهي ليست متروجة وليس اسمها
سيت جون، واسمها الأول ليس دافني. اسمها إيرستين ريتشاردز،
وقد كانت حتى عهد قريب - مكرتيرة لليدي دورنير.

حسناً، لتدخل في أحد الأيام مع حاتم الليدي دورنير،
وأحفنة الأتية ريتشاردز إلى العذبة لثيثة. تماماً كتعصتك تلك،
اليس كذلك؟ وقد علمت للأتية ريتشاردز نفس الفكرة التي علمت
لك: «فأنت بعمل نسخة عن الخاتم» ولكنها كانت فتاة بعيدة النظر،
وقد توقعات أن يأتي يوم تكشف فيه الليدي دورنير استبدال الخاتم،
وعندما يحدث ذلك فإنها ستتذكر من الذي أخذ الخاتم إلى المدينة،
وسأقوم الشكوك حول الأتية ريتشاردز فوراً.

ما الذي حدث إذن؟ يخيل لي أن الأتية ريتشاردز قد قامت
«بتأدية» - بأمره تغيير على شكلها، وغيرت تصفيفة شعرها ولونه
ليصبح بيتاً غامقاً بعض الشيء، ثم قامت بزيارتني، حيث أرثني
الخاتم، وسأمت لي بأن أضع نفسي بأنه حقيقي، بحيث تريد أية
شكوك قد تولد عدي. وبعد القيام بذلك، ووضعت خطة استبدال
الخاتم، أخذت للشابة الخاتم إلى الجواهرية التي أعادته بعد ذلك
لليدي دورنير.

وفي مساء أمس، تم علي جدول تسليم الخاتم الآخر العزيز
في آخر لحظة في محطة قطار واترلو. وقد اعتبرتم الأتية ريتشاردز
(وهي محقة في ذلك) أن السيد لوتريل لا يُقبل أن يكون حبيراً حمية

في الجواهر. ولكنني، لمجرد إقناع نفسي بأن كل شيء مستقيم
في المعملية، ريثم توجد صديقي لي من تجار الحلي على متن
نفس القطار. وقد نظر إلى الخاتم وأعلن فوراً أنه ليس من الألماس
الحقيقي، ولكنه تقليد ممتاز له.

إنك تفهمين الحقن طبعاً يا ميدة حيث حزن، ليس كذلك؟
فما الذي ستذكره الليدي دورنير عندما تكتشف حسانتها؟ سوف
تذكر الرافض الشاب الوسيم الذي سحب الخاتم من إصبعها عندما
انطدأت الأمور، وسوف تقوم بتعريفات وتحدد أن الرافضين اللذين
تم الاتفاق معهما أولاً قد تمت رشوتهما حتى لا يأتيها وإذا ما فادت
التعريفات إلى مكنتي فإن من شأن قصتي عن السيدة حيث جوز أن
تبدو ضعيفة أشد الضعف؟ فالليدي دورنير لم تعرف أبداً ميدة
باسم حيث جون، وعندي القصة لفريقاً بيتاً. ولعلك تفهمين الآن
أني لا يمكن أن أسمع بذلك، ولذلك فإن صديقي كلود قد وضع
في إصبع الليدي دورنير نفس الخاتم الذي عزمه!

ثم انضم السيد بلوكر باين دون أن تكون إبتسامات لطيفة الآن،
وقال: هل فهمت لماذا لم أستطع تقاضي أتعاب منك؟ إنني أضعم
توضير السعادة، ومن الواضح أنني لم أوفر لك السعادة. وسأقول
شيئاً واحداً آخر إنك خائبة، وربما كانت هذه أول محاولة لك في
أمر كهذا. أما أنا فعلى العكس! فأنا متقدم في العمر نسبياً، ولقد
اكتسبت خبرة طويلة في إعداد الإحصائيات. ويمكنني - من هذه
الخبرة - أن أؤكد لك أن سبعة وثمانين بالمئة من القضايا لا يمد بها
النش والخداع. سبعة وثمانون بالمئة، فكري في هذا الأمر!

نهضت السيدة الزائفة سبت حزن بحركة سريعة وقالت: أيها
المتعلق الوغد العجوز! تفرد بي وتجعلني أدفع النفقات! وأنت
طوال الوقت..

ثم طعنت الكلمات في قلبها وانطلقت باتجاه الباب.

قال السيد بلوكر باين وهو يمد يده بالحقائب: خذملك.

تسلقت حته، فنظرت إليه ثم ألقت من النافذة المدنوسة، ثم
خرجت وصفيقت الباب خلفها.

نظر السيد بلوكر باين من النافذة بشيء من الاهتمام وقال: كما
توقعت، لقد أثار ذلك الكثير من الدهشة، فبالع الخرداوات لا يعرف
ما يفعل بالحقائب.



قضية الزوج المحتط

سما لا شك فيه أن إحدى الصفات العظيمة لدى السيد باركر
 باين كانت أسلوبه المتعاطف، فقد كان ذلك الأسلوب يوحى بالثقة،
 وقد كان يعرف تمام المعرفة ذلك النوع من الشغل الذي يهبط على
 رؤيته بمجرد دخولهم إلى مكتبه. وكانت مهمة السيد باين أن يمد
 الطريق أمام الاعترافات الضرورية

وهي هذا الصباح - بالذات - جلس بواجهة زيوناً جديداً يُدعى
 السيد ريجينالد ويد، وقد استنح قوياً أن السيد ويد كان من النوع
 الذي لا تحسن التعبير عما في نفسه؛ ذلك النوع الذي يجد صعوبة
 في وضع أي شيء في علاقة بالعواطف على شكل كلمات.

كان وجلاً طويلاً هزئياً ذا عشرين زرقاوين هادتين مريضتين
 وبشرة مفتحة الشمس. جلس وهو يشد ثيابه الضيقة بشروط وهو
 ينظر إلى السيد باركر باين بكل ما يلبسه حيوان أبكم من شغفة وقال
 بسرعة: لقد رأيت إصطلاطك، وفكرت بأن من الأفضل أن أتى إليك
 مسألة موهبة، ولكن المرة لا يدري، ماذا؟

فسر السيد باين هذه الملاحظات الغامضة بشكل صحيح،
 وقال: عندما تموء الأحرار يصبح المرة مستعداً للمجازفة والتحرية.
 - نعم، نعم؛ بالفيط. إني مستعد للمجازفة -، لاية مجازفة.

إن الأمور صعبة معي يا سيد باين ولا أدري ماذا أفعل لإدائها. صعبة ، صعبة جداً.

- وهنا يأتي دوري ، فأنا أعرف ماذا أفعل ! إنني مختص بكل أنواع المتاعب البشرية.

- آه ، هذا أمر صعب بعض الشيء !

- ليس صعباً حقاً ، فالمشكلات البشرية يمكن تصنيفها ضمن بضعة عناوين أساسية بسهولة. اعتلال الصحة مثلاً ، والمطل ، ونساء قلقات بسبب أزواجهن ، وأزواج...

توقف قليلاً ثم أكمل : فقلوب بشأن زوجاتهم.

- الحقيقة أنك أصبت صميم الموضوع... أصبت صعبه تماماً.

- أخبرني بالأمر.

- لا يوجد الكثير مما يمكن قوله ، مارجي تريدني أن أطلبها بحيث تستطيع الزواج برجل آخر.

- هذا شائع جداً في أيامنا هذه حقيقة ، ولأن أفهم أنك لا ترى وأنها تماماً في هذا الأمر.

قال السيد ويد يساعده : إنني أحبها

كانت تلك عبارة بسيطة ومكرورة إلى حد ما ، ولكن لو قُدِّر للسيد ويد أن يقول : إنني مجنون بها... إنني مستعد لتفطيم نفسي

لربما لرباً من أجلها (أو أي عبارة أخرى مشابهة) لما كان ذلك أكثر وضوحاً وتأثيراً بالنسبة للسيد يادجر باين

ومضى الرجل قائلاً : ومع ذلك ، فما الذي يمكنني عمله ؟ أهي ، إنني عاجز تماماً ، لأن كانت تفضل ذلك الرجل الآخر. وليس موسمي سوى أن ألتحقى جالساً.

- والفتوح هو أن تقوم هي بطلب الطلاق ؟

- بالطبع ، فلا أريد لها أن تعاني من الشد والجذب الطويلين في محاكم الطلاق.

نظر إليه السيد يادجر باين شاملاً وقال : ولكنك جئت إلي؟ لماذا؟

ضحك الرجل بنحو مله وقال : لا أدري... الحقيقة أنني لست بالرجل الذكي ، ولا أستطيع التفكير بوسائل وطرق. وقد ظننت أنك ربما اقترحت علي شيئاً ، فلقد سته أشهر ، وقد وافقت على ذلك. فإذا ما غلقت سمعك الأشهر الستة - مصممة على ما في رأسها عندنا أخرج من حياتها لقد ظننت أنك ربما استطعت أن تعطيني فكرة أو فكرتين إذ كل ما أفعله يرجعها في الوقت الحاضر... أنفهمني يا سيد باين ؟ خلاصة القول أنني لست وحلاً ذكياً ؟ إنني أحبه الألعاب الكروية... أحب لعب الغولف ، وأستمتع بمعدة تنس جيدة ، ولكنني لست بارعاً في أمور الموسيقى والفن وغير ذلك. أما زوجتي فهي ذكية ونحبه السيسا والأويرا والحفلات الموسيقية ، ومن الطبيعي أنها تمل حني. أما ذلك الرجل الآخر ، وهو رجل قذر طويل الشعر ،

فإنه يعرف كل شيء عن هذه الأمور، ويمكنه الحديث عنها بينما لا أستطيع أنا ذلك. يمكنكني - على سعي ما - أن ألهم سأثم امرأة ذكية حيلة من حماري علي.

قال السيد باركر يابن بصوت هادئ: كم مضى على زواجك؟ تسع سنوات؟ وأحب أنك تبثت هذا الموقف منذ البداية... وهذا خطأ يا سيدي العزيز؛ خطأ كارثي تماماً؛ لا تبتث موقفاً اعتباطياً ضعيفاً مع امرأة أبداً، وإلا فلها ستعاملك وفق تفويحك لنفسك.. وستكون مستحقاً لذلك! كان عليك أن تعارض بحريتك الرأسمالية وكان عليك أن تتحدث عن الفن والموسيقى باعتبارهما كل ذلك الهراء الذي تحبه زوجتي! - كان ينبغي أن تعزبها على عدم قدرتها على لعب الرياضة بشكل أفضل! إن القضية المتواضعة المسكينة سها سيدي العزيز - هي الفشل الذريع في الحياة الزوجية؛ فلا يتوقع من امرأة أن تحصل ذلك أبداً. ولا عجب أن زوجتك لم تستطع إكمال المسيرة.

كان السيد ويد ينظر إليه بحيرة، ثم قال: حسناً، ماذا نقول أن علي أن أفعل؟

- هذا هو السؤال بالتأكيد. لقد فأت الآن وقت القيام بكل ما كان ينبغي القيام به قبل تسع سنوات.. يعني تبني أساليب جديدة. هل سبق لك أن اقترعت من نساء أخريات؟

- كلا بالتأكيد.

- ولا بشكل علني؟

- إنني لا أهتم كثيراً بالنساء.

- حسناً، يعني أن تبدأ الآن

بدا السيد ويد مذهوراً وقال: آه، اسمعني، لا أستطيع حقاً... أعني...

- لن تعرض لأي مشكلات في ذلك، سيتم ترتيب أمر إحدى العائلات لتدعي لتزوي هذا الدور، وسوف تخبرك بما هو مطلوب منك. ومن الطبيعي أنها ستفهم أن أي اهتمام تبديه نحوها سيكون مجرد عمل.

بدا الأرتياح على السيد ويد وقال: هذا أفضل. ولكن هل ترى حقاً... أعني أنني أظن أن إريس ستكون - هي هذه الحالة - أحرص على التخلص مني.

- إن معرفتك بالطبيعة البشرية ضعيفة يا سيد ويد، والأضعف منها معرفتك بالطبيعة الشريرة للنساء. إنك الآن - من وجهة النظر النسوية - سلعة فائصة عن الحاجة! لا أحد يريدك. فما استفادة امرأة من شيء لا أحد يريد؟ لا فائدة لها منه على الإطلاق. ولكن عذراً الأمر من منظور آخر اعترض أن زوجتك ككتشت أملك تتطلع إلى الفوز بحريتك من جديد بقدر ما تتطلع هي.

- ينبغي عندها أن تسعد لذلك.

- ربما كان ينبغي ذلك، ولكنه لن يحصل! وفوق هذا فشري زوجتك أنك قد لغت إصحاب شابة جذابة... شابة يمكنها أن تختار وتتقي من نساء. سوف تعاون أسهمك مورياً، وتعرف زوجتك أن كل صديقاتها سيهنن إنك أنت الذي صنعت منها ورغبته في الزواج بأمرأة أكثر جمالاً... وسوف يزعجها هذا.

- أنظرن ذلك؟

- بل إنني واثق منه. ولا شك أنها ستحاول استردادك دون أن تتخلى من الرجل الآخر، ولكنك ستدري أن شترذا ستكون عقلانياً وتردد على مسامحة كل حبيبها. "من الأفضل كثيراً أن نفرق"، أمزحتنا مبتدئة. وسوف تدرك أنه في الوقت الذي كان كلامها صحيحاً حول عدم فهمك لها أبداً، فإن الصحيح أيضاً أنها لم تفهمك أبداً هي الأخرى. ولكن لا حاجة بنا للمضي إلى هذا المدى الآن، فستملك تعليمات كاملة في الوقت المناسب.

بدأ أن السيد ويد لم يزل متشككاً، وسأل بارتياح: أنظرن أن عطفك هذه مستحج حقاً؟

قال السيد يادوكراين بحدس: لن أقول إنني واثق كلياً من ذلك؛ إذ يوجد احتمال طفيف لي أن تكون زوجتك محبة لذلك الرجل الآخر سبباً جازفاً لا يفيد معه أي شيء نقوله أو نفعله، ولكنني أعتبر ذلك أمراً غير محتمل. فربما سأتها إلى مثل هذه العلاقة؛ الحمل من جو التعلق غير المشروط والإخلاص التام الذي أحسنتها به دون تفكير منك. وإذا ما أثبتت تعليماتي فلنني أرى أن الاحتمالات في صالحك بنسبة سبعة وتسعين بالمئة.

- هذا جيد جداً سأفعل ذلك. وبالمناسبة - كم الكلمة؟

- أتعلمي هي متنا جنبه تُدفع مقدماً.

مسحب السيد ويد دفتر شيكاته.

• • •

كانت حداثتي مثل لوريم كوروت رائعة تحت أشعة شمس مصر؛ وكانت إيريس لتتعد بملاسلها الزاهية على كرسى طويل وتتحدث مع صديقتها السيدة ماسينغتن (التي كانت تحدها - دوماً - صديقة متعاطفة معها)، وكانت المرثان قد أبليت بزوجين رياسيين يتراوح كلامهما، دوماً وبالتاب، بين الأسمم والفولف.

ألهمت إيريس حديثها قاتلة؛ وهكذا يتعلم المرء أن يعيش ويترك لغيره أن يعيش.

قالت السيدة ماسينغتن: "إنك رائعة يا هزيرتي". ثم أضافت بسرعة: أغربي من هي هذه الفتاة؟

رفعت إيريس كتفاً شينياً وقالت: لا تسأليني! لقد وجدتها ريجي. إنها صديقتي الصغيرة! أمر سُئِلَ جداً فأنت تعلمين أنه لا ينظر إلى الفتيات عامة. وقد جاء إليّ فهمهم وعصم وقال أخيراً إنه يريد دعوة هذه الأكسدة دي سارا، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هنا. وقد ضحكك بالطبع... لم أتصالك نفسي؟ فهو ريجي الذي تعرفين! وما هي هنا.

- أين التقى بها؟

- لا أدري، لقد كان غامضاً جداً حول الأمر كله.

- ربما كان يعرفها منذ وقت طويل.

- آه، لا أنظن ذلك، وبالطبع فلنني مسرورة... مسرورة تماماً.

أعني أن ذلك يجعل الأمر أسهل بكثير عليّ؛ لأنني كنت حقاً حزينة على ريجي؛ فهو مسكين، وهذا ما غلبت أردوه على سينكلير... أن

الأمر مبهج ويحيي كثيراً، ولكنه أسر على أن يحيي مستغلب على ذلك سريعاً، ويبدو أنه كان على حق، فبعد يومين كان يحيي يبدو كسير القلب... وما هو الآن يريد دعوة هذه الفتاة إلى هنا؟ وكما قلت فلاني سعيدة! إنني أحب رؤية يحيي يمتع معه. يخيل لي أن المسكين طرأً أنني ربما شعرت بالغيرة... يا لها من فكرة سخيفة! وقد قلت له: 'بالطبع، أحضر صديقك'. يا لرحمي المسكين! وكان فتاة كهذه يمكن أن تهتم به أبداً... إنها تسلي نفسها فقط.

قالت السيدة ماسيفتن: إنها جميلة جداً... تكاد تكون عظيمة الجمال! من ذلك النوع الذي لا يهتم إلا بالرجال، ونسب ما لا أشعر أنها يمكن أن تكون مثاة لدرجة حقاً.

- ربما لا تكون كذلك

قالت السيدة ماسيفتن: وهي ترتدي ملابس رائعة جداً.

- ألا ترين أنها ملابس مفرقة في هرايجها قليلاً؟

- ولكنها جميلة جداً.

- تتظاهر بالغبى. إنها تبدو سعيدة للتظاهر بالغبى.

- ما قد وصل.

كانت مادلين دي سارا تمشي مع يحيي ويد على المرحبة المشية كأنها يصحكان ويتحدثان معاً ويبدوان بأسعد حال، ومرت مادلين نعلها على كرسي، ونزعت قبعة الرياضة التي كانت ترتديها

ثم مررت بديها خلال غصلات شعرها الأسود الجميل.

لا صيل لإنكار جمالها.

صاحت: لقد قمنا وقتاً واقعاً جداً! إنني أشعر بحر شديدة لا بد أنني أبعد فظيعة الشكل.

جفل يحيي ماريفال عندما سمع الحملة التي كانت إيذاناً له ليترككم. ثم قال: إنك تبهين... تبهين...

ثم أطلق صيحة صغيرة، أكمل قائلاً: لن أقولها

انقست عيناً مادلين بعينيه. كانت نظرة تفهم كامل من طرفها، وقد انتهت السيدة ماسيفتن لذلك بكل بظقة.

قالت مادلين لمطيفتها: ينبغي أن تلقي الغراف كبلا تقولك الكثير من المتعة لماذا لا تعلمينه؟ لدي صديقة تعلمته وأصبحت ماهرة جداً، وكنت أكرمتك كثير

قالت إيريس هرود: إنني لا أهتم بمثل هذه الأشياء.

- ألا تتزين الألعاب؟ كم هو سيء بالنسبة لك! إنه أمر يجعل العمر يشمر بأنه فاقد للصلة مع العصر. ولكن التزويج قد أصبح حقاً ممتازاً هذه الأيام - يا سيدة ويد - بحيث صار يقدرون أي امرئ أن يلعب بشكل جيد. لقد حشنت لمبي في التسن كثيراً في الصيف الماضي، ولكنني سبته حذاً في لعب الغولف.

قال يحيي: هراء! أنت لا تحتاجين إلا للتدريب... ألم تري

كيف تقدمت تلك الضربات بالمغرب التحاسي قبل قليل؟

- ذلك لأنك علمتي كيف أمرها؛ فأنت مدرب ممتاز. إن الكثير من الناس لا يحسنون التدريس، ولكن لديك هذه الموهبة. لا شك أنك تشعر بتفوق رهيب... إن بوسحك القديم بأي شيء.

قال ريجي بارتيلك: مراد! لست جيداً في شيء... لا فائدة مني أبداً.

قالت مادلين وهي تلثت إلى مصيفتها: ينبغي أن تكوني لمخورة جيداً به. كيف استطعت الاحتفاظ به كل هذه السنين؟ لا بد أنك كنت شديدة الذكاء... أم أنك خيائياً بعيداً عن أعين الناس؟

لم تحبها مصيفتها. بل مدت يداً مرتجفة وأخذت كتابها. وتتمم ريجي بكلام من حاجته لتبديل ملابسه وذهب.

قالت مادلين لمصيفتها: إنني أرى أن من لعنتك الشديد أن تستغيبني هنا؛ فبعض النساء شكاكات جيداً في مصيفات أزواجهن. إنني أرى - فضلاً - أن الغيرة أمر سيئ، ألا ترى ذلك؟

- أرى ذلك بالتأكيد... ما كنت لأحلم بالغيرة على ريجي

- هذا رائع؛ لأن بوسع أي لمرء أن يرى أنه حبيب جيد. لقد شددت عندما سمعت أنه متزوج. ما بال الرجال الجذابين يختصقون سريعاً وهم صفراء؟

- أنا سعيدة لأنك تجدني ريجي جذاباً إلى هذا الحد.

- إنه جذاب فعلاً، أليس كذلك؟ وسيم تماماً، ورياضي ماهر

جداً. تلك اللامبالاة التي يتظاهر بها تجاه النساء؟

قالت السيدة ويد: أحسب أن لديك الكثير من الأصدقاء الرجل

- آه، نعم. إني أحب الرجال أكثر من النساء؛ فالنساء لمن لطيفات عني حقاً. لا أفري السبب في ذلك.

قالت السيدة ماسيكتن بصحبة صغيرة: ربما كنت لطيفة جداً مع أزواجهن؟

- المرء يشعر بالعزلة على الناس أحياناً؛ فالكثير من الرجال الراغبين يكونون مرتعشين بزوجاتهم مملاّت حذاءً من أولئك النساء مدعيات الفن والثقافة العالية. ومن الطبيعي أن الرجل يريد فتاة شابة تفهمه. أعتقد أن الأفكار العبدية الخاصة بالزواج والطلاق حكيمه حذاءً. فليذا المرء ثالبة، وهو ما يزال شاباً، مع شريك حياة يبادل الكثير من الأذواق والأفكار؛ فهذا أفضل للجميع في نهاية المطاف. أظن أن احصاء المرء لمحباته والسافرة للبه من جديد أمر حكيم تماماً. ألا ترى ذلك يا سيدة ويد؟

- بالتأكيد.

أدركت مادلين سيوحي بفظ - أنه البرود الشديد قد ماض جو الحديث، فتمتعت بشيء من تغيير ملابسه استعداداً لتناول الشاي وتركتهما.

قالت السيدة ويد: إن بنات هذه الأيام هؤلاء مقبات جداً. لا تجدن فكرة واحدة في رؤوسهن.

قالت السيدة ماسينغ: ولكن لدى هذه الفتاة فكرة واحدة في رأسها يا إيريس... إن الفتاة تحب ويحي.

- غرام!

- إنها نحبة - لقد رأيت طريقة مغرنا إلى قلب قليل؟ إنها لا تأبه أبداً لكونه متزوجاً أم غير متزوج، وهي تنوي الحصول عليه... أمر مغرور!

بقيت السيدة ويد ساكنة للحملة ثم صحت بشيء من التردد وقالت: وماذا يهمك في نهاية الأمر؟

وسرعان ما نهضت السيدة ويد هي الأخرى وصعدت إلى الطابق العلوي، كاد زوجها في حرفة الملابس يبدل ثيابه، وكان يغني.

قالت له: أستمع بترك يا عزيزي؟

- نعم، تقريباً.

- بعددي ذلك؟ أريدك أن تكون سعيداً.

- نعم

لم يكن تمثيل الأدوار أسد نقاط القوة عند ريجي ويد، ولكن ما حدث هو أن حرجه الشديد الناتج من تفكيره بأنه يؤدي دوراً كان مناسباً جداً، فقد تجسب نظرات زوجته، وكان يحفل عندما تتحدث إليه، وقد شعر بالخجل وكره هذا التوبيخ كله، ولكن لم يكن شيء يمكن أن يترك أثراً أبلغ أو أشد من ذلك؛ فقد بدا مثالاً لمن يورف دتب بفعله.

سألت زوجته فجأة: منذ متى وأنت تعرفها؟

- من نعمين؟

- الأيسة دي سارا بالطبع.

- لا أعرف بالقسط أعني... منذ بعض الوقت.

- حقاً؟ ولكنك لم تذكر شيئاً عنها؟

- أليكم أذكروها؟ أحسبه أنني نسيت

قالت: 'نسيت فعلاً؟'، ثم غادرت سريعاً وتركها البصيص يلتف معها.

بعد تناول الشاي قام السيد ويد باصطحاب الأيسة دي سارا لرؤية حديقة الورود، مشى الاثنان عبر المرحبة العشبية وهما يحسان بأريعة عين ثلثع ظهر بهما.

قال السيد ويد ليبرغ الحب عن كماله وقد أصبحا أمثين في حديقة الورود: اسمعيني، أظن أن علينا التخلي عن هذا الأمر. لقد ظهرت إلي زوجتي الآن وكأنها تذكرني.

قالت مادلين: لا تعلق، فالأمر على ما يرام.

- أظن ذلك؟ أعني أنني لا أريد أن أفسد عدولتها. لقد

قالت عدة أشياء مقذعة أثناء تناول الشاي.

- الأمر على ما يرام. إنك تتصرف بشكل رائع.

- انظرن ذلك حقاً؟

- نعم -

ثم مضت قائلة بصوت منخفض: إن زوجتك تعيش عند زاوية المصلية، وهي تريد أن ترى ما نفعله. الأفضل أن تعتر عن حرك لي بصوت مسموع.

قال السيد ويد ماوتبال: أه؟ أليحب ذلك؟ أعني...

قالت مادلين بشدة: قل أي شيء بسرعة!

خرجت من فم السيد ويد بعض كلمات الغرل المتعثرة التي بدت طيبة تماماً مع ما خالطها من أرنيلك، وقد كان من شأن مادلين أن تعالج أي نفس في جوية الأداء وتبادلها بكلمات مماثلة.

ثم سألت: هل كرهت ذلك كثيرًا؟

قال يلونيك: "لا، لا ولكن... ولكن الأمر كان مفاجئاً". ثم قال بحزن: أترين أننا مكنتا في حديقة المورود بما يكفي من الوقت؟

- أظن ذلك، لقد قمنا بعمل رائع هنا.

مادا إلى العرجة المعنية، وأبلغتهما السيدة ماسينغ أن السيدة ويد قد ذهبت لتتمدد قليلاً.

وفي وقت لاحق جاء السيد ويد إلى مادلين بوجه حائر متكون وقال: إنها بحالة خالية. حالة حستيريا.

- جيد -

- لقد رأينا وسعدنا.

- حسناً، هذا ما قصدناه أساساً

- أعرفه، ولكني لا أستطيع قول هذا، أليس كذلك؟ لم أدري ما أقول. قلت إنها كانت مجرد مجرد كلام عابر.

- ممتاز.

- قالت إنك تخططين للزواج بي وقالت إنك فتاة سيئة، وقد أزعجني ذلك... فقد بدا حقاً سيئاً جداً بالنسبة لك أعني في وقت لا تقومين فيه إلا بعمل محض. قلت لها: إنني أكن لك احتراماً بالماً وإن ما قالته ليس صحيحاً أبداً، وأظنتي غيبث عندما استمرت في الموضح.

- هائل.

- ثم طلت مني أن أرحل. وقالت إنها لا تريد التحدث إلي أبداً بعد الآن. ثم تحدثت عن جمع أمتعتها ومغادرة البيت.

كان وجهه يتضيق بالأسى. ولكن مادلين ابتسمت وقالت: سأقول لك كيف تبيها على هذا، النقطة الأخيرة: قل لها إنك أنت الذي سيرحل وإنك ستحرم أمتعتك وتغادر إلى المدينة.

- ولكني لا أريد ذلك!

- لا بأس بذلك، هل تُدبر للمغادرة؟ فمن شأن زوجك أن تكرر التفكير بك وأنت تمنع نفسك في لندن.

في اليوم الثاني كانت لدى ويدي ثروة أخيار جديدة
يلبعضها: لقد قالت إنها كانت تفكر بأنه ليس من الإنصاف أن نغادر
طالما أنها وعدت بالبقاء ستة أشهر، ولكنها قالت إنها لا ترى سبباً
يسمها من دعوة أصدقائها إلى هنا طالما أنني أدهو أصدقائي. ولذا
سندعو سينكلير جوردان.

- أعر صاحبها؟

- نعم. - ولتبي سأكون مغفلاً إن سمحتم له بالمجيء إلى هذا
البيت!

- ينبغي أن تسمح له. لا تطلق. سأقول أنا أأمره على لها إنك
لا تعارضين محبته بعد أن فكرت في الأمر ملياً، وإنك تعلم أنها لن
تعارض بقائي هنا أبداً

شهد السيد ويد وقال: آه، يا إلهي!

- لا تفقد شعاعك! كل شيء يسير بشكل رائع. أسودان
آحزان وتحت كل متاعبك.

- أسودان؟ أنطين ذلك حقاً؟

- أظن ذلك؟ بل أنا والله معه

بعد أسبوع من ذلك دخلت مادلين دي سارا مكتب السيد باركر
باين وألقت بفسها بسام على أحد الكراسي

قال السيد باركر باين مستخفاً: جاءت خاتمة الأرواح!

- خاتمة الأرواح؟

ثم أملتت صيحة وقالت: إني لم أصادف - أبداً - صعوبة في
عملي كما صادفت هذه المرة. إن ذلك الرجل مهووس بروجته!

قال السيد باين مستخفاً: نعم، بالفعل. ولكن هذا يجعل مهمتنا
أسهل.

ضحكت الفتاة وقالت: لو تعرف الصعوبة التي لاقيتها!

- حسناً. هل ألحزت مهمتك؟

- نعم. أظن أن كل شيء على ما يرام. لقد حدث مشهد رائع
ليلة أمس. هل كان آخر تقرير لي قبل ثلاثة أيام؟

- نعم.

- حسناً، كما أخبرتك: لم يتطلب الأمر مني سوى خطة
واحدة إلى ذلك الحشرة النعيسة سينكلير جوردان، فقد نعلت بي
أيما نعلت... خاصة وأنه طن من ملاهي أنني غنية. وقد حُجّ جنون
السيدة ويد بالفتح، فها هما زجلاها بتفريان مي زاحضين. وسرعان
ما أظهرت أين يكمن خياري، فسمحت من سينكلير وحدها لوجه
وأمامها، وصحكت من ملبسه ومن شعره الطويل، وأشرت إلى
أنه مفوس السائقين عند مكتبه.

قال السيد باركر باين: أسلوب رائع؟

- وقد تغافل الأمر كله اللبقة الماصية أخذ حرجت السيدة ويد

عن مستها وانهم منى بأنني أريد تحطيم بيتها ، وأشكر ربي إلى خذية
سينكلير فقالت إن علاقتها معه لم تكن إلا نتيجة لخاصتها ووجدتها
وإنها قد لاحظت شرور زوجها منذ بعض الوقت ولكنها لم تعرف
سبب ذلك ، وقالت إنها كانت دوماً سعيدة به جداً وإنها تحبه وهو
يعرف ذلك جيداً ، وقالت إنها تريد هو ، وهو غلط

قلت لها إن الوقت قد فات على ذلك... وقد اتبع السيد ويد
التعليمات بشكل رائع فقال إنه لا يهتم قيد شعراً ، وأنه سينتزوجي
وإن يوسع زوجته أن تأخذ سينكلير ماء بأسرع ما تشاء فلا يوجد
مسبب يمنعك للتأجيل يلجأ لمرات الغلاق ، وقال إن انتظار سنة أشهر
مسألة سخيفة قال إنها ستحصل على الغلاق الذي تريده خلال بضعة
أيام ، وإن بوسعها أن تحطم محاسنها بذلك ، قال إنه لا يستطيع الحبس
من ذوي ، وعندما أمسكت السيدة ويد بصدرها وتكلمت عن متاعب
في القلب بحيث أعطوها مهدناً ، ولكن السيد ويد لم يصغف ، وقد
جاء إلى لندن هذا الصباح ، ولا شك أنها جاءت لحقته .

قال السيد ماركو باين بفرح : هذا جيد .. قضية مرغوبة جداً .

فُتح الباب فجاء وولف في مدخله ربيجي ، ويد ، ثم قال وهو
يدخل الغرفة : هل هي هنا ؟ أين هي ؟

ثم أتته لوجود مادلين فاقترب منها هائلاً : حيثي ! لقد عرفت
إن ما كنته ليلة أمس كان حقيقياً ، اليس كذلك ؟ ... وأني حيث كل
كلمة قلتها لإيريس ؟ لا أدري لماذا كنت أعمى كل الوقت ، ولكنني
أدركت ذلك في الأيام الثلاثة الماضية .

قالت مادلين بصوت ضعيف : ما الذي عرفته ؟

- عرفت أنني أعيم بك حياً ، وأنه لا توجد امرأة في هذا العالم
أريد ما زوجة سواك . مستحيل إيريس على طلائها ، وعندما ينتهي
ذلك فستزوجين بي ، اليس كذلك ؟ قلتي إنك موافقة يا مادلين...
إنني أحبك

سُلت المفاجأة مادلين ، فيما فُتح الباب ثانية لتدخل هذه المرأة
امرأة نحيلة ترتدي ثوباً أخضر غير مرتب ، قالت القاضية الجديدة :
لقد حبست ذلك وتعتك... عرفت أنك ستذهب إليها !

أما السيد ماركو باين ، الذي صحا أخيراً من دهشة الشديدة ،
فقد بدأ يقول : بدسي أن أوكد ذلك...

ولكن المرأة لم تأبه لكلامه ، وانطلقت تقول : أه ، ويحيى !
لا يمكن أن تكون رافداً في تحطيم قلبي ، حد إلي فقط إن أقول كلمة
واحدة عن هذا الأمر ، وما تعلم الغولف ، ولن أعرف أحداً سواك ..
بعد كل هذه السنين ، حيث كنا في غاية السعادة معاً .

قال السيد ويد وهو مستمر بالتحديق في مادلين : إنني لم أجد
سعادة أبداً إلا الآن . ثأ يا إيريس ! لقد أودت الزواج بذلك الاحمار
جورداين ، فلماذا لا تمضين في ذلك وتزوجينه ؟

صاحت السيدة ويد قاتلة : إنني أكرهه ، إنني أكرهه . وثيئة . تم
العتت إلى مادلين وقالت : أينما المرأة الشريفة تسرقين مني زوجي .

صاحت مادلين بنفسه : لا أريد ورجلك

قال السيد ويد وهو يحديق إليها نالماً : مادلين ؟

- أوجوك أن ترحل عني.

- ولكن اسمعي، إني لا أنظأرك، بل أعبي ما أقول.

صاحت مادلين بهستيرية: آه، اذهب عني اذهب عني!

تحرك ديجي بتردد نحو الباب وهو يقول محذراً: سوف أعود
لن تكون هذه آخر مرة ترتبني فيها

ثم خرج وصقن الباب خلفه، فيما صرخت السيدة ويد قائدة:
إن القليلات من أمثالك ينبغي أن يُجلدن! لقد كان ديجي دائماً ملائماً
معي إلى أن ظهرت أنت، وقد تغير الآن حتى لم أعد أعرفه.

ثم أسرع خلفه زوجها وهي تتعجب

قضية موظف المدينة

نادل السيد باين ومادلين النظرات، ثم قالت مادلين بيأس:
لم أستطع تمالك بعسي إنه رجل لطيف جداً... ولكن لا يمكنني أن
أحلم بالزواج به. لم تكن لدي أية فكرة عن هذا كله!

قال السيد بارتير باين: يؤسفني الاعتراف بأن ذلك كان خطأ
في الحكم من جانبي

ثم هز رأسه بعون، وسحب ملف السيد ويد إليه وكتب فيه

فشل. لأسباب طبيعية

ملاحظة: كان ينبغي التنبؤ بذلك الأسبق.

• • •

انكأ السيد باركر يان إلى مستند كرسى الدوار وألقى نظرة مستعرضة على (الزور - رأى أمامه رجلاً فضيل الجسم رغم قوة بنيتة، في نحو الخامسة والأربعين من عمره، ذا عيّن كئيبتين حائزتين خاتعتين نظران إليه بشيء من الأمل المتلهف.

قال الرجل الفضيل بارتباك: لقد رأيت إعلاناتك في الصحيفة.

- أنت واقع في مشكلة يا سيد روبرنس؟

- لا، لست في مشكلة بالضببط.

- هل تحس بالنعاسة؟

- ما كنت لأحب قول ذلك أيضاً، فعندي الكثير مما أحمده الله عليه.

- لدينا جميعاً الكثير مما نحمد الله عليه، ولكن عندما نُضطر لتذكير أنفسنا بهذه الحقيقة يكون ذلك مؤثراً سلباً

قال الرجل الفضيل بلهفة: أعرف... هذه هي القضية بالضبط! لقد أصيبت كيد الموضع يا سيدي.

- لماذا لا تخبرني كل شيء عن نفسك؟

- لا يوجد الكثير مما يمكن ثورته في هذا الصدد؛ فأتانا - كما قلت لك - لذي الكثير مما أحمده الله عليه. أولادي أغنياء أصحابه، ووظيفتي جيدة، وقد تجمعت في توفير بعض المال.

- ما الذي تريده إذن؟

- إني . إني لا أعرف.

ثم أحمر وجهه وأضاف: أحسب أن هذا يبدو لك سعيًا يا سيدي.

- أبدأ، أبدأ.

استطاع السيد باين، بشيء من التحقيق المتحرف مع الرجل، أن يحصل على مزيد من الحقائق. عرف عن عمل السيد روبرتس في شركة مشهورة، وتقدمه البطيء المطرد فيها، وعرف عن زواجه وكفاحه لتقديم مسودة جيدة لعائلته... لتعليم الأطفال، وجعلهم في مظهر حسن، وعرف عن التخليط والتدبير والتفتير وتولير مصعة جنابات كل عام. وفي الحقيقة فإنه سمع من الرجل تاريخاً لحياة من الجهود التي لا تتوقف للحفاظ على الحياة.

قال السيد روبرتس معذراً وهكذا ترى كيف هي الأمور... زوجتي مسافرة؛ مقبلة مع أهلها هي والطفلة، وهذا يشكل نوعاً من التعبير لهما، والراحة لها لا يوجد مكان لي، ولا نستطيع دفع تكاليف الدخول إلى مكان آخر. وبما أنني وحدي، وقد كنت أقرأ الصحيفة، فقد رأيت إعلاناتك، وقد جعلني ذلك أفكر. فأتاني التامنة والأربعين، وقد تساءلت فقط .. إن الأمور تجري في كل مكان.

أني كلامه مثلك العيلة وقد شهرت في عبيه كل روحه المدينة الكنية.

قال السيد باين أتريد أن تعيش بشكل جيد لتعيش الوقت؟

- ما كنت لأخبر عن الأمر بهذه الصورة. ولكن ربما كنت على حق .. حتى أخرج فقط عن نهج الحياة الرثية. وسأعود إلى ذلك النهج مثلاً بعد ذلك... لو توفر لي فقط شيء أذكر به

ثم نظر إلى الرجل الآخر بلهفة وقال: لا أظن أن بالإمكان القيام بشيء. أليس كذلك يا سيدي؟ أتحشى . أتحشى أنني لا أستطيع دفع الكثير.

- كم تستطيع أن تدفع؟

قال الرجل الضعيف: "يمكنني تدبير أمر خمسة جنيهات"، ثم انتظر حياءً أن ينام.

قال السيد باركر باين: 'خمسة جنيهات؟ يتقبل إني. مجرد خيال، أنه ربما أشكك تدبير شيء مقابل خمسة جنيهات'. ثم أضاف بعبارة هل تتابع في التعرض للخطر؟

أحمر وجه السيد روبرتس المناجب وقال: هل قلت الخطر؟ أم لا، لا، لا أمانع أبدأ. إني... إني لم أقدم أبدأ على أي أمر خطير.

انهم السيد باركر باين وتلك تعال لرويتي - ثانية - يوم غد وسأقول لك ما يمكن عمله لأهلك

كان مفهياً يون فوهر مكاناً معموراً، وهو مطعم لا يرتاده إلا القليل من الرهبان الذين يكرهون دخول خرباء جدد إليه، دخل السيد يلوكر باين إليه فاستقبل باحترام شخص معروف، وسأل: هل السيد يوينغتون هنا؟

- نعم يا سيدي، إنه يجلس على طاولة المتأولة.

- حسناً، سأطعم إليه.

كان السيد يوينغتون رجلاً عسكري الهبة ذا وجهه بليد معص الشبه، وقد حيا صديقه بسرور فائلاً: مرحباً يا يلوكر، لم تعد مراك إلا لماماً في هذه الأيام. لم أكن أعرف أنك تأتي إلى هنا.

- أنا آتي من وقت لآخر، خاصة عندما أريد الإمسك بصديق قديم.

- أتعني أنا؟

- نعم، أعنيك أنت، والحقيقة - يا لوكاس - أنني كنت ألقب النظر فيما كنا نتحدث به قبل أيام

- بخصوص مسألة يترقيقد؟ هل رأيت آخر الأخبار في الصحف؟ ولكن لا، لا يمكن ذلك، فلن نتقابل الصحف ذلك إلا هذا المساء.

- وما هي آخر الأخبار؟

قال السيد يوينغتون يهدوء وهو يتناول الشلطة: لقد قتلوا بيرثيلد الليلة الماضية

صاح السيد باين: يا إلهي!

- آه، ولكن هذا لا يدهشتني. لقد كان بيرثيلد عجوزاً عتيقاً. ثم يكن يصلي البناء وقد أصر على إبقاء المخططات لديه تعديداً

- وحل حصولها عليها؟

- لا، يبدو أن امرأة ما قد جاءت وأعطت البروفسور وصفة معينة لطبخ اللحم، رقد عند الحمار المعجوز (وهو الشارد دوماً كعادته) إلى وضع وصفة طبخ اللحم في حوزته، ووضع المخططات في المطبخ.

- هذا حط حسن

- بل هي العناية الإلهية. ولكن ما زلت أجهل من سياحتنا إلى حنيفة! إذ أن ميتلاتد في العنشتي، وكاوسليك في برلين، وأنا لا أستطيع العودة، وهذا لا يفي إلا للشاب هوبر.

ثم نظر إلى صاحبه، فسأله السيد يلوكر باين: أما زلت على نفس التري؟

- بالتأكيد... لقد توصفوا إليه! أنا أعرف ذلك رغم أنني لا أملك عليه أي دليل، وتكتفي تؤكد لك - يا يلوكر - أنني أمير الرجل عندما يحرق ويصبح غشاشاً! وأنا أريد لكل المخططات أن تصل إلى جيف، فحصة الأمم بحاجة إليها، وهذه هي المرة الأولى التي لا يباع فيها اختراع إلى دولة معينة، بل يتم تسليمه طوعاً إلى حصة الأمم، إنها أروع الفاتحة سلام تم القيام بها حتى الآن، ولا بد أن تصل إلى ضنها. هوبر غشاش، وسوف ترى، ربما يتم تعديده

في الفطار ، وإذا ما سافر بالطائرة فستزول الطائرة في مكان ملائم
معين ! انني لا أستطيع إرساله ، ولذلك تحدثت اليك قبل أيام
- لقد سألتني إن كنت أعرف أحداً.

- نعم. طبعاً أنك ربما كنت تعرف أحداً من خلال عملك ،
شخصاً جديداً يبحث عن المناصب بحثاً. فمن أرسله معرض لا احتمال
القتل - ولكن ربما كان رجل من طرفك بعيداً تماماً عن الشهادة ،
بشرط أن يكون شجاعاً.

- أظني أعرف شخصاً مستعداً للقيام بذلك.

- الحمد لله على وجود رجال لا يزالون مستعدين للمجازفة.
حسناً ، لقد اتفقتا إذن ؟

- لقد اتفقتا.

:

• • •

كان السيد باركر باين يلخص تعليماته - الآن ، وأما واضح
شاماً؟ متسار إلى جنيف في مقصورة نوم في الدرجة الأولى في
القطار. ستغادر لندن في الساعة العاشرة عشرة إلى روماً في مطار بمر
بفوكستون ويونون ، وستدخل مقصورة نومك في مولون. وسوف
تصل إلى جنيف في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، وما هو
العنوان الذي ستذهب إليه. يرجى أن تعطيه عباً لأنني سألتقه. بعد
ذلك تذهب إلى هذا الفندق وتنتظر هناك ورود مريد من التعليمات.
وما هي نفود كافية لك بالعملة الفرنسية والسويسرية. هل فهمت ؟

- نعم يا سيدي.

كانت حينا السيد روبرتس تشتعل بالانفعال ، وقال : رسالة اعنومي
يا سيدي. ولكن هل يُسمح لي أن... أن أعرف شيئاً عن هذا الذي
أحمله ؟

ابتسم السيد باركر باين بسمجة وقال : إنك تحمل نصاً شغراً
يكشف الحنى السري لجواهر العائلة المالكة في روسيا. إنك
نعم - طعماً - أن علاء البلاشفة سيكونون متيقظين حريصين على
اعتراضك ، فإن كان من الضروري عليك أن تتحدث عن نفسك
فإنني أصح بأن تقول إنك قد ورننت بعض المال وتستمتع برحلة
خارج البلاد.

• • •

وشف السيد روبرتس الفهوة من فمائه وطر أمامه إلى بحيرة
جنيف. كان سعيداً ولكنه كان يحس ، في نفس الوقت ، بخيبة أمل.

كان سعيداً لأنه في بلد أجنبي لأول مرة في حياته ، وفوق ذلك
مقد كان في فندق ما كان لينزل فيه ثانية أبدأ ، وما كان عليه أن يفلح
لحيلة واحدة بشأن المال ، وقد كانت له غرفة ذات حمام خاص ،
مع وجبات لذيذة وخدمة ممتازة. كل هذه الأشياء استمتع بها السيد
روبرتس كثيراً

وقد كان يشعر بخيبة الأمل لأنه لم يعاودف - حتى الآن - ما
يمكن نصنعه في باب المغامرة... إذ لم يعترض طريقه لا بلاشفة
متركرون ولا ووس حاصرون. وقد كانت المحادثة الوجيهة التي

أجراها مع إنسان هي ذلك الحديث اللطيف مع تاجر فرنسي في
القطار يتحدث الإنكليزية بطلاقة تامة. وكان قد أحصى الأوراق في
بذاته حقيقته كما طلب منه وأوصلها حسب ما تقتضيه التعليمات،
ولم تحدث هناك مخاطر فيتصلب عليها ولا مآرق تجا منها بأعجوبة.
كان السيد روبرتس خائب الأمل

وفي تلك اللحظة جاء رجل طويل مُلَمَّح قدتم قائلًا: "عموك"
وجلس قائمًا على الطاولة الصغيرة وقال: اعذرني، ولكني أظن أنك
تعرف أحد أصدقائي. وهذا اسمه بحرفي ب بـ.

أحس السيد روبرت بمتعة شديدة. فما هو ذا أخيراً روسي
غامض. قال له: صحح. صحح.

- إذن فأظن أننا متشابهان.

نظر إليه السيد روبرتس متضجاً. لقد كان هذا يشبه ما يجري
- حقيقة - في مثل هذه الظروف. كان الغريب في نحو الحميين من
عمره، ذا مظهر مميز ورغم أنه مظهر أجنبي. وكان يلبس نظارة ويسع
شرطاً ملوناً صغيراً في جيب سترته

قال الغريب: لقد تفلقت مهنتك على أكمل وجه. هل أنت
مستعد لتولي مهمة أخرى؟

- بالتأكيد، آه، نعم.

- حسناً. سوف تحجز مفسورة نوم في القطار المغادر من
جنوب إلى باريس ليلة غد، وسوف تطلب السرير رقم تسعة

- وإن كان محموراً؟

- سيكون طائفة؟ سوف يتم تولي هذا الأمر.

كرر السيد روبرتس: السرير رقم تسعة. نعم، لقد حفظتُ
ذلك.

- وخلال رحلتك سيأتي إليك شخص ويقول لك: آسف
يا سيدي، ولكني أظنك كنت مؤخرًا في فرنسا؟، وستجيب
أنت على ذلك بفولك "نعم، في الشهر الماضي"، وسيقول لك
الشخص: "هل أنت مهتم بالظهور؟"، وستجيب أنت قائلًا: "نعم،
فأنا أصنع زيوتاً مركبة من الهاسمين". بعد ذلك ستضع نفسك كلياً
تحت تصرف ذلك الشخص الذي تحدثت معه وبالعامة، هل
أنت مُسَلَّح؟

قال روبرتس مرتعداً: لا، لا، لم أحسب أبداً. أي أنني

- يمكن معالجة ذلك.

ثم نظر الرجل العنكبتي حوله فلم يزد أحداً بالغرب منهما، وندس
في يد السيد روبرتس شيئاً صلباً يلتمع وقال وهو يتنسم: إنه سلاح
صغير ولكنه يؤدي الغرض.

دس السيد روبرتس المسدس على مبيض في جيبه، ولم
يكن قد استعمل مسدساً أبداً من قبل، والثابت شعور غير مريح بأن
المسدس قد يتطلق في أية لحظة.

فأما بمراجعة كلمات السر الثانية، ثم نهض صديق روبرتس
الجديد وقال: اتعنى لك حظاً سيئاً، وأرجو أن تخرج من الأمر
سالماً، إنك رجل شجاع يا سيد روبرتس،

وعندما غادر الرجل قال السيد روبرتس لنفسه: 'أنا شجاع حقاً؟ أنا وأنتي من أنسب لا أريد أن أقفل؛ فلن يقبضني ذلك بشيء'. وصوت في نفسه متعة غامضة.

ذهب إلى غرفته وتفحص السلاح. لم يكن متأكداً بعد - من آلية عمله، ووجاه أن لا تدفعه الظروف إلى استعماله. ثم خرج ليحجز مقعداً.

غادر الفطار جيب في الساعة التاسعة والنصف، وقد وصل روبرتس إلى المحطة في الوقت المحدد، وأخذ موظف مقصودات النوم مظافته وجواز سفره ووقف جانباً بينما قدف مساعد له حقيبة السيد روبرتس إلى الرف. وقد كانت هناك حقائب أخرى - حقيبة من الجلد، وحقيبة أخرى من النوع الذي يطوى.

قال الموظف: السرير رقم تسعة هو للسرير الأمثل.

وعبثاً التفت روبرتس لمعاداة المفصورة اصطدم برجل ضخم كان يدخلها. تنحى الاثنان جانباً وعما يحضرون. روبرتس بالإنكليزية والرجل الآخر بالفرنسية. كان رجلاً صلباً صلباً قوي الشبهة رأس حليقي تساناً ونظارة سميككة جداً بدت عينه من ورائها وكأنهما تظفران بلزيتاب.

قال روبرتس لنفسه 'رجل يشع'. وقد أحس - على نحو عامس - شيء - شريك في ريق سفره هذا. أيمن أن يكون قد طلب منه أخذ السرير رقم تسعة بهدف مراقبة هذا الرجل؟ رأى أن هذا ممكن.

خرج إلى الممر ثانية. حانت أمامه عشر دقائق قبل أن يتطلق

الفطار. روى أن يمضي ذملاً وإيلماً على وعيف المحطة وفي منتصف طريقه في الممر تنحى حالياً ليسمح لسيدة بالمرور. كانت تدخل الفطار لتوها والموظف يتقدمها والبطافة في يده، وفيما هي تمر قرب روبرتس أصططعت حقبيتها اليدوية. فسارع السيد روبرتس لالتقاطها وإعادتها لها.

قالت: 'شكراً لك أيها السيد.

كانت تتكلم الإنكليزية، ولكن بلهجة أجنبية، وكان صوتها متخففاً في التبر. وربما كانت تستعد للمضي في طريقها ترددت قليلاً وتمتمت: 'عذراً يا سيدي، ولكنني أطاك كنت في غراس مؤخرًا؟'

نقر قلب روبرتس انفعالاً؛ فسوف يضع نفسه تحت تصرف هذه المخلوقة الرائعة. كانت ترتدي معطف سفر من الغرو، وقبعة البقة، ولأذن حول عنقها.

نطق روبرتس بالجواب المطلوب: 'نعم، في الشهر الماضي.

- هل أنت مهمم بالمعطوف؟'

- نعم، فأنا أصنع ريوماً مركبة من الياسين.

أحنث رأسها وهربت تاركة وراءها مجرد همسة تقول: 'في الممر حالما يتحرك الفطار'.

بدت الدقائق العشر التالية دهوياً بالنسبة لروبرتس، وأخيراً انطلق الفطار، فمشى ببطء في الممر، فوجد السيدة التي ترتدي

معظم الغرض تتلخص إحدى التوافقات فخرج لمساعدتها.

قالت: "شكراً أيها السيد. قليل من الهواء قبل أن يغلبوا إغلاق كل شيء". ثم قالت بصوت منخفض سريع وقيل. منذ الحدود، وعندما يتنام صاحبنا في المقصورة (وليس قبل ذلك) اذهب إلى مكان الغسيل، ومن خلاله إلى المقصورة التي تقع عند الطرف الآخر. هل فهمت؟

قال: "نعم"، ثم أنزل النافذة وقال بصوت أعلى: "هذه أفضل يا سيدتي؟"

- شكراً حزيلاً

عاد إلى مقصوره موجد وبقى سكره متهدداً على السرير العلوي. وبدأ واضحاً أن استعداداته للقضاء الليل كانت بسيطة تماماً، ولم تتعد - في الحقيقة - نزح حذائه ومعهاته

فكر وورثس في ملابسه، فمس الواضح أنه لا يستطيع أن يغير ملابسه إن كان سيذهب إلى مقصورة سيدات. وجد تعلين خديتين فاستديلهما حذائيه ثم تمدد وألفها الصوره وبعد بضع دقائق بدأ الرجل غوفه يشمر

بعد الساعة العاشرة قليل وحل التفتت إلى الحدود، وفتح باب المقصورة وطرح سؤال روتيني: "هل لدى السيدين ما يصطحبان به؟" ثم أغلق الباب ثانية، وسرعان ما خرج التفتت يده من بيلتود.

عاد الرجل في السرير العلوي للتشجير ثانية، وانتظر وورثس

لحواً من عشرين دقيقة، ثم اتزلق واقفاً وفتح باب غرفة المرافق الصحبة. وعندما أصبح داخلها أقلل الباب خلفه ونزل إلى الباب المقابل في الجهة الأخرى. لم يكن ذلك الباب مغلقاً. وتوجه قليلاً ليتوجب عليه أن يفرغ الباب؟

ربما كان من السخافة أن يفرغه، ولكنه لم يرتح كثيراً للدخول دون نوع الباب. وأحيراً وجد حلاً وسطاً، فقد فتح الباب يدهوه بضعة سنتيمترات لم ينظر، بل إنه جازف بسبعة حبة.

جاء الحواشي سريعاً؛ فقد فتح الباب، وأمسكت قبضة بدواحه وشدته إلى داخل الغرفة، ثم أغلقت الفتحة الباب وأقفله خلفه

حسن وورثس ألفافه إذ لم يسبق له أن تخيل نفسه وسط مخاضات من هذا النوع. رأى الفتحة واقفة أمامه وقد امتدت إلى الباب المعصي إلى الممر وهي تلهت. وكان وورثس قد قرأ كثيراً عن مخلوقات حبيبة مذعورة محاصرة، ولكنه رأى الآن واحدة من تلك المخلوقات لأول مرة!

تمتمت الفتحة: الحمد لله.

تكلمت بصوت منخفض مستعجل، وكانت إنكليزيتها جيدة ولكن لكتتها كانت أجنبية تماماً. قالت: "إنني سعيدة جداً بمحبتك لقد حدثت خوفاً شديداً، إن فانسيفيش على متن القطار. انقهم ما يعني ذلك؟"

لم يفهم وورثس أبداً ما يعنيه ذلك، ولكنه أوما برأسه بالإيجاب.

- لقد مثلت أنني تحلست منه، ولكن كان علي أن لا أجدع بذلك. ماذا سافعل؟ إن فاسيليقيش في المقصورة المجاورة لهذه المقصورة، ولا ينبغي أن يحصل على الحوار مهما حصل.

قال وويرتس بتصميم: إنه لن يحصل على الحوار

- ماذا أفعل بها إذن؟

نظر وويرتس خلفها إلى الباب وقال: إن الباب مقفل.

ضحكت الفتاة وقالت: وما أهمية الأقفال عند فاسيليقيش؟

تفاهم لدى وويرتس الشعور بأنه وسط واحدة من رواياته المنفصلة. قال لها: شيء واحد فقط يمكن فعله؛ أعطني إيادها

نظرت إليه بارتياح وقالت: إيادها تعاري ربع مليون.

أحمد وجه وويرتس وقال: يمكنك أن تقتني بي.

ترددت الفتاة قليلاً، ثم قالت نعم سأتى بك.

ثم قامت بحركة سريعة، وبعد لحظة كانت تمد له يدها يزوج من الجوارب الشبكية المكشورة قالت لـ وويرتس المدهوش: خذها يا صديقي.

أخذها وفهم على الفور، فدل أن تكون الجوارب حيلة جداً كانت تغلبه بشكل غير متوقع. قالت الفتاة: خذها إلى مقصورتك، ويمكنك أن تعطيني إيادها في الصباح إذا بقيت هنا.

تخلع وويرتس وقال: اسمعي، بالنسبة لك، يجب.. يجب

أن أبقى في حراستك. واحمر وجهه وهو يحاول المشور على التصرف المناسب، ثم قال: "لا أنتى هنا". سوف أبقى هناك. وأوماً برأسه إلى مقصورة المرافق الصحية وقال: وإن احتجت إلي فتاديني.

قالت الفتاة بركة "شكراً لك يا صديقي"، جابتست له بامتنان فيما عاد هو إلى غرفة المرافق.

بعد نحو ساعتين من ذلك شعر -بحالة- بأنه سمع شيئاً أسمع.. فلم يسمع شيئاً. ربما كان مخطئاً، ومع ذلك فقد بدا له أنه سمع صوتاً خفيفاً من المقصورة المجاورة لنافذة لو...

فتح الباب بهدوء، فوجد المقصورة كما تركها، بوجود الصرء الصغير الأزرق في السقف. وقف هناك وعيناه نحدقان إلى العتمة حتى اعتادتا عليها، ثم لكرن الفتاة هناك!

أشعل ضوء المقصورة فوجدها فارغة، ثم استنشق فجأة بأنفه كان في المقصورة أثر خفيف لرائحة، ولكنه مثيرها. وكانت رائحة الكلوروفورم التي تثير الدوار.

خرج من المقصورة (التي لاحظ أنها لم تعد مغلقة الآن) إلى الممر وأمعن النظر في جيبه فوجده فارغاً. ثم تركزت عيناه على الباب المجاور لباب الفتاة. كانت قد قالت إن فاسيليقيش يحتل المقصورة المجاورة لها وجرب وويرتس قبضة الباب بحذر شديد فوجده مغلقاً من الداخل.

ماذا يفعل؟ أيطلب الدخول؟ ولكن من شأن الرجل أن يرفض، وقد لا تكون الفتاة هناك في نهاية الأمر! وإن كانت هناك فهل ستكون

مستتة له على إثارة صحة حول الموضوع قد يسمع بها القاصي والداعي؟ لقد فهم أن السرية مسألة جوهرية في اللعبة التي يلعبونها

تعمش الرجل التسلل الخافي في الممر بطيء ثم توقفت عند آخر مقصورة. كان بابها مفتوحاً وقد تعدد فيها موظف القطار نائماً، وفوقه كان قد علق معقلته الرسمي البني وقنعة الرسمية.

وبلحظة واحدة فررو روبرتس ما الذي سيعمله ويعد دقيقة كان قد ارتدى المعطف والقبعة وأسرع عاكساً في الممر ثم توقف عند الباب المجاور لمقصورة الفتاة واستجمع كل عزمته وقرع الباب بقوة.

وعندما لم يجه أحد قرعه ثالثة وقال بأفضل لهجة يستطيعها. سيدي.

فتح الباب قليلاً وأطلق منه راسم... وكان راسم امرأة أجنبي، حليق اللحية ذي شارب أسود. كان وجهها غاضباً شديداً قال للرجل بعده. ما الأمر؟

قال روبرتس: "حوادث سفرك يا سيدي" ثم تراجع قليلاً وأشار للرجل بالخروج.

تردد الآخر قليلاً ثم خرج إلى الممر وكان روبرتس قد وضع حساباته على أساس هذا الحرج للرجل. لأنه إن كان يحتفظ بالفتاة في الداخل فمن الطبيعي أن لا يسمح للموظف بالدخول. وهكذا تصرف روبرتس بسرعة البرق فدفع الأجنبي جانباً بكل قوته (ولم يكن الرجل مستعداً لذلك) كما أن تأرجع القطار ساعد في الأمر ثم دخل إلى المقصورة فأغلق بابها وأقفله.

كانت الفتاة ممددة عند طرف السرير وقد عظمت فيها كمامة ويطد رسخاً معاً. حررها بسرعة فثقلت مطد: أشعر بضيق وإعياء شديدين. أخذه كان الكلووروفورم هل حصل على الجراح؟

ريث روبرتس على جيبه وقال: لا. ما الذي ستفعله الآن؟

جلست الفتاة وكانت حواسها تنضيق فاستوعبت الزلزال الذي بابسه وقالت: يا له من ذكاء منك! كيف فكرت في ذلك؟ لقد ظنر إنه سيقتلني إن لم أحضره عن مكان الحواجر. وقد كنت خائفة جداً. ثم أيتت أنت.

ثم ضحككت فجأة وأصافت: ولكتنا كنا أدركنا أنه لن يجرؤ على فعل شيء. بل إنه لا يستطيع حتى محاولة العودة إلى مقصورته يجب أن تبقى هنا حتى الصباح. ربما غادر هو القطار في محطة فيرجو. فالقطار يتوقف هناك بعد نحو نصف ساعة. سوف يرسل برقية إلى باريس. وسوف يتبعون أثرنا هناك. وفي غضون ذلك يُستحسن أن نرمي هذا المعطف والقبعة من النافذة: فقد يورطناك في متاعب كثيرة

أطاعها روبرتس فيما قالت بتصميم: ينبغي أن لا ننام. يجب أن نبقى محترمين حتى الصباح.

وكانت ليلة حراسة غريبة شديدة وفي الساعة السادسة صباحاً فتح روبرتس الباب بمحذر ونظر إلى الخارج فلم يرَ أحداً. التسلت الفتاة بسرعة إلى مقصورتها ثم تعها روبرتس. وكان من الواضح أن المقصورة قد تم تفتيشها. ثم عاد روبرتس إلى مقصورته عبر غرفة المرافق ليجد صاحبه ما يزال يشخر.

وحسباً باريس في الساعة المباحة وكان الموطف يشكو من
هذيان معتقه وقيمه، ولم يكن قد انتبه بعد لفقدان أحد الرفاق.

ثم بدأت واحدة من أمتع الملاحقات عقد استغل ووبرتس
والفتاة سيارة أجرة بعد سبارة في شوارع باريس، ودخلا نادق
ومطاعم من أبوابها لبحرنا من أبواب حلقة النوى، وفي النهاية
تهدت الفتاة وقالت: أشعر الآن بالثقة من أننا غير مُلاحقين. لقد
تخلصنا منهم.

تناولا طعام الإفطار ثم وكبا سيارة إلى مطار بورجيه، وبعد
ثلاث ساعات كانا في مطار كرويدن في لندن لأولم يكن ووبرتس قد
وكتب طائرة من قبل. وفي مطار كرويدن كانا ينتظراهما رجل طويل
يشبه قليلاً الرجل الذي التقاه ووبرتس في جنيف، وقد حيا الرجل
الفتاة باحترام خاص، ثم قال: السيارة هنا يا سيدتي.

قالت الفتاة للرجل: "سيدنا هذا السيد يا هول"، ثم قالت
لروبرتس: أفلأ لك الكومت مول ستياتي.

كانت السيارة سيارة ليمورين واسعة، وقد سارت بهما زهاء
ساعة ثم دخلت حدائق بيت ريفي حتى توقفت أمام منزل ضخم
مهيّب أشبه بالقصر. وقد أخذ السيد ووبرتس إلى غرفة تُرشت على
شكل مكتب خاص. وهناك قام بتسليم زوج الحواريب التمين، ثم
تُرك وحيداً لمرحة سرعان ما هاد بعدها الكونت ستياتي وقال: سيد
روبرتس، لك منا كل شكر وامتنان، لقد أثبت أنك رجل شجاع
واسع الحيلة.

ثم مدّ يده بحلة مزركشة حمراء وقال: تسمح لي أن أمتحكك

وسام سينت ستابيلامس من الدرجة العاشرة مع رتبة الشرف.

فتح روبرتس العلبة ودأبه في حلم وعطّر إلى الوسام المرصع
بالجواهر، وكان الرجل المحبوس مستمراً في كلامه إن الدوقة أولغا
تحب أن تشكرك بنفسها قبل أن تغادر.

أخذ إلى غرفة حلويس كبيرة، وهناك رقت رقيقة مقفه وهي
تدور دافدة الحمال في ثوبها السايغ، ثم أشارت بيدها إشارة أمره
فتركها الرجل الآخر. قالت الدوقة: "إنني مفيدة لك بحياتي يا سيد
روبرتس". ثم انحست تحاهه وقالت: أمت رجل شجاع

كان ما براك في حلم عندما قال له أحدهم: "مستأجرك السيلوة
إلى حيث تريد..." وبعد ساعة من ذلك عادت السيارة إلى الدوقة
أولغا، فصعدت إليها هي والرجل ذو اللحية البيضاء، وكان قد نزع
لحيته بسبب الحر. وأُزيلت السيارة الدوقة أولغا في بيت في منطقة
ستريغام. وحين دخلت الفتاة البيت رعت امرأة كهلة بصريها عن
مائدة الشاي وقالت: آ، عزيزي ماغي؟ ها قد جئت أخيراً

في القطار السريع الذي يربط جنيف وباريس كانت هذه الفتاة
الدوقة أولغا، وهي مكتب السيد باركو باهن كانت مادلين دي سارا،
وهي البيت في منطقة ستريغام كانت ماغي ساريز، الالمة الابعة لعائلة
عائلة شريفة

بالسقوط العطاء!

كان السيد باركو باهن يتغذى مع صديقه الذي قال: نهائنا،

لقد حمل صاحبك أمانيه وأوصلها دون أي عائق لا بد أن عصاة
نومالي قد جُنَّ جنوبها وهي تفكر أن محفظات ذلك المدفع قد
ذهبت إلى عصية الأمم. هل أخبرت صاحبك بما كان بعمله؟

- لا - فلقد رأيت أن من الأفضل أن... إن أخيف شيئاً قليلاً
من الهواء.

- إنه تكتم شديد منك.

- لم يكن تكتماً بالمعنى البسيط. لقد أردت له أن يستمتع ! تحبب له
قد يجد مسألة المدفع عملة قليلاً، وأردت له أن يفهم قليلاً

قال السيد يونيتيم وهو يحدق إلى صاحبه - عملة؟ لئلا كان
من شأن تلك الجماعة أن تقتله بمجرد رؤيته.

- نعم، ولكنني لم أره له أن يقتل.

- هل تروج الكثير من المال في عملك يا باركر؟

- أحياناً أخسر المال... إن كانت القعبة تستحق ذلك.

كان ثلاثة رجال يتلاومون في باريس. قال أحدهم: لقد خذلنا
ذلك الشقي حوريا!

قال الآخر: إن المحفظات لم يأخذها أحد من أفراد المكتب،
ولكنها وصلت يوم الأربعاء. أنا واثق من ذلك، ولذلك لمزنتي أقول
لأنك أنت الذي أفسد الأمر.

قال الثالث منك: أنا ثم أفسد، لم يكن على من القطار
أي إنكليزي باستثناء موظف صغير. وهذا الموظف لم يسمع أبداً
بالمدفع أو ببريفلد. أنا واثق من ذلك، فقد اخترته، ولم يكن
بريفلد أو المدفع يعني له شيئاً.

ثم ضحك بعض وقال: لقد كانت عنده عقدة البلاشفة على
نحورنا.

كان السيد روبرتس يجلس أمام الموظف، وعلى ركبته رسالة
من السيد ماركر باين. وكان في الرسالة شك بخمسين جنيهاً من
أفانس معينين سرتهم الطريقة التي نُفذت بها المهمة.

وعلى دراع كرسية كانت الرواية التي يقرأها. فتحها السيد
روبرتس لا على التعيين وقرأ: "وتراجعت عند ثياب كمتخوفة
حميلة محاصرة خائفة"... إنه يعرف تماماً ماذا يعني ذلك. ثم قرأ
جملة أخرى: "تنشق الهواء، فسلل إلى أفنه أثر خفيف من رائحة
الكولورفورم التي تمتع الدور..." وهذا أيضاً ما يعرف معناه تماماً.

تهجد السيد روبرتس. لم يكن ذلك حتماً؛ فقد حدث كله بالفعل.
لقد كانت رحلة الذهاب عملة تماماً، أما رحلة العودة فقد استمتع بها!
ولكنه كان سعيداً إذ عاد إلى بيته ثانية. شعر - على نحو عامض - بأن
الحياة لا يمكن أن تُعاش بشكل دائم على تلك الوثيرة.

سعدو ماري والأطفال إلى البيت غداً، وأتسم السيد روبرتس
بفرح حين تخليها وهي تقول: "لقد قضيت إجازة رائعة. لقد كرهت

التعكير بك وأنت تعيش وحيداً هنا يا عزيزي المسكين". وسيقول هو: "لا بأس بذلك يا فتاتي، لقد اضطررت للذهاب إلى جيب لأداء عمل للشركة. بعض المعارضات الحساسة.. وانظري ماذا أرسلوا لي!" وسوف يريها فيك الحببات المتسعين.

ثم فكر موسام سينت متابسلاوس من المذرة العاشرة مع مرتبة الشرف لقد جاءه. ولكن ماذا لو عثرت ماري عليه! سيتطلب ذلك الكثير من الضمير. ولكن، ما الذي يهم؟ سيقول لها إنه اشتراه من الخارج على سبيل الذكرى.

فصح كتابه ثانية وقرأ بمسحاة. لم يعد على وجهه تعبير كآبة. فهو أيضاً أصبح من تلك الفئة المسحاة التي تحدث لها الأمور.

تقدم اسم السيدة أبنر وايمر إلى السيد باركر باين، وقد عرف
الاسم ورجع حاجيه. وسرعان ما أدخلت زبوتة إلى العرفة.

كانت السيدة وايمر امرأة طويلة القامة غليظة العظام ذات جسم
فتلح، ولم يفلح في إخماء هذه الحظيرة توبها المحمدي ولا يعطف
الفرح الذي تولده. كانت ملاحيات كنفها بارزة، وكان وجهها ضحكاً
عريضاً شديد السرة، ولكن شعرها الأسود كان مصغراً حسب
الموضة، وفي قبعته الكثير من ريش العمام.

ألفت نفسها على كرسي وهي ترمي برأسها قائلة: "صاح
البحر". كان في صوتها نبرة غلظة، وأخافت تقول: "إن كنت بأمرها
حقاً في عملك فأحبرني كيف أصرف أموالي؟"

نعم السيد باركر: سؤال غريب مبتكر فليكون هم من يطلبون
من ذلك في هذه الأيام إن كانت تجددين حقاً صعبة في ذلك
يا سيده وايمر؟

قالت السيدة بأسلوب فجح: نعم إن لدي ثلاثة معاصف فراء،
والكثير من الملابس الباربيجية وغيرها، ولدي سيارة، وبيت في
بارك لين ولدي بخت، ولكنني لا أحب البحر ولدي الكثير من
أولئك الخدم الذين يعملون لدى الطبقات الراقية، ممن ينظرون إليك

شراً، وقد سافرت قليلاً ورأيت بلداناً عديدة. ولا أجد ما أفعله لو
أشترته غير ذلك.

ثم نظرت بأمل إلى السيد بلوكر باين، فقال: ماذا عن التبرع
للمستشفيات؟

- ماذا؟ أتعني أن أروح مالي؟ كلا، هذا ما لن أفعله؟ دعني
أؤكد لك أن هذا المال قد جاء بالعمل. وبالعامل الشاق أبساً فإن
كنت نظن أنني سأعطيه هكذا بكل سهولة فأنت محطون تماماً. إنني
أريد صرعه. صرعه والاستفادة منه بشكل ما. فإذا كانت لديك أية
أفكار قيمة في هذا الإطار أمكن لك أن توقع أجراً مجزياً.

- إن عرضك يثير اهتمامي. أنت لم تشيرني إلى التلاكم أي
بيست ريجي.

- نسبت الإشارة إليه، ولكنني أنشأت واحداً، وقد خنتي مللاً.

- ينبغي أن تخبرني بالزيد عن نفسك؟ فمشكلتك ليست
مسألة المحل.

- سأخبرك بكل استعداد؛ فأننا لسنا عجلة من أصلي. لقد
عملت في بيت في إحدى النواقر عندما كنت فتاة، وكان عملاً شاقاً
أيضاً، ثم بدأت الاهتمام بالمرء. وكان عاملاً في مطبخة قريبة. وقد
عني بطلب ودي لعمالية أهوام، ثم تزوجنا.

- وهل كنت سعيدة؟

- نعم. فقد كان أثير رجلاً طيباً معي. وقد جاهدنا معاً أشد

الجهاد؛ إذ فقد عملي مرضين. وكان الأطفال يأتون تباعاً. أتجيبنا أربعة
أطفال، ثلاثة صبيان وبنات. ولكن أيّا منهم لم يمش ليكبره وأظن أن
الأمر كان صعباً لو أنهم عاشوا.

وق وجهها وبذت فجأة أصفر عمراً، ثم أكملت خاللة. كان
صبر أثير صعباً، وقد امتنعوا عن أخذه إلى الحرب، ولكنه أبى
بلاء. حبساً هنا في الوطن فقد جعلوه مشرفاً على العمال، وكان وحلاً
ذكياً، فابتكر عملية جديدة في الإنتاج. وعلم القول إنهم عاملوا
بشكل مصف؛ فقد أعطوه مبلغاً جيداً مقابل ابتكاره. وقد استعمل
ذلك الصلح لتوفير فكرة أخرى من ابتكاره، وقد جلب ذلك المال
من كل حذوب وصورة. وما زال المال يأتي. ولقد كان الأمر في
البداية ممعناً جداً بعد أن امتلكتنا منزلاً وعملاً خاصين. ولم تعد
بالمرء حاجة لإمتاع نفسه بالطبخ والتظيف والعسيل. كنت أكتفي
بالجلوس على وسائل الحرير وأقرب الحرس لطلب الشاي كما
تفعل أية كوتيسة! كان ذلك ممعناً جداً، وقد تمتعنا به. وبعد ذلك
جئنا إلى لندن، ودمعنا إلى أفضل الحياطين لتفصيل ملابس. وذهبنا
إلى باريس والربض... كانت متعة كبرى.

- وبعد ذلك؟

- أظن أننا امتدنا ذلك، فبعد فترة لم يعد الأمر يبدو ممعناً بل
لقد مرت أيام لم تعد نشتهي فيه الطعام بشكل جيد... نحن الذين كان
يوسعنا أن نختر ما يعمل لنا من طعام! وبذات صحة أثير نطلقه فندفعنا
للأطباء مبالغ كبيرة، ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء. حاولوا مختلف
الطرق والأساليب والأدوية ولكن دون فائدة. ومات أثير.

توقفت قليلاً وقالت: كانا شيئاً، لا يعدو الثالثة والأربعين.

أوما السيد باين برأسه متعاطفاً، وأكملت حتى تقول: كان ذلك منذ خمس سنوات. والعمال ما يزال يتدفق، ويبدو من المؤسف أن لا يستطيع المرء فعل شيء به. ولكن كما أخبرتك. فلنني لا أستطيع التفكير بشيء لم أحصل عليه أساساً.

- أي أن حياتك مملّة، وأنت لا تكتفين بها.

قالت السيدة وايمر بتعجبهم. لقد ستمتها. ليس لدي أصدقاء، ومعاري الجدة لا يريدون إلا تبرعات، وهم يضحكون مني وراء ظهري. وأصدقائي القدامى لا يريدون أية علاقة معي. وهم يهيجلون من ظهوري في سيارة فاخرة. هل تستطيع فعل شيء أو اقتراح شيء؟

- ربما كان ذلك ممكناً، سيكون بالأمر صعباً، ولكنني أظن أن لدينا فرصة للتناج. أظن أن من الممكن أن أعيد لك ما فقدته... أي اهتمامك بالجابة.

سألت السيدة وايمر باقتضاب: كيف؟

- هذا سري المهني، وأنا لا أكشف رسائلني مُسبقاً السؤال هو: هل ستُقبل على التجربة؟ إنني لا أضمن النجاح، ولكنني أظن -معللاً- أن الفرصة لا بأس بها للنجاح. ولكن علي أن أتبع أساليب غير اعتيادية، ولذلك فسيكون الأمر مُكلفاً، وستكون أجوري ألف جنيه تُدفع مقدماً.

قالت السيدة وايمر باستعصان: أنت حريء في طلب أجور

عالية، اليس كذلك؟ حسناً، سأجأزف بهذا إنني معتمدة على دفع أعلى الأسماعوا، إلا أنني عندما أدفع ثمناً لشئ، فإني أحرم كثيراً على نبله.

- سنأخذ ما نحسب؟ لا نحامي.

بهقت السيدة وايمر قائلة: سأرسل لك الشيك هذا المساء. لا أعرف لماذا عساني أتى بك. يُقال إن الأحقق وماله سرعان ما يلتزقان، وأنتي حقاً؟ لا بد أنك تتع بالشفاعة حتى تُعلن في كل الصحف أن نوسحك إسماع التماس!

- إن هذه الإعلانات تكلفني مائة. وإن لم أستطع أن أكون عبد كلامي فإن ذلك المال سيذهب شدي إنني أعرف أسباب الضعفاء، وبهجة لذلك فإن لدي فكرة واضحة عن كيفية إحداث الظروف المغايرة لها.

مزت السيدة وايمر رأسها بارتياح وعادته. تاركةً حذوها سحابة من العطور اللثبية المخلوطة.

دخل كلود لوتربل الوصيم إلى المكتب وقال: أهو على يدخل في هاترة اختصاصي؟

هز السيد باين رأسه وقال: ليس الأمر بهذه السهولة، لا، هذه القضية صعبة، وأعني أن يكون علينا الإقدام على بعض المجازقات التي يعني أن تجرب فيها ما هو غير تقليدي.

- السيدة أوليهر؟

أبسم السيد، باين لذكر الرواية المشهورة عالمياً وقال: السيدة
أوليفر أكثر تقليدية منا جميعاً، إنني أفكر بعملية حرة! وبالمناسبة
يوسعتك أن تتصل لي بالدكتور أنثروباس.

- أنثروباس؟

- نعم، فستكون بنا حاجة لخدماته.



بعد أسبوع من ذلك دخلت السيدة رايمر مكتب السيد باركر
باين من حديده، فهض تشبهاً قاتلاً، أؤكد لك أن هذا التأخير كان
ضرورياً؛ فقد تعثرت ترتيب الكثير من الأمور، واضطرت لتأمين
خدمات وجلي عبر عادي لسطح نصف أوروبا لباتي، إلى هنا

تأوهت بأرقابها؛ فقد كانت في ذهنها -شكل دائم- حفيظة أنها
دفعت شيئاً يساوي ألف جنيه، وأن ذلك الشيء قد عُرِف

صفحة السيد باركر باين جرساً، فأحلبه فتاة سمراء شرقية
الست ترتدي زي الممرسات. قال لها: أكل شيء، جلفز أيتها
الممرسة دي سارا؟

- نعم؛ إن الدكتور كونستين ينتظر.

سألت السيدة رايمر شيء من عدم الانباح: ماذا سيعمل؟

- سأعزفك على شيء من المحر الشرقي يا سيدتي العزيزة.

تبع السيدة رايمر الممرسة صموءلاً إلى الطابق العلوي، حيث
تم اصطحابها إلى غرفة لا علاقة لها باباتي خرف البيت؛ فقد عثقت

جدرانها الشطراوات الشرقية، وكان فيها عدد من الأرائك والوسائد
الناعمة والسجاد الجميل على الأرض. وكان هناك وحل ينكب على
مغلا قهوة. اعتدل الرجل عند دخولها، وقالت الممرسة: الدكتور
كونستين.

كان الدكتور يرتدي ملابس أوروبية، ولكن وجهه كان شعبد
الشجرة، كما كانت عيناه سوداوين حامضتين وفي بظرفهما قوة نقادة
خرقة.

قال بصوت منخفض مهتز: هذه هي مريضتي إذن؟

قالت السيدة رايمر: أنا لست مريضة

- حسدك ليس حربصاً، ولكن روحك متعبة، ونحرم -في
الشرق- نعرف كيف معنى هذا المرض، احلسي واشربي فتجائلاً من
القهوة

جلست السيدة رايمر وتقبلت فحائاً صغيراً من القهوة الثقيلة
ذات النكهة القوية، وأياما كانت ترتشفه تحدثت الدكتور. هنا في
الغرب يعالجون الجسد فقط. وهذا خطأ؛ فالجسم لا يعدو أن يكون
آلة موسيقية يُعزَف عابها لحن. وربما كان ذلك اللحن حزناً مليماً،
وربما كان لهما فرحاً مليماً بالهجة. وهذا الأخير هو ما مستعطيك
إياه، إن لديك مالا، وسوف تصوره وتتمتعين. وسوف تكون الحياة
حديقة والعيش من جديد. إنه أمر سهل... سهل... سهل جداً..

ذخف على السيدة رايمر إحساس بالارتخاء. وفدا جسم
الطبيب والممرسة عائناً بالنسبة لها. شعرت بسعادة عميقة ولعاس،

لم غذا جسم الدكتور أكبر. كان العالم كله يغدو أكبر.

كان الدكتور يظفر في عينيها ويقول: ناسي، ناسي، إن حبيبك يتغلقان... وستأمنين حالاً، ستأمنين... متأمنين

أغلقت السيدة وايمر حجابها وعابت في عالم واسع رائع

عندما منحت عينيها بدا لي أن وقتاً طويلاً قد انقضى. تذكرت عدة أشياء على نحو غامض... أحلاماً غريبة، لم شعوراً باليقظة، ثم مزيداً من الأحلام. تذكرت شيئاً عن سيارة والفتاة الجميلة السحراء في ثياب المعرشة تتعني قوتها.

وعلى أية حال فقد كانت مستيقظة تماماً الآن، وهي في سريرها الخاص.

ولكن، أكان ذلك سريرها حقاً؟ إنها نحس به مختلفاً... إنه ينفذ إلى النعومة اللذيلة لسريرتها الخاص... كان يذكرها - على نحو غامض - بأيام كادت تنسى. تحركت لأصدر السرير صرخة. لم يكن سرير السيدة رايمر في مارك لين يصغر أبداً.

نظرت حولها. من المؤكد أن هذا ليس بيتي في براك لين. أكان مستشفى؟ رأيت أنه لم يكن مستشفى. كما أنه ليس فندقاً. كانت عرفة خالصة من الأثاث، حداثتها ذات لون كيلكي باهت، وكانت فيها مقبلة عليها إبريق. فما كان هناك صندوق من خشب الصنوبر ذو أدراج، وصندوق معدني، بالإضافة إلى العديد من الثياب غير

المألوفة معلقة على أرفاد في الحائط، وأخيراً هذا السرير المغطى بلحاف كبير الرقع، وكانت هي تمام فيه.

قالت السيدة وايمر: أين أنا؟

فُتح الباب ودخلت امرأة قصيرة سمينة. كانت ذات حدين متوردين وشكل يوحي بالمرح وحس المزاج. وقد رفعت أكمامها ولوتدت صدرية الحام. هفت المرأة تعال! لقد استيقظت، أحل يا دكتور.

فتحت السيدة وايمر فمها لتقول عدة أشياء. ولكن تلك الأشياء بقيت دون أن تُقال، ذلك أن الرجل الذي لحق بالمرأة السمنة إلى الغرفة لم يكن يشبه في شيء الدكتور كونستين المهيب الأحمر. كان هذا الرجل عجوزاً محدودب الظهر ينظر من خلال نظارات سمبكة

قال وهو يقرب من السرير ويأخذ وسع السيدة وايمر بيده: هذا أفضل، ستكونين الآن أعمل حالاً يا عزيزتي.

سألت السيدة وايمر: ما الذي أصابني؟

- لقد أصابك نوع من السكته، وقد عيب عن الوعي يوماً أو يومين. ولكن ليس لديك ما يُغلق.

قالت المرأة السمينة: لقد أفرغتنا يا حنة... وقد كتبته نهدين أبهاً، وتقولين أغرب الأمور

قال الطبيب مؤباً: نعم، نعم يا سيدة خارنوه، ولكن ينبغي أن

لا تأثير المريضة صرعان ما استقروا وأنت بأفضل صحة يا عزيزتي.

قالت السيدة غاردر - ولكن لا نثق في الحبل يا حنة! فقد جاءت السيدة روبرتس لمساعدتي، وقد عيّننا كل ما يحب عمله. ابقي فقط في سريرك وتحبني يا عزيزتي.

قالت السيدة رايمر: لماذا نسميني حنة؟

قالت السيدة غاردر: وقد فوجئت. لأنه اسمك!

- كلا، إنه ليس اسمي؟ فاسمي هو إميليا، إميليا رايمر، زوجة أتر ورايمر

تبادل الطبيب والسيدة غاردر النظرات، ثم قالت للأخيرة: "حسنًا، ولكن تمدي فقط". وأضاف الطبيب: نعم، نعم، لا تقلقي.

ثم اتسحا فبعض تمسحت السيدة رايمر وهي حائرة تفكر. لماذا أسمىها حنة؟ ولماذا تبادلنا نظرة عدم التصديق الحرة تلك عندما أعطينا اسمها؟ أين هي وما الذي حدث؟

نسبقت من السرير، وقد شعرت بشيء من الضعف في ساقيها ولكنها مشيت ببطء إلى اللقطة الصغيرة النافذة عن السطح المنحدر المائل. ثم نظرت منها... إلى ساحة مزرعة؟ عادت إلى السرير وهي شديدة الحيرة، ما الذي فعله في بيت نافع لمزرعة لم تراه أبدًا من قبل؟ عادت السيدة غاردر فدخلت الغرفة حاملة طاسة من الحساء على صينية.

بدأت السيدة رايمر استلقاها: ما الذي أفعله في هذا البيت؟ من الذي أتى بي إلى هنا؟

- لم يأت بك أحد يا عزيزتي، إنه بيتك، وقد عشت فيه خلال السنوات الخمس الماضية... دون أن أشك مرة واحدة بأنك تتعرضين لهذه الثوبان.

- هشت هنا؟ خمس سنوات؟

- نعم. لا أحبك تقصدي أنك ما زلت لا تذكرين يا حنة؟

- أما لم أعش هنا أبدًا؟ إنني لم أرك أبدًا من قبل.

- أرايت، لقد تعرضت لهذا المرض وتسميت.

- إنني لم أعش هنا أبدًا.

- ولكنك عشت يا عزيزتي.

وفجأة اندفعت السيدة غاردر إلى صندوق الأدراج وأحصرت للسيدة رايمر صورة باهتة مژرة.

كان في الصورة مجموعة من أربعة أشخاص: رجل ذو لحية، وامرأة سمينة (هي السيدة غاردر)، ورجل طويل نحيل قد ارتسامة مجموعة مريحة، وامرأة في ثوب شجر وصغيرة خدم. وهذه الأخيرة هي نفسها!

حذقت السيدة رايمر إلى الصورة وقد ذهلت. وصغت السيدة غاردر الشربة بقرنها وخافتت المفرة بهدهو.

احتست السيدة رايمر الشربة بصورة آلهة، وكلت لفيفة ثقيلة

ساخته. وكان عقلها طوال الوقت في دوامة: من الذي كان مجنوناً؟ السيدة غاردر أم هي؟ لا بد أن أحدهما مجنون! ولكن كان هناك الطبيب أبشأ.

قالت لنفسها بثبات: أنا إميلي رايمر. أعرف أنني إميلي رايمر ولن يشعني أحد بخير ذلك.

كانت قد أنهت حمامة وأعادتها الطاسة إلى الصينية جذبت انتباهها صحيفة مطوية فأخذتها ونظرت إلى تأريخها. ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) هي أي يوم ذهبت إلى مكتب السيد ياركر باين؟ إما يوم الخامس عشر أو السادس عشر. لا بد أنها مريضة - إذن - منذ ثلاثة أيام قالت بعصب. يا لذلك الطبيب المخادع!

ومع هذا فقد أحست بقليل من الارتياح لقد سمعت محادثات سيئ التالى فيها هويتهن نسوات عفيدة، وكانت مخالفة من أن يكون شيء من هذا القليل قد حدث لها.

بدأت تغلب صفحات الصحيفة، وتستعرض أعمدها من دون حيالة فجلبت نظرها - فجأة! - فقرة معينة:

تم لمس مثل السيدة إيلز رايمر، أرملة إيلز رايمر، إلى مصحة خاصة للأمراض العقلية وكانت قد أصرت خلال اليومين الماضيين على القول إنها ليست نفسها، بل هي حادة! تدعى سارة ميرغليس.

قالت السيدة رايمر: حة مورهاوس! هذه هي القضية إذن! هي أنا وأنا هي! كعج من القرينة كما أنن! حساً، يومها نسوية ذلك

حالا! إن كان ذلك المداهن ياركر باين ينوي القيام بطبعة ما...

ولكن في هذه اللحظة وقعت عينها على صورة كونسين وهو يتحدث إليها من الصحيفة. وفكرت عواناً ياروزاً هذه المرأة:

رسم الدكتور كونسين

في محاضرة وداعية أُلقيت ليلة أمس عشية مغادرته إلى اليابان، عرض الدكتور كلاوديريس كونسين بعض النظريات المدهشة! فقد صرح أن من الممكن نقل الروح من جسد إلى آخر وهو يرهم أنه -حالات تجارية- في الشرق- قد تحج في إجراء نقل مردوج. حيث تم نقل روح الجسد «أ» إلى الجسد «ب» من الجسد «ب» إلى الجسد «ج» ونقل روح الجسد «ب» إلى الجسد «أ». وعندما كان أثير التروم المتناغمي أعلنت «أ» أنها «ب»، كما أعلنت «ب» أنها «أ». وبعبارة أخرى، كان من الضروري العثور على شخصين متشابهين كثيراً من الناحية الجسدية وكان أحد المظاهر التي لا شك فيها أن وجود شخصين متشابهين تماماً يعني وجود انسجام بينهما. وقد لوحظ ذلك كثيراً في حالة التوائم. ولكن نبي أن شخصين قريبين بعضهما من بعض تماماً ولكل منهما مرحلة اجتماعية مختلفة ويمكن أن يظهر نفس الانسجام إن كان لديهما تشابه ملحوظ في السمات والمزاج.

وعت السيدة رايمر الصحيفة من يدها وساحت. يا للوفد، يا للوفد الشقي!

فهبت الأمر كله الآن! لقد كانت مؤامرة عسيرة للحصول على أموالها. وقد خالت حنة مورخاوس هذه أداة بيد باركر باين... وربما كانت أداة بريئة. لقد قام مع ذلك الدكتور كوسنين بتنفيذ هذا الفصل الحبيب

ولكنها استفدحه، وستكشف أمره، وستتعدى عليه القانون! ستخبر الجميع .

توقفت السيدة رايمر صمجة - في أوج شغلها حين تذكرت الفترة الأولى؛ إذ أن حنة مورخاوس لم تكن أداة سهلة الفناء فقد اجتشت وأعلنت هويتها، وما الذي حدث؟ قالت السيدة رايمر لقد ألقيت المسكينة في مصيدة للأمراس العتيلة.

سرت وعدة في حسمه صمجة أمراس عتيلة لقد أدخلوك هناك ولن يدهوك نخريين أبدًا. وكلما ظنّ إلك عاقلة كُلّما قتل تصدّبهم لك. هناك أنت وهناك ستغيب كلاً، لن تجارو السيدة رايمر بذلك!

لم تُفتح الباب ودخلت السيدة غارونر وقالت: أمه لقد تدارب حساظة يا عزيزتي، هذا جيد. ستكون أحسن حالاً الآن.

- أكتش مربضة إذن؟

- دعيني أتذكر. لقد كان ذلك قبل ثلاثة أيام... يوم الأربعاء، كان ذلك هو الخامس عشر من الشهر. سادت حالك في نحو الساعة الرابعة

صاحت السيدة رايمر: "أمه" وكانت صحتها مليئة بالمعاني.

ذلك أن تلك الساعة هي نفسها - تقريباً - الساعة التي دخلت فيها على الدكتور كوسنين

قالت السيدة غارونر: لقد تراخيت في كرسبك وقلّبت "أمه"، ثم قلت بصوت خالم: "إنني أمام إنني أمام...". ثم لعبت بالعمل، فحملتك إلى السرير واستدعيت الطبيب، وبقيت منذ ذلك الحين هنا على هذا الوضع.

جاءت السيدة رايمر قائلة: أحسب أنه ما من طريقة تعرفين من خلالها من أنا. أعني باستثناء وجهي.

- غريب أن تدلي ذلك، وهل يوحد أنفصل من وجه المرأة وسيلة لمعرفة؟ ومع ذلك لحدّيك تلك العلامة منذ الولادة إن كان الوجه وحده لا يُفصّل.

قالت السيدة رايمر وقد نهال وجهها: «العلامة؟» (إذ لم تكن في جسمها مثل هذه العلامات).

- لُعبة مُحرمّة تحت مرفقك الأيسر تماماً. الظري إليها بنفسك يا عزيزتي.

قالت السيدة رايمر لنفسها: "هذا سبب الأمر...". فقد كانت تعرف أنها لا تملك علامة حمراء تحت مرفقها الأيسر. وقعت قُمت ثوب النوم عن نفسها، وكانت العلامة الحمراء هناك!

وانفجرت السيدة رايمر قسبي.

• • •

بعد أربعة أيام تهبست السيدة وإبر من فراشها. كانت قد فكرت
بعدة خطط للعمل، ورفضتها.

يمكنها أن تقي السيدة غاردر المقاتل الموجود في الصحيفة
وتشرح لها الأمر. هل سيصدقونها؟ كانت السيدة وإبر وثقة أنهم
لن يصدقوها.

يمكنها أن تلجأ إلى الشرطة. ولكن هل سيصدقونها؟ ومرة
أخرى وأت أنهم لن يصدقوها

يمكنها أن تذهب إلى مكتب السيد باركر باين. وقد مررتها تلك
الفكرة بالتأكيد أكثر ماعداها، وذلك لسبب واحد، وهو أنها أرادت
أن توسع ذلك الشقي سباً وشتماً. ولكن عقبة أخرى صنعتها من شقيد
هذه الخطوة، فهي الآن في كورنوال (حلفاً ما سمعته)، وليس لديها
من المال ما تذهب به إلى لندن. لم يكن وضعها المالي لينجوز
شئين وأربعة بنسات في محفظة نفوذ قديمة مهترنة.

وهكذا وبعد أربعة أيام، اتخذت السيدة وإبر قراراً ينضم
بالمسيرة. فهي متضل الأمور كما هي في الوقت الحاضر. حنة
مورهاوس؟ حسناً ستكون حنة مورهاوس. ستبقى مؤقتاً هذا الدور،
ولاحقاً، عندما تدخر ما يكفي من المال، ستذهب إلى لندن لتتحدى
الشعثان في عقر داره.

وبما أنها فرت ذلك فقد تقلت دورها بنسبة جيدة تماماً،
بل حتى يسود سائر مرير. كان الشاريح يعيد نفسه في الواقع. لقد
ذاكرتها هذه الأيام بأيام سبيلها. لَكُمْ بدا ذلك بعيداً!

• • •

كان العمل صعباً قليلاً بعد تلك السنوات من العيش الهنيء،
ولكنها وجدت نفسها تعناد على نظام العمل في المزرعة بعد الأسبوع
الأول.

كانت السيدة غاردر امرأة لطيفة طيبة المزاج، وكان زوجها
الضخم قليل الكلام لطيفاً هو الآخر. أما الرجل النحيل الذي كان
يظهر في الصورة فقد غادر المزرعة وحل محله رجل آخر ضخم
الوجه مرخ في المخاض والأربعين من عمره، بطيء الكلام والتفكير،
ترمش عيناه الزرقاوان حياءً.

ومضت الأسابيع وفي النهاية جاء اليوم الذي توفر فيه لدى
السيدة وإبر ما يمكنها من أن تدفع ثمن بطاقة السفر إلى لندن. ولكنها
لم تذهب، فقد أجلت الأمر، وأت أن لديها ثمنها من الوقت. ثم
تكن تشعر بأنواع في عقلها لمسألة مصحات المجانين. لقد كان ذلك
الشقي باركر باين فكياً، فمن شأنه أن يجعل أحد الأملياء يقول إنها
مجنونة، وهكذا ستدفع في غياهب المصححة دون أن يعلم بها أحد.
ثم قالت لنفسها: ووق ذلك فإن في الأمر بعض التغيير المرغوب

كانت تنهض مبكراً وتعمل عملاً شاقاً، وكان جو ويلش عامل
المزرعة الجديد، مريضاً في ذلك الشتاء، فقامت هي والسيدة غاردر
برعايته. وكان الرجل الضخم معتمداً عليهما بشكل يثير الشفقة

ثم جاء الربيع... أوان ولادة الحملان، ونمت أزهار برية على
الأسبحة، وصار الهواء نقياً منعشاً، وكان جو ويلش يساعد حنة في
عملها، فيما كانت هي تسلح له ثيابه، وأحياناً كانا يطرجان معاً

للمشي بأهم الأحاد. كان جو أرمني ماتت زوجته منذ أربع سنين، وقد اعترف صراحة أنه منذ وفاتها قد بدأ يشرب الكحول.

ولكنه لم يعد يذهب كثيراً إلى حانة كراونز هذه الأيام، وقد اشترى لنفسه بعض الملابس الجديدة.

كانت حنة تضحك من حو. كانت تخطه وتنتدر على شكله الأخرق. ولم يكن هو يزعج لذلك، فقد بدأ سعيداً بذلك وعم عجبه.

وبعد التبرع جاء الصيف... صيف جيد في ذلك العام، وقد حمل الجميع بكل جد. وأخيراً انتهى الحصاد، واصفرت واحمرت الأوراق على الأغصان.

وفي الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) وقعت حنة بصرها عن شجيرة كانت تنقطعها فرائت السيد باركر باين ينكح على السياج.

فالت حنة (التي كانت السيدة وايمر): أنت؟! أنت يا...

واستعرق منها تعريغ ما في نفسها وقتاً طويلاً، حتى إذا انتهت من قوله ما يسر لها كانت أنفاسها قد تطلعت.

ابنسم السيد باركر باين هدوء وقال: إني أفضل معك تماماً.

قالت السيدة وايمر تكرر نفسها: إنك مخادع كذاب! أنت واكونيتيك، وتوابعك المعطسي، وأنتم تودعون تلك العنة المسكينة حنة مع... المحائين.

قال السيد باركر باين: كلاه إنك تشيبن الحكم علي في هذه

المنطقة. إن حنة مورهاوس ليست هي مستغنى المجانين. إن حنة مورهاوس لا وجود لها أبداً.

- حقاً؟ وماذا عن سورتها التي رأيتها بأمر عيني؟

- إنها مزيفة، وتدبر ذلك مسألة سهلة جداً.

- وتلك المقالة في الصحيفة عنها؟

- لقد كانت الصحيفة كلها مزيفة بحيث تكون فيها مقالتان

تهدواك طبيعتين بحيث تُفعلان. كما حدث بالفعل.

- يا لذلك الدكتور الدجال كونسيتي!

- هذا اسم مستعار... استعنا لصديق لي يُظن النعثل.

هتقت السيدة وايمر: ماذا؟ وأحب أني لم ألتزم مغضبياً أيضاً؟

- الحديقة أنك لم تشومي، بل شربت في قهونك مستحضرأ من الأعشاب الهلالية المخدرة. وبعد ذلك تم احتفاظك أدوية أخرى وحي: بك إلى هنا بالسيارة حيث استعدت وعبك.

- فقد كانت السيدة غاردر شريكة في الأمر منذ البداية إذن؟

أوما السيد باركر باين برأسه موافقاً فقالت: وأحب أنك وشوتها... أو ملأت رأسها بالأكاذيب!

- السيدة غاردر تلقى بي! فقد أنفذت أبها يوماً، من المحن

مع الأشغال الشاقة

كان في طريقة كلامه شيء جعل السيدة وايمر لمتنع عن متابعة ذلك الموضوع. ولكنها قالت: وماذا عن تلك العلامة على مرفقي؟

انقسم السيد باين وقال: إنها ثلاثية، وبعد مدة أشهر ستكون قد اختفت تماماً.

- وما معنى كل هذا الهراء؟ نحمل مني أشمكة، ونحترق هنا كخافوخة... أنا، رغم كل أموالني! ولكن لا أحسب أن بي حاجة للسؤال! حلا شك أنك كنت تأخذ من أموالني ما تريد يا صاحبي العزيز.. هذا هو معنى الأمر كله.

- صحيح أنني أخذت منك عندما كنت تحت تأثير الشخير وكثرة، وأنتي خلال.. خلال غيابك توليت الإشراف على شؤونك المالية، ولكنني أستطيع أن أؤكد لك - يا سيدني العزيز - أن شيئاً من مالك لم يدخل جيبني بامتثاله الحبيبات الألف الأصلية، والمضيفة آن، صحتك المالي قد تحسن علمياً بفضل الاستثمارات الحكيمة التي قمت بها.

ثم انقسم لها، فبدأت السيدة وايمر تقول: لماذا إذن...

ولكن السيد باينكر باين قام عليها قائلاً: سأسألك سؤالاً واحداً يا سيدة وايمر. ولست امرأة صادقة، وأعرف أنك ستجيبين عن سؤالني بصديق. إنني أسألك إن كنت سعيدة.

- سعيدة؟ هذا سؤال واضح! تسرق أموال امرأة ونسألها إن كانت سعيدة! تعميhi وقاحتك.

- أنت ما زلت غاشية، وهو أمر طبيعي تماماً. ولكن دعني

تصرفاتي السببة خارج الموضوع للحظة. عندما جئت إلى مكتبتي منذ عام كامل كتبت امرأة تُعسبة يا سيدة وايمر. هل لك أن تحبريني الآن إن كتبت امرأة تُعسبة؟ إن كان الأمر كذلك فإني أعترض، وألث حرية في التعاقد أية إجراءات تعسبها ضدني، وهو في ذلك فسوف أعيذ لك الحبيبات الألف التي دفعتها لي. هيا يا سيدة وايمر... هل أنت امرأة تُعسبة الآن؟

نظرت السيدة وايمر إليه، ثم غفطت بعصرها عندما تكلمت أخيراً. لا، لست تُعسبة.

وتسلطت إلى صوتها نبرة عجب وقالت: لقد غلظتني في هذه النقطة.. إنني أعترف. أنا لم أكن سعيدة كما أنا الآن منذ وفاة أبني، إنني. إنني سأتزوج ورجلاً يعمل هنا. اسمه جو ويلش، وسأعطي عطلتنا الأحد القادم، أعني أنها كانت ستعلن الأحد القادم - ولكن كل شيء قد اختلف الآن بالطبع.

توهج وجه السيدة وايمر وتقدمت خطوة للأمام قائلة: ماذا تعني بكلمة احتالف؟ أطلق أنني إن اشتكيت كل أهوال العالم فإن هذا صحيحاً ليدي؟ أنا لا أريد أن أكون ليدي. هذه الطبقة عذرة لا تصلح لشيء. جوور مناسب تماماً لي وأنا مناسبة له، إننا مثلاً معاً معاً وسنكون سعدين. أما بالنسبة لك - يا سيد باينكر المفضل - فأرجو أن تتعد عن الموضوع ولا تتدخل فيما لا يعنك!

أخرج السيد باينكر باين ورقة من جيبه وأعطائها لها قائلاً: الوكالة. هل أمزقة؟ سوف تستعدين البطيرة على شروك الآن.

ارتسم على وجه السيدة وايمر تعبير غريب، ألقت الورقة إليه

وقالت: خذها. لقد فلت بحفك كلاماً نائياً... وأنت تستحق بعضه..
ولمك لرجل مأكروء ولكنني أثق بك ولهم ذلك يكفي أن أسمع
سبعته جنيته هه في المصروف.. نشترى بها مزرعة لنا، والباقي..
فلتأخذ المستشفيات.

- لا أعطك تفصيل تسليم ثروتك كلها للمستشفيات؟

- هذا بالضبط ما أعيه. إن هو رجل طيب، ولكنه ضعيف،
وإذا ما أعطته مالا فإنه سيحطم نفسه. لقد جعلته يترك الغريب،
والحمد لله أنني أعرف ماذا أريد الآن. لن أسمع للعمال بأن يحول
بيتي وبين السعادة.

قال السيد بازكر باين بعضه: أنت امرأة واقعة، فتادراً ما يجد
المرء امرأة تفعل ما تفعلين

هل حصلت على كل ما تريد؟

- هذا يعني أن من التادور وجود امرأة ذات عقل.

قال السيد بازكر وفي صوته تبرة احترام "إني أنحني لك
احتراماً". ثم وقع قبضته وأحس بكل جدية، ثم ابتعد

ساحت السيدة وأبصر خلفه: ولكن انتبه إلى أن هو يتبعني أن
لا يعرف أبداً بالأمر!

ثم ولقت هناك وخطفها تقرب الشمس. وفي يدها شجيرة
ضخمة خضراء، ورأسها مرفوع إلى الأعلى وكشفها مشدودان
صورة مهية للفلاحة تظللها شمس المغيب.

* * *

- من هنا يا سيدتي

تبعث امرأة طريفة ترتدي معطفاً من الفراء حتالها المنقل على
رصيف محطة ليون.

كانت تضع قبعة من لاج اليد وقد أنزلتها لتغطي إحدى عينيها
وأذنيها، أما الطرف الآخر من الوجه فكان يُبدي صفحة وجه طائر
وخصلات شعر ذهبي تمطي أذناً صغيرة، كان شكلها الأمريكي
النموذجي رثماً مسجلاً، وقد التفت أكثر من رجل لينظر إليها وهي
تعبّر المصوورات الأولى من القطار الذي وقف لي المحطة يتظر
مورع المغادرة. وكانت على جانبي المصوورات لوحات كبيرة مثبتة
على محامل وقد نُكِت عليها أسماء المحطات المختلطة للقطار:
«باريس-ألينا»، «باريس-بوخارست»، «باريس-إمطنبول».

توقف الحثال فجأة عند آخر لوحة من هذه اللوحات، وفك
الحبل الذي ربط به الحقائق إلى ظهره لتستقر على الأرض بقوة
وقال: ها قد وصلنا يا سيدتي.

كان موقف المصورة واقفاً عند الدوح الصغير التابع لها. وقد
تقدم وهو يقول: «ساء الخير يا سيدتي»، بدأثر وبما كان ناتجاً عن

القيمة الغالية لمعطف القوم. فأولته المرأة بطلاقة من دوني رحيم
لحرية النوم التي حيزتها فقال: رقم سنة. من هنا

نظر إلى المظلل برشاقة والمرأة تبسم، وبينما كانت تسرع خلاله
في الممر كانت تصطدم برجل مربوع وهو يخرج من العرفة للمجاورة
لغرفتها. ولمحت - بسرعة - رجلاً عاداً ضخماً ذا عيني طيتين.

قال الموظف وهو يحرص عليها الغرفة: "تفصلي يا سيدتي"،
ثم فتح النافذة وأشار إلى الحشال الذي أخذ الحفاب ووقفها إلى
الرمود، وجلست المرأة

وصعدت بقرعها على المقعد حلبة قرمزية صقيرة بالإضافة إلى
حقيبة يد. وكانت المقصورة حارة، ولكن لم يحضر لها أن تنزع
معطفها. حدثت ضاروخ البافذة المفتوحة بعينين شاردتين فيما كان
الناس يهرعون جبلة وذهاباً على الرصيف، وكان هناك باعة يبيعون
الصحف والوسائد والشكلاية والعواكه والسيارات المعدنية، وكانوا
يرفعون أصواتهم أمامها، ولكن عينيها كانتا تنظران شاردتين إلى ما
وراءهم. ابتعدت محقة ليون عن فاعلها، وكان على وجهها حزن
وفائق.

- هل يمكن لسيدتي أن تعطيتني جواز سفرها؟

لم تنزع في عقلها الكلمات، ففكرها الموظف وهو يلفف
في مفخل الغرفة. ردت لسي جيفريز وأنها حيلة وقالت: ضواء
ماذا قلت؟

- جواز سفرها يا سيدتي

فحست حشيتها فأخرجت الجواز وأعطته له، فقال: ستكون

الأمور على ما يرام يا سيدتي؟ سأتولى كل شيء.

ثم ساد سكوت ذو معنى، فأخرجت لسي ورقة نقدية من
فئة الخمسين مرسماً وأعطته إياها، فقبلها بأسلوب عملي وسألها
عن الموعد الذي تريد أن يكون فراشها جاهزاً فيه. وسألها إن كانت
تريد تناول العشاء أم لا.

وبعد أن حلت هذه المسائل انسحب الرجل. وعنى القوم تقريباً
جاء صاحب المطعم مندفعاً في الممر وهو يقرع جرسه بحماسة
ويغادي: الوجبة الأولى، الوجبة الأولى.

نهضت لسي خرجت معطف الفراء الثقيل وألقت نظرة عجل
على نفسها في المرأة الصميرة، ثم حملت حقيبتها اليدوية وعلمية
جواهرها وخرجت إلى الممر. ولم تكذ تقطع خطوات قليلة حتى
حده عامل المطعم مسرعاً من جديد في طريق حرقته، وبغية إفراح
المجال له تراجعت لسي خطوة إلى الخلف لتصبح عند مدخل
الغرفة المجاورة لغرفتها، والتي كانت الآن فارغة. وبعد أن مر
الرجل واستعدت لاستئناف سيرتها إلى مقصورة الطعام وقع نالها
- مصادفة - على البطاقة المُلصقة على حفية كانت على المقعد في
تلك العرفة.

كانت حفية كبيرة متسخة أصابها شيء من البلى، وعلى تلك
البطاقة مكتوب "باركر ماين" مسافر إلى إسطنبول. أما الحفية نفسها
فقد كُتب عليها العرفان الأولان: "ب ب ب".

ارتسم على وجه الفتاة تعبير المفاجأة، وترددت لحظة في
الممر، ثم عادت إلى عرفتها فأخذت نسخة من صحيفة التابيز كانت

قد وصحتها على المائدة واسترحمت أعمدة الإسلات على الصنعة الأولى. ولكننا لم نجد ما كانت تبحث عنه، فعدلت لتتش طريقها إلى مقصورة المطعم وقد تحمهم وجهها قليلاً.

خصص لها التناول مكاناً على مائدة صغيرة كان يشعل طرفها الآخر شخص واحد.. هو الرجل الذي كادت أن تصادق به في المسرة، أي مالك تلك الحقيبة في الواقع.

سمرت إلى إليه دون أن تظهر ذلك، يبدأ هادئاً تماماً، وودعاً حذو، كما يبدأ عامساً على نحو يستحيل تفسيره، ورغم ما يحته شكله من عُمانية مُفرحة، تصرف بالطريقة البريانية المتحفظة، ولم يتكلم إلا بعد أن جيء بالقفاكة إلى الطاولة. قال: إنهم يعملون هذه الأماكن حارة جداً.

قالت إلسي: أعرفه، أتذكر لو كان بالإمكان صنع المائدة.

ابتسم ابتسامة كسبية وقال: هذا مستحيل، فجميع الحضور هنا سيحتجون على ذلك، باستثناء نحن الاثنين.

أجابته بإبشامة منها، وسكت الاثنان.

قُذمت القهوة، ثم أحضرت الفاتورة التي لا يستطيع أحد أن يرموزها. وبعد أن كتبت عليها بعض الملاحظات قروا أن تستمع شعاعنها وتبادروا، فتمتعت قائلة: اعذرني، ولكنني رأيت اسمك على حفييتك... السيد باركر باين. هل أنت... هل أنت؟

ترودت قليلاً صارع لإتقانها قائلاً: أغني كذلك بالفعل. ثم اقتطف من الإعلان الذي لاحقت إلسي وجوده أكثر من مرة في

صحيفة التلميز وبشت عنه دون جدوى قبل قليل، فقال: أعني أنني صابح: هل أنت سعيد؟ إذا لم تكن كذلك فاستفسر السيد باركر باين، نعم، أنا هو ذلك دون شك.

- فبعت، كم هو غريباً

مز رأسه وقال: ليس غريباً حقاً. قد يكون غريباً من منظورك أنت، ولكنه ليس كذلك من منظوري أنا. ثم ابتسم مُطشاًً وامضى إلى الأمام قائلاً: بعد أن غادر معظم الحضور المطعم، إذن أنت سعيدة؟ ليس كذلك؟

بدأت إلسي تقول: إني...، ثم توتعت.

- لو لم تكوني كذلك لما قلت: أنت هو غريباً

سكنت إلسي للحظات. شعرت بهذو، وأرتجأ عريب لمجرد وجود السيد باركر باين، ثم اعترفت أخيراً قائلة: - نعم إني... سعيدة أو لنقل إني قلقة على الأمل.

أوماً رأسه متعاطفاً، فيما مضت هي تقول لقد حدث شيء غريب جداً... ولا أدري لماذا كيف أتحدث.

- لماذا لا تخبريني منه؟

فكرت إلسي بالإعلان. ولماذا كانت قد خلقت عليه هي وإدوارد وصحبها، لم تحسب أبداً أنها... ربما كان من الأفضل أن تحم عن... ماذا كان السيد باركر باين دعياً. ولكنه يبدو لطيفاً

اتخذت إلسي قرارها: ستفعل أي شيء لتخرج هذا القلق من

وأشبهها قالت: سأقول لك، أنا ذاعبة إلى إسطنبول للاختصاص إلى زوجي، فهو يقوم بالكثير من الأعمال المتعلقة بالشرق، وقد رأى ضرورة للذهاب هناك هذا العام. وقد سافر قبل أسبوعين على أساس أنه يرتب الأراضين كي يذهب إليه. وقد تأثرت جداً بهذه الفكرة؛ ما لنا لم أسافر إلى الخارج أيضاً من قبل (وإن كنا قد قضينا سنة أشهر في إنجلترا).

- هل أنت وزوجك أليس كذلك؟

- نعم.

- وربما لم تزوجا منذ أحد بعيد، أليس كذلك؟

- تزوجنا منذ ما يقرب من عام ونصف.

- وكان زواجاً سعيداً؟

قالت: آه، نعم! إدوارد شخص رائع، ربما لم يكن لديه الكثير من الحيوية والحماسة، إنه نوع ما... لنقل إنه شديد الاستقامة، ثم أضافت بسرعة: ولكنه رائع.

نظر إليها السيد ماوكر باين متأملاً للحظات ثم قال: استمري.

- بعد سفر إدوارد بأسبوع كنت أكتب رسالة في مكتبه، وقد لاحظت أن ورق النشاف كله جديد ونظيف يشبه بقعة أسطر عليه، وكنت قد قرأت - لنوي - قصة بوليسية كان أحد مغامراته المزعومة فيها ما هو ظاهر على ورق النشاف من كتابة، ومن باب المنة والتقصير فقط أسكتت ورقة النشاف أمام المرأة لأعكس كتابتها. كان ذلك - حقاً - بذائع المتعة فقط يا سيد باين... أهي أن إدوارد

أشبه يحمل وديع لا يمكن للمرء أن يعلم أن يرى منه أي شيء من ذلك القليل.

- نعم، نعم إنني أفتهم تماماً

- كان من السهل تماماً قراءة ما هو مكتوب. كان هناك أولاً كلمة "زوجة" ثم "أطفال سيملون السبع"، وتحت ذلك كُتبت: "أقل التدفئة تماماً سيكون أفضل وقتاً"

ثم تولفت، فقال السيد باين: أهر غريب، غريب تماماً. وكان الخط خطأ وزجك؟

- نعم، ولكني عموماً أفكر في قلم أستطيع أن أتخيل أي ظرف يسكن لزوجي أن يكتب فيه رسالة ليس فيها إلا تلك الكلمات

كرر السيد باين: "أقل التدفئة تماماً سيكون أفضل وقتاً". أهر غريب فعلاً

كانت السيدة حيفرير قد حالت إلى الأمام وهي تعبر إليه بأمل مثلثف ومائلة مسافة ماذا أفعل؟

قال: أغشى أن يكون علينا الاضطرار حتى الوصول إلى ما قبل البندفية. ثم أخذ نشرة عن المناولة وفتحها قائلاً: ها هو ذا جدول مواعيد نظارتنا. إنه يصل إلى البندفية في الثانية وسبع وعشرين دقيقة من بعد ظهر الغد.

بإذلا البطراته ثم قال السيد باروكر: امركي الأمر لي.

كانت الساعة الثانية وخمسة دقائق، وكان قطار ميبلاون السريع قد تأخر إحدى عشرة دقيقة ومز من مبستري قبل نحو ربع ساعة من ذلك.

كان السيد باين يجلس مع السيدة جيمز في غرفتها، وقد مرت الرحلة سعيدة دون أحداث حتى تلك اللحظة. ولكن جاءت الآن اللحظة التي يفترض فيها أن يحدث شيء... إن كان سيحدث شيء. جلس الاثنان متقابلين وقلب السيدة جيمز يرتجف بسرعة، وعيناهما متعلقتان به يتبع من المحر المولم من الطائفة.

قال لها: ابني حادة؛ أنت في أمان تام إنني هنا.

وحدة انطلقت صرخة في المحر: كد، انظروا... انظروا! النار تشتعل في القطار!

وخلال لحظة كانت إلسي والسيد باين في المحر ككنت امرأة متعلقة ذات سحنة صلاية تشير بإصبع مشعر، وخارج نافذة إحدى المقصورات الأمامية كان الدخان يخرج كحماية كثيفة وكف السيد باين وإلسي في المحر وانضم إليهما آخرون، وكانت المقصورة المعنية مليئة بالدخان، فيما تراجع أول الواصلين وهم يسعلون، ظهر مغطى الفطار وصباح: المقصورة فارغة، لا تحالوا. ميبلاوي وسادتي... ستم السيطرة على النار.

وانهمرت عشرات الأسئلة والأحوية، وكان القطار يمر فوق الجسر الذي يربط الهندية بالأوامري المحاور.

وفجأة: التفت السيد بارثر باين وشق طريقه عبر مجموعة الناس

المتجهين خلفه وهرع عبر المحر إلى غرفة إلسي. كانت السيدة ذات الوجه السلافي جالسة فيها وهي تسحب أنفاساً عميقة من النافذة المفتوحة. قال السيد ماركر باين: اعذرني يا سيدتي، ولكن هذه ليست غرفتك.

قالت السيدة السلافي: "أعرف، أعرف، اعذرني، إنها الصدمة والافتعال... فلي" ثم عادت لتجلس على المقعد وتشير إلى النافذة المفتوحة وهي تسحب أنفاسها بشهقات عميقة.

وقد السيد بلوكر باين في الباب وقال ببراء أبوية غطفتة: ببني إن لا تخافي، لا أحسب أن هذه النار خطيرة.

قالت: "حقاً؟ قد، الحمد لله! أشعر بأنني أفضل". ثم حقت بالتهور قائلة: "أسعد إلى عيني"، ولكن كف السيد بلوكر باين أعادتها بلطف إلى المقعد وهو يقول: ليس الآن! سأطلب منك البقاء كحظة يا سيدتي.

- هذا تصرف نهيئ أنها السيد!

- سيدتي، سوف تثقني.

كان صوته بارداً، وجلست المرأة وهي ما تزال تنظر إليه، فيما انضمت إليهما إلسي قائلة بصوت لاهث: "يبدو أنها فتيلة دخانية... مزحة سخيفة من أحدهم. إن موقفك الفطار غاصب جداً، وهو يطلب من الجميع...". ثم توقفت وهي تتحدث إلى المرأة التي طرأت على العرفة.

قال السيد ماركو باين: سيدي جيفريز، ما الذي تحملني في
عليك القومية الصغيرة؟

- جواهري.

- هل لك أن تظنني بأن نظري لتأكد من أن كل شيء في
مكانه؟

ومباشرة انطلق سيل من الكلمات من السيدة السلافية التي
استخدمت الفرنسية لإطلاق العنان لمشاعرها. وفي غضون ذلك
كانت إلسي قد أخذت علبة جواهرها ثم صاحبت: آه! إنها غير
مفقولة.

أكلت السيدة السلافية بالفرنسية: وأنا أنهم ديق غرظك.

صاحت إلسي: لقد ذهبت الجواهر. كلها! العقد الذي
أعطانيه بوبيه وإسورة الألماس والزمرد، وخواتم العقيق، وبعض
الدياس الألمانية الرائعة للحمدة، أنتي كنت ليس الثلاث. آه
يا سيد باين، ما الذي سنعلمه؟

- اذهبي واستدعي موظف القطار، وسأحرص على أن
لا تفادى هذه السيدة العرقة حتى يأتي.

صاحت السيدة بالفرنسية: "وجوز... صعلقة"، ثم نامت كليل
السنائم، فيما توقفت القطار في البندقية.

ويمكن تخمين ما حدث في نصف الساعة التي أوقعت ذلك.
فقد تعامل السيد باين مع عدة مسؤولين، بعدة لغات مختلفة،

وكانه نمرض لهزيمة قائد والحقت السيدة المشتبه بها على ثقبها،
ولكنها خرجت من ذلك بريئة ولم يُعثر معها على الجواهر.

وبين البندقية وترستا جلس السيد ماركو باين وإلسي لمناقشة
القضية.

- متى كانت آخر مرة رأيت فيها الجواهر عملياً؟

- صباح اليوم. تزعجت فرطين كنت ألبسهما أسس ووسمتهما
في العلبة. وأخذت بدلاً منهما فرطين من اللؤلؤ العادي.

- وكانت كل الجواهر ونفها موجودة هناك ثم فُس؟

- إنما لم أتعرض كل الجواهر بالطبع، ولكن بدا أن الأمر
علي ما يرام. ربما كان هناك حاتم مفقود أو شيء صغير مثل ذلك،
ولكن ليس أكثر من هذا.

أوما السيد ماركو باين برأسه وقال: وعندما وثب العوقف
الفرقة صباح اليوم؟

- كانت العلبة معي. في مفصورة المعلم. إلسي آخذها معي
دوماً، ولم أتركها أبداً إلا عندما ركضت إلى الخارج قبل قليل.

- إذن حين تلك المرأة التي ادعت المراهقة والكرامة المجروحة،
السيدة سويابسكا أو كاناً ما كان اسمها، لا بد أن تكون هي المصد.
ولكن ماذا عاها فعلت بالجواهر؟ فهي لم تمسك هنا إلا دقيقة
ونصف الدقيقة... الوقت الذي لا يكاد يكفي إلا لتنتج العلبة بمحتاج
مزيف وإخراج الجواهر... نعم، ولكن ماذا بعد ذلك؟

- أيمكن أن تكون أعطتها إلى شخص آخر؟

- صعب جداً فقد كنت التفت وهرجت عائداً في السمر، ولم
أخرج أحد من الغرفة لأبنيته

- ربما رمتها لأحد من النافذة.

- فكرة ممتازة، إلا أننا كنا نعبّر فوق المياه في تلك اللحظة
كنا على الجسر.

- إذن لا بد لها من غائبها في الغرفة.

- دعينا نبحث عنها.

ويكمل طائفة وجبيرة شرعت إلسي في البحث، وشاركتها في
ذلك السيد باركر باين يشي من الشجوة، وعندما لامته على عدم
جديته اعتبر قائلاً: إني أذكر بأن علي أن أرسل مربية مهمة من
تريستا.

قالت إلسي لتفسيره بربودا: فقد سقط السيد باركر باين من
عيناها كثيراً.

قال مخنوع: أخشى أن أكون قد أزعجتك يا سيدة جيفريز.

- أنت لم تكن ناجحاً جداً

- ولكن يا سيدتي العزيزة، عليك أن تتذكري أنني لم أكن رجل
تحرر. العرفان والجرائم ليست من اختصاصي أبداً، تخصصي هو
قلوب البشر.

- حسناً، لقد كنت نعمة قليلة عندما صعدت إلى هذا الطائر،

ولكن ذلك لم يكن شيئاً بالمقارنة مع وضعي الحالي! يوسعي أن
أعلا الدنيا دموعاً، إسمارني الرائحة.. وحاتم الرمرد الذي أعطانيه
إدوارد عند خطوبتنا.

- ولكن لا بد أنك مؤمنة عند السرفة؟

- أحمقاً! لا أدري نعم، أحسب أنني مؤمنة. ولكن العبرة في

أربعة الأمر يا سيد باين

حفظ الطائر من سرعته، وأطلق السيد باركر باين من النافذة

وقال: تريستا... يسعي أن أرسل مربية

• • •

- إدوارد؟

تأمل وجه إلسي إذ رأت زوجها يسرع إلى لقائهما على وصيف

محنة إسطنبول. وللحظة تلات من عقلها حتى سرقة جواهرها،

ونشيت الكلمات الغريبة التي وجدتها على ورقة النشاف... لمست

كل شيء ما عدا مرور أسبوعين على آخر مرة رأت فيها زوجها، وأنه

كان شخصاً وسعياً جداً.

كانت على وشك مغادرة المحطة عندما شعرت إلسي برمت

ودود على كتفها والتفت لترى السيد باركر باين، وكان وجهه الهادئ

متهالاً بكثير من العينة.

- ميسدة جيفريز، هل لك أن تأتي لرويتي في فندق توكاتليان

خلال نصف ساعة؟ أظن أنني قد أحصل لك بعض الأتيام السارة.

نظرت إلي إلى إدوارد يتودد، ثم قامت بدموع الرجلين
عصهما بعض: هذا هو زوجي... السيد باركر باين.

- أظن أن زوجتك قد أبرقت لك بأن جوارها قد شرفت، وقد
كنت أقوم بما في وسعي لمساعدتها في استعادتها وأظني أستطيع
إبلاغها بأخبار جيدة خلال نصف ساعة.

نظرت إلي يتسائل إلى إدوارد الذي أجاب بسرعة من
الأفضل أن تدهسي يا عزيزتي. هل كنت قدتي توكتان يا سيد باين؟
حسناً سوف أحرص على صحبتها إليك.

* * *

بعد نصف ساعة بالضبط جاءت إلي إلى حرفة السيد باركر
باين الذي بعض لتحيته قائلاً: لقد حاب أملاك بي يا ميدة جيفريز
لا تحاولي إنكار ذلك. إنني لا أدعي أنني ساحر، ولكنني أقوم بما
يمكنني القيام به، أظني نظرة داخل هذه.

ثم دفع لها - عمر الطاولة - علبة دوتوبية صغيرة. فتحتا إلي
فوجدت فيها كل شيء... الخواتم والإساور والعقد والقبابيس.

هتفت: سيد باين، ما أروعك! هذا أمر عجيب جداً!

استمع السيد باركر باين بتواضع وقال: أنا سعيد إذ لم أخذلك
يا سيدتي العزيزة.

- أه يا سيد باين، لقد جعلتني أشعر بأنني لينة جداً فمت

خادمتا نريستا كنت فليقة في لعاملي معك. والآن.. هذا الوقت.
ولكن كيف عثرت عليها؟ متى؟ وأين؟

هو السيد باركر باين رأسه متأمل وقال: إنها نمت طويلاً.. يمكن
أن نسميها في يوم من الأيام، بل ربما سميتها قريباً جداً.

- ولماذا لا يمكنني سماعها الآن؟

- لذلك أسباب.

استمرت إلي للمطالبة دون أن تشع فضولها، وعندما فحيت
أخذ السيد باركر باين قفحة وعصاه وخرج إلى شوارع بيراء. مشى
هناك ويسم لنفسه حتى وصل أخيراً إلى مقهى صغير يُطل على القرن
الذهبي، وكان مهجوراً في تلك اللحظة، وعلى الجانب الآخر كانت
مساجد إسطنبول تزعم بمأذنها الرفيعة التي تتصطب نحو السماء. كان
مشهداً جميلاً جداً. وجلس السيد باركر باين وحطب فتحتين من
القهوة حامت القهوه غيلة حلوة المذاق، وما أن استأ يرنشف من
فتحاته حتى اتسل وجلي وجلس على الكرسي المقابل كان ذلك هو
إدوارد جيفريز.

قال السيد باركر باين وهو يشير إلى الضجآن الآخر: لقد طلبت
لك قهوة.

دفع إدوارد القهوة جانباً ومال فوق الطاولة وقال: كيف
عشت؟

ارنشف السيد باركر باين من قهوته بتخل حاله وقال: لا بد أن

زوجتك قد أخبرتك بما اكتشفته على الورق التشاؤم؟ ألم تخبرك؟
آه، ولكنها مستخبرك لقد فاتها أن تفعل ذلك موتاً

ثم ذكر له ما اكتشفته لسي وقال: حسناً، إن هذا يفسر ثماناً
الحادث الغريب الذي حدث قرب البندقية. لقد كنت تنفعل لسرقة
جواهر زوجتك لسبب أو لآخر، ولكن ما معنى عبارة: «قبل البندقية»
تماماً سيكون أفضل وقت؟ هذه العبارة تبدو غريبة لا معنى له. لماذا
لم تترك مسألة تحديد المكان والزمان لشريكك... أو عميلك؟ لقد
فكرت بذلك ملياً، ثم أدركت - لحدة - المعنى من ذلك. فقد سرقت
جواهر زوجتك قبل أن تغادر اثنتي لندن ووضعت، بدلاً منها، تسع
زائفة عنها، ولكن ذلك الحل لم يفتحك، فقد كنت رجلاً مستقيماً ذا
ضمير حي، وقد خشيت أن يتم اتهام خادم ما أو شخص بريء،
ولذلك فإن سرقة فعلية يعني أن تحدث... في مكان وبأسلوب قبيح
بشر محالاً للشك بأحد من معارفك أو بساتني منزلك.

وهكذا تم تزويد شريكك بفتح مطابق لفتح حلبة الجواهر،
وبسيطة فعالية. وفي اللحظة المناسبة صاحبه، ثم اندفعت إلى غرفة
زوجتك فتحت حلبة الجواهر وألقت تلك الزائفة إلى الماء. كان
بالإمكان الشك بها وتفتيشها، ولكن لا يمكن إثبات شيء عليها إذ
أن الجواهر ليست معها. والآن لنسحب أعمية اختبار المكان حلبة
واسعة، فلو أن الجواهر أُلقيت - بساطة - قرب خط سكة الحديد
لأمكن العثور عليها، وهنا تكمن أهمية تلك اللحظة بالذات حيث
كان القطار يعبر فوق الماء. وفي غضون ذلك تقوم أنت بعمل
ترتيبك لبيع الجواهر هنا، فلن يكون عليك إلا بيعها عندما تتأكد
من أن السرعة قد تمت بالعمل، ولكن برقيتي وسيلتك في الوقت

المناسب، وقد أبلغت أوماري وأودعت حلبة الجواهر في فندق
توكاتلين بالنظار حضوري، وأنت تعرف أنك لو لم تفعل ذلك فإني
سأنفذ تهديدي وأضع الأمر في يد الشرطة... كما أعلمت أوماري في
المصور إلى هنا.

نظر إدوارد جيفريز إلى السيد باركر باين منوفاً. كان شاباً
وصيماً طويل القامة أبيض البشرة، ذا ذقن مستدير وعين مستديرتين
تماماً. قال بشكل باتس: كيف لي أن أجعلك تفهم؟ لا بد أنني أبدو
لك مجرد لص عادي.

قال السيد باركر باين: أبدأ. على العكس، بل أرى أنك شريف
إلى حد مولم. إني معاد على تصنيف البشر، وأنت - ياسيدي العزيز -
تدخل في حانة التمهل بكل سهولة. والآن: أخبرني بالنفسي كلها
- يمكنك اختصار الأمر كله بكلمة واحدة: الابتزاز.

- وبعد؟

- لقد رأيت زوجتي. وأدركت أية مخلوقة بريئة صالحة هي
دون أية معرفة أو فكرة عن الشر.

- نعم، نعم.

- إن لها شيئاً في عاية الفناء والنبيل، ولو أنها اكتشفت شيئاً
عن... عن أي شيء فعلت لتركنتي.

- أتمسك إن كانت فعلاً ستتركك، ولكن هذه ليست ثقتنا. ما
الذي فعلت يا صديقي الشاب؟ أفترض أن الأمر حلاقة بأمرأة ما

أولاً إدموند جيفريز مرأته موافقاً، فسأله السيد باين: بعد الزواج أو قبله؟

- قبله. - آه، قبله.

- حسناً، حسناً، ما الذي حدث؟

- لا شيء، لا شيء، على الإطلاق، وهذا هو الجانب الثاني في الموضوع كان ذلك في فندق في جبر الهند العربية، وكانت هناك امرأة شديدة الجمال تدعى السيدة روسينر تقيم في الفندق. وكان زوجها رجلاً غنياً تنابه بويات فصحب جنوني، وقد حددها في إحدى الليالي بسدس. فهرت منه وجاءت إلى عرقي، وكانت مصف صجنونة من العرب، وقد علمت مني أن أسمح لها بالبقاء هناك حتى الصباح وأنا... ما الذي كان يوسعي فعله غير ذلك؟

حدث السيد باركر باين إلى الشاب وأحدث الشاب إليه بشيء من نزاعة الفسيف. لم تهذ السيد باين وقال: وسعادة أخرى. فأنت قد تحدثت بأسهل ما يكون يا سيد جيفريز

- لا أدري

- نعم، نعم، إنها حيلة قديمة جداً. ولتكنها غالباً ما تنجح مع الشبان المذللين. وأحسب أن الحيل قد سبق عليك عند إذاعة نيا زواجك القريب، ليس كذلك؟

- على... نلتبت رسالة تقول إنني إن لم أرسل مبلغاً من المال فإن كل شيء سيقتال لوالدة زوجتي... كيت أغويبت تلك السيدة وأبعدتها

عن زوجها. وكيف أن العديدين وأوما تأتي إلى عرقي، وكيف سيقيم الزوج يرفع دهورى للطلاق، فقد جعلوني أبدو وغداً شريراً.

ثم مسح جبينه بشيء من الحرج فقال السيد باركر باين: نعم، نعم، وهكذا فقد دفعت. ومن وقت لآخر كان الحيل يُنشد من جديد.

- نعم، وكانت تلك القشة الأخيرة التي فسدت ظهر البعير فقد كان عملنا متأزماً كثيراً بالركود، ولم يكن يوسعي تأمين أموال جاهرة. ولذلك فقد ترسست إلى هذه الحطة.

لم أأخذ متحان فهوته البود فحدثني به مناعلاً، ثم شره وسألت بشكل يثير الشفقة: ماذا أفعل الآن؟ ماذا أفعل يا سيد باين؟

قال السيد باين بحزم: سنعمل بناء على تعليماتي؛ سأتولى أنا التعامل مع معدّيك. أما بالنسبة لزوجتك، فسوف تعود لها مباشرة وتخيرها بالاحتفنة... أو سحره منها على الأقل. الثقلة الوحيدة التي يمكن أن تتعد عيبي عن ذكر الحظيفة الكاملة هي تلك المتعلقة بما حدثت في حور الهند العربية. يتوحي أن تُحصى عنها ألك... ألك قد شُددت كما قلت من قبل.

- ولكن..

- يا عزيزي السيد جيفريز، ذلك لا نهم النساء المراء لا تحب الزوج الآخر الذي يُخدع بمثل هذه السهولة. إن زوجتك تارة رائعة بريبة ذات قيم عالية يا سيد جيفريز، وهي تحبك ما يكفي لفهم الأمر فهماً جيداً ادع لها يا صاحبي، واعترف بكل شيء...

أوبأكثر ما يمكنك من الأشياء. وقل لها إنك قد مررت حتى لا يصل الأمر إلى مسامعها، إنها متعمر لك بكل حذاسة.

.. ولكن...

- إن أحد المبادئ الجوهرية للحياة الزوجية يقول إن عليك أن تكذب على زوجك... فهي تحب ذلك! اذهب! قل عفوئها يا سي، وعش سعيداً طوال حياتك. وأظن أن زوجك مترائك - مستترية - سحر كلما ظهرت امرأة جميلة أمامكما، من شأن بعض الرجال أن يتصفهوا من ذلك، ولكنني لا أظنك من هذا النوع

قال الرجل بساطة. لا أريد أبداً أن أظن إلى امرأة غير ناسي

- والله يا بني! ولكنني، لو كنت مكانك، لما جعلتها تعرف ذلك. ما من امرأة ترغب في أن تشعر أن مهمتها سهلة جداً

بعض إدوارد حيزيرز وقال: أظن حقاً...؟

قال السيد يازكر بلين بقوة: بل أعرف، معرفة اليقين.



پرآیه بغداد

مشى السيد باركر بايى في شوارع دمشق، وعندما توقف
خارج «الفتى الشرق» رأى مركبة ضخمة ذات ست عجلات، أشبه
بمركبة صغيرة، كان يُفترض أن تحملته مع أحد عشر شخصاً آخر
عبر الصحراء إلى بغداد يوم غد.

وكرر السيد باركر بايى مع نفسه أبيات الشاعر فليكر:

أربع بويات ضخمة المدينة تملق .

وهذه بوابة الصحراء، وكهف الكوارث، وقلعة الخوف،

بوابة بغداد

لا تمرى عبري أيتها القافلة، ولا تمرى وأنت تعين،

أسمع فيك الصمت حيث الحظائر ميتة،

ومع ذلك يفرح شيء، كالعصفور؟

عبري خارجة أيتها القافلة، قلعة القنور، قلعة الموت!

أصبح ذلك من قبيل الخيال الآن، ففي السابق كانت بوابة

بغداد بوابة الموت فعلاً، أوبعثة ميل من الصحاري ينجلي أن تطلعها

القافلة، وأشهر طويلة مدة من السفر. أما الآن فإن ذلك الوحوش

التي تتغذى على البترول، والموحدة في كل مكان، تقوم بذلك

الرحلة في غضون ست وثلاثين ساعة.

- ماذا كنت تقول يا سيد باركر باين؟

كان ذلك الصوت المتخف للأستاذ نيتا برايس، الشاب الصغير،
التي كانت تراها همه شديدة المراس لها حلو طائر على قرانه

ودد السيد باركر باين عليها أياها فليكر، فقالت. يا لها من
أيات مثيرة؟

كان ثلاثة رجال في ودي القوة الجوية يقعون قريباً، وتدخل
واحد منهم قاتلاً ما يزال أمامنا الكثير من الإثارة في هذه الرحلة؟
فحتى في هذه الأيام يقع إصلاقي ناز على القواهل بين حين وآخر من
قل ففأع الطرق، ثم هناك احتمال ضياعك... فهنا يحدث أحياناً،
وعدها يتم إرسالنا للبحث عنك. لقد ضاع رجل لمدة خمسة أيام
في الصحراء، ومن ضمن حفظ أنه كان يحمل الكثير من الماء معه.
ثم هناك مطبات الطريق... وقد قُتل رجل بسببها. أنا أقول الحقيقة!
كان نالماً ففصرب رأسه بساقف السيارة فمات بسبب الضربة.

سألت الأستاذ برايس الكبير: في عربة من ست عجلات يا سيد
أورورك؟

اعترف الشاب قاتلاً: لا، ليس في عربة الست عجلات.

صاحت نيتا. ولكن يتني أن قوم بشيء من التجول لروية
المناظر.

سحبت عندها كتاباً للإرشاد السياحي، فانسجبت نيتا مبتعدة
وقالت: لا أريد رؤية الأسواق.

أجابها أورورك بسرعة: تعالي معي، سوف نتمشي قليلاً.

وما لبث أن ابتعدا. فالتفت السيد باركر باين إلى رجل حادق
يقف بجانبه اسمه هينسلي، وهو يعمل في دائرة الأشغال العامة في
يقفاده. وقال بشيء من الاهتمام: إن دمشق مخيبة قليلاً للأمال عندما
يراعا المراء لأول مرة؟ فهي متمدة قليلاً، الفرام والمساكن الحديثة
والمحلات...

أوما هينسلي برأسه موافقاً، فقد كان قليل الكلام. ولكنه قال
بسرعة: لا يحصل المراء على الماضي. عندما يظن أنه حصل
عليه.

جاء رجل آخره شلب يليس ربيعة قديمة من تلك التي كان
يلسها طلبة كلية إينون. كان ذا وجه ورود وإن كان يخلو قليلاً من
التعبير، ولكنه بدا الآن قلقاً. كان هو وهينسلي في نفس الدائرة،
وقال له صاحبه: مرحباً يا سيبرست. هل فقدت شيئاً؟

هر الكابتن سيبرست وأسه مألني. كان شايء يذو عليه شيء
من مطاء التفكير. وقال بشكل غامض: كنتُ أتحوّل فقط.

ثم عشى العديفان معاً، واشترى السيد باركر باين صحيفة
محلية باللغة الفرنسية، ولكنه لم يجدها مثيرة للاهتمام. لم تكن
الأخبار المحلية تعنيه أبداً، ولم يبد أن أشياء مهمة تحدث في أي
مكان. ثم وجد بعض الفقرات تحت عنوان: لندن. كانت أولى تلك
العقارات تحدث عن مسائل مالية، وكانت الثانية تتحدث عن الوجهة
الشفترضة للسيد صامويل لونغ، ورجل المال الذي هرب من التزاماته

التي تراكمت لتبلغ الآن ثلاثة ملايين جنيه ، وغفل الشائعات إنه قد وصل إلى أميركا الجنوبية.

قال السيد باركر باين كثر يحدث نفسه : ليس ذلك شيئاً بالنسبة لرجل لم يكذب بتجاراً ثقاتاً.

- عذراً ، ماذا قلت ؟

الثقت السيد باركر باين ليواجه ضابطاً إيطالياً كان قد جاء معه على متن السفينة من برينديسي إلى بيروت.

شرح السيد باين ملاحظته فالوما الضابط الإيطالي برأيه عدة مرات وقال : ذلك الرجل مجرم عظيم ... لقد عاثنا حتى في إيطاليا ؟ فقد كان يحوز ثقة الآخرين بسهولة ، ويقولون إنه كريم المحند.

قال السيد باركر باين بحذر حسناً ، لقد نفى تعليمه في إيتون وأكسفورد.

- أنبل أنه يتفحص عليه ؟

- هذا يعتمد على ما توفر له من وقت للمهرب ، ربما كان ما يزال في إنكلترا ، بل يمكن أن يكون في ... أي مكان

قال الضابط : « ما معنا ؟ » ثم ضحك.

بقي السيد باركر باين جدياً وقال : هذا ممكن ، فما أدراك أيها الضابط ؟ قد أكون أنا هو.

نظر إليه الضابط ذهيباً ثم عاد وجهه الأسمر ليرتخي في ابتسامة فهم وقال : أه ! هذا رائع جداً ، رائع جداً حقاً ، ولكك ...

ثم تولت عيناه عن وجه السيد باين إلى الأسفل ، وقد قرر السيد باين طرته على نحو صحيح فقال : لا ينبغي أن تحكم حسب المظاهر - إن قدرنا إحصائياً من السمعة يمكن تربيته بسهولة وله تأثير كبير في إظهار المرأة أكبر من غيرها.

ثم أضاف بشكل حالم : بالإشارة إلى صبغ الشعر طبعاً ، وتغيير محنة الوجه ، بل وحتى تغيير الجنسية

تنسحب الضابط بولي بارتياح ، فلم يعرف أبداً مقدار حدة الإنكليزي.

* * *

سأل السيد باركر باين نفسه في ذلك المساء بأن ذهب إلى السبماء ، وفيما بعد قادته خطاه إلى مقبر الأفراس الليلي ، الذي تبين أنه لم يكن لا قصراً ولا ذا أفراح ، بل كان أقرب إلى حانة مستقلة وفجأة لمح سميرسمت. كان الشاب يجلس وحيداً إلى طاولة وكان وجهه محمراً ، وقدر السيد باين أنه قد شرب أكثر مما يتحمل ، فذهب وانضم إليه

قال الكاش سميرسمت متحمساً : إنني في وضع صعب ، وعلي أن أركه عن نفسي. لا أدري ماذا كنت متعلل لو كنت مكانك. لا أحب أن أغفل صديقاً ، أحبني أشي ... ومع ذلك ... ماذا يفعل المرأة ؟

تفحص السيد باركر باين كما لو أنه بره لأول مرة، ثم سأله بكل جفاء: من أنت؟ وماذا تعمل؟

قال السيد باركر ما بي منطلق: أنا أعمل في دغائل الناس.

حدث سميثرت إليه باهتمام شديد وقال: ماذا... أنت أيضاً؟

أشرح السيد باين من محفلة قصاصة صحيفة وأعطاهم للكاتب عبر الطاولة. كانت القصاصة تقول: «هل أنت نفس؟ إن كنت كذلك فاستشر السيد باركر باين».

حدث سميثرت إلى الورقة بشيء من الصعوبة ثم قال بسرعة: عجباً. أتعني.. إن الناس بأنون إليك يخبروك بالأشياء؟

- إنهم يسيرون لي بأفواههم... نعم

- أحسبهم من النساء الغيتات.

اعترف السيد باركر باين قائلاً: يأتيني عند كثير من النساء بالفعل، ولكن يأتيني رجال أيضاً. ماذا هناك أنت يا صديقي الشاب؟ لقد أردت مشورة قل قليل، اليس كذلك؟

- هذا ليس من شأن أي إنسان... باستثنائي أنا.

هز السيد باركر باين رأسه بحزن، ثم نخلى عن الكاتب سميثرت بإعجاب مهمة صعبة.

• • •

انطلقت القافلة إلى بغداد في الساعة السابعة صباحاً. كانت المجموعة تتألف من اثني عشر شخصاً: السيد باركر باين، والجنرال بولي، والأستاذ برليس وعمته، وثلاثة من ضباط سلاح الجو، وسميثرت، وهينسلي. بالإضافة إلى سيدة أرمية مع ابن لها.

بدأت الرحلة دون أحداث تذكر، وسرعان ما تجاوزت القافلة أشجار الغابة التي تحيط بدمشق. كانت السماء ملبدة بالغيوم، وقد نظر إليها السائق الشاب بإرتياب مرة أو مرتين، ثم تبادل مع هينسلي بعض ملاحظات قاتلة. لقد كانت تملط كثيراً عند الجانب الآخر من الرطبة؛ أمل أن لا تعلق السيارة بالطين.

توقفت السيارة عند منتصف النهار حيث تم توزيع وجبة غداء في حلب غربية شائعة. وقام السائقان بنهي الشاي الذي يُزجج أيضاً بكؤوس من الكرتون، ثم واصلت السيارة طريقها عبر البادية السورية التي لا تنتهي.

فكر السيد باركر باين بالقوافل البعيدة وأصابع السعير الطويلة، وعند الغروب تماشاً وصولاً إلى قلعة الرطبة الصحراوية، حيث فتحت بواباتها الضخمة ودخلت السيارة بها إلى ياحة المظلة الداخلية. قالت نيتا: يبدو هذا طيراً.

ورعد أن غسلوا وجوههم وأيديهم تعيمت ليتا للخروج في حولة قصيرة. وقد عرض عليها كل من الملازم العقاب أودوك والسيد باركر باين أن يرتاحا. وعند انطلاقهم جاء إليهم المدير

ورجاءهم أن لا يتعدوا؛ إذ ربما أصبح من الصعب عليهم تحديد طريق العودة بعد حلول الظلام.

وعده أويروك قاتلاً. "لن نعد كثيراً"، ولم يكن المشي مثيراً نظراً لشبه المتأثر كلها. وقد انحنى السيد بلوكر باين مرة والتفت شيئاً عن الأرض. سألت نينا عضول: ما هذا؟

مد يده بما التفت له وقال: أدلة من حجر الصوت تعود إلى ما قبل التاريخ... حقاوة.

- هل كانوا... أكان بعضهم يقتل بعضاً بهذه؟

- لا. إنها نها استخدامات أكثر سلمية، ولكن أظن أنه كان بمقدورهم أن يقتلوا بها لو أرادوا ذلك. إن العبرة في الرغبة بالقتل، أما الأدلة فلا تهم؛ إذ يمكن دوماً العثور على شيء ما

كانت الحصة قد بدأت تخيم شعاعوا أذراعهم إلى القلعة، وبعد تناول عشاء من عدة أصناف من المخلبات جلس الجميع للاستراحة، وكان مقرواً أن تواصل السيلورة رحلتها في الساعة الثالثة عشرة.

بدأ السائق قلقاً وقال: توجد بعض المخلبات المبيتة قريباً من هنا، ويمكن أن تقرر السيلورة في الوحل.

صعد الجميع إلى الحرية الفسحة واستمروا في أماتهم، وقد كانت العمة برايس مزعجة إذ لم يُنصَح لها أن تمتنع إحدى حقاقتها. قالت: أريد إخراج نملي الحزلي الصغير.

قال سيجرست: الأرجح أن تحتاجي أثقل ما لديك من أحذية.

ولكن لم تخفي خيبرتي فإن السيارة ستعزز في بحر من الطين.

قالت نينا: إنني لا أملك حتى جوارب احتياطية.

- لا بأس بذلك؛ فستبقين في السيارة، إن أفرى سنة أشخاص هم وحدهم الذين يحرسون لدفع السيارة

قال السيد هينلي وهو يريت على جيب معطفه: أنا أحفظ بجوارب احتياطية دائماً، فالمرء لا يعرف ما يستجد له.

أقشادت المركبة مصابيحها وانطلقت في غمة الليل، ولم تكن المسيرة مريحة. صحيح أن المركبة لم تقطرب بهم كما لو كان سيحدث في سيارة صغيرة، ولكنهم تعرضوا - مع ذلك - لمطبات سية بين حين وآخر.

كان السيد ماركر باين يجلس في المقعد الأول في المقدمة، وإلى يساره - عبر الممر - كانت تجلس السيدة الأرملة وقد فطرت نفسها بالكثير من الأعطية والأوشحة، وكان ابنها خلفها، أما خلف السيد باين فكانت الأميرة مارييس وعصفا. وفي المقاعد الخلفية جلس الجنرال وسيجرست وهينلي وشياط القوة الحيوية.

مضت المركبة تنشق الليل، ووجد السيد باين صعوبة في النوم؛ فقد كان محشوراً في مكانه، إذ بقيت قدم السيدة الأرملة ممتدة إلى العمر لتعدي على تحفظه فيما كانت هي مرلحة تماماً.

بدأ أن الجميع نائمون، وشعر السيد ماركر باين بالنعاس يغزو حفيه، إلا أن مطايا معاجناً تدفع به باتجاه سفن السيارة. وممع احتجاجات ناهمة من مؤخرة السيارة: أتبعه أتريد دق أمهاتنا؟

ثم عاد التماس. وبعد عدة دقائق مالت رقبته إلى الأمام بشكل غير مريح ونام... ولكن حدث ما لم يتوقعه فجأة؛ فقد توقفت السيارة، وكان بعض الرجال يخرجون، وقال هينلي بانتصاب لقد غررنا.

ولم حرسه على روية كل ما يمكن أن يرى، نزل السيد ياركر باين إلى الطين بعلم. ثم تكن السماء تمطر الآن، بل كان القمر مارغاً بحيث أمكن - تحت صوته - روية السائقين وهما يعملان بشكل محموم ويستعدان للحجارة والرافعات بنية رفع المحلات، وكان معظم الرجال يصعدون في ذلك. ومن موائد السبارة كانت التساءم الثلاث يطرون إلى المشهد. كانت الأستبان يرايس تتطرق باهتمام، فيما نظرت السيدة الأرمنية باشمزاز لم تنجح في إختافه.

وبناه على أواخر السائق قام الرجال من المسافرين يرفع السيارة طالعين رسال أورورك: أين ذلك الشاب الأرمني؟ هل يبقي قدميه والفتين مرتاضتين كمنصة؟ دعونا نخرجه أيضاً.

قال الحررال بولي: والكابتن سميرت أيضاً؛ إنه ليس معنا.
• ما قال التليم نائماً... انظروا إليه.

وبالفعل كان سميرت ما يزال جالساً في كرسيه، وقد مال رأسه للأمام وارتخى جسده كله.

قال أورورك: "أسواقه"، ثم ففز فدخل السيارة، وبعد دقيقة عاد للظهور وقد تغير صوته وقال: اسمعوا؛ أظنه مريضاً... أو به شيء. أين الطبيب؟

ومن بين المجموعة التي كانت مكدمة على المحطة خرج قائد

السرب لوفتاس، الطبيب في القوة الجوية، وهو ذو مظهر حديث وشعر بدأ الشيب بفروء، ثم سأل: ما أمر؟

- إني.. لا أعرف.

دخل الطبيب السيارة. وتمعه أورورك وبوكر باين، انحنى فوق الجسم المرتخي، وكانت تكفي نظرة ولمسة واحدة؛ إذ قال بهدوء: إنه ميت.

واتهمرت الأسئلة: "ميت؟"..."ولكن كيف؟" فيما تأملت ليندا: آه! ياله من أمر قذيع!

استدار لوفتاس بأسلوب مترعج وقال: لا بد أن رأسه قد ارتطم بالسقف؛ فلقد نمرضنا لمطب شديد.

- ولكن من المؤكد أن ذلك ما كان ليقتله. ألا يوجد شيء آخر؟

قال الطبيب: "لا أستطيع القول ما لم أحصه بشكل مناسب". ثم سطر حوله بصيق بالغ. كانت السماء متلاصقات وبدأ الرجال في الخارج بالتجمع عند مدخل السيارة.

تكلم السيد ياركر باين مع سائق السيارة، وكان شاهاً وباشي، الجسم لويماً، فقام بحمل النساء واحدة بعد أخرى عبر الطريق إلى مقعة حافلة من الأرض. وقد تمكن من حمل السيدة بيتيمان وبيتا بسهولة، أما العمة يرايس الثقيلة فقد تروح تحت ثقلها.

وهكذا فقد تم إفرار داخل السيارة لكي يقوم الطبيب بإسعاف

لمحصة

عاد الرجال لمطبعة جهودهم لرفع السيارة. وسرعان ما برزت الشمس في الأفق. وبدأ النهار بهياً. أخذ الطين بجفا بسرعة، ولكن السيارة بقيت مغمورة في الطين، وقد تكسرت ثلاث رافعات حديدية ولم تفلح أية جهود في تحريك السيارة حتى تلك اللحظة وبدأ السائق بإعداد الإقطار ففتح بعض المصبات وراح يثلي الشاي.

وعلى بُعد قليل من ذلك كان قائد العرب أوفانس يظن حكمه: ليس في جسده أية علامة أو جرح. وكما قلت، لا بد أن رأسه قد ارتطم بسقف السيارة.

سأل السيد باركر باين. أأنت متقن أنه مات بشكل طبيعي؟

كان في صوته شيء جعل الطبيب يلتفت إليه بسرعة ويقول: يوجد احتمال واحد آخر.

- وما هو؟

- أن يكون أحد قد ضربه على مؤخرة رأسه شيء ينه كبس رمل.

بدأ وكأن في مرة صوته شيئاً من الاحتذراء فقال ويليامسن ضابط الطيران الآخر، وكان شاباً ظاهر البراءة: ليس هذا محتملاً. أعني أنه ليس بمقدور أحد أن يفعل ذلك دون أن نراه.

قال الطبيب، وإذا كنا نأمن؟

أشار صاحبه قائلاً: لا يمكن للمرء أن يكون وثيقاً من نوم الجميع، قالوا قوف وغير ذلك كان من شأنه أن يوقف هذا الراكب أو

ذلك.

قال الحنرال بولي: الطريقة الوحيدة هي أن يكون الشخص جالساً خلفه (إذا يمكنه أن يختار اللحظة المناسبة دون أن يضطر حتى للوقوف).

سأل الطبيب: من كان يجلس خلفه الكابتن سميثست؟

أجاب أوودورك على الفور: هيملي يا سيدي... ولذلك ولا قيمة لهذا الدليل! هيملي كان أحرر أصدقاء سميثست.

ساد شيء من الصمت. ثم قال السيد باركر باين شيء من اليقين الهادئ: أحسب أن لدى الملازم ويليامسن ما نخبرنا به.

- أنا يا سيدي؟ (نفي)... حسناً.

قال أوودورك: حياء قلها يا ويليامسن.

- لا يوجد شيء - حقاً. لا شيء أبداً.

- هيا قلها.

- إنه مجرد مقطع من حديث سمعته بالمصادفة... في الرقبة في باحة القلعة. كنت قد عدت إلى المركبة فيما كان الثمان يتكلمان خارجهما تلمساء وكان أحدهما سميثست. كان يقول...

ثم سكته فتعالت الأصوات هيا يا رجله قلها.

- كان يقول شيئاً عن عدم رغبته بخذلان صديق. وقد بدا أنه خزين جداً ثم قال: سوف أسكك لساني حتى تصل إلى بندك... ولكني

لن أسكت لحظة واحدة بعد ذلك، حينئذ عليك أن تخرج بسرعة.

- والرحيل الآخر؟

- لا أدري. أقسم أنني لا أدري، فقد كان ذلك قليلاً ولم يقل إلا كلمة أو اثنتين لم أسمعهما

- من منكم يعرف سميرست جيداً؟

قال أورورك ببطء: لا أظن أن كلمة صديق يمكن أن تشير لأحد غير هينلي. لقد عرفته، ولكن معرفة بسيطة جداً. وويليامسن جديده هنا... وهكذا خالد السرب لوفتانس، ولا أظن أن أيهما قد قاتله من قبل أبداً.

واقفه كلا الرجلين فسأل السيد باين: وأنت أيها الجنرال؟

- أنا لم أزال الشاب إلا منذ أن حدثت بالسيارة معاً من بيروت.

- وذلك الأرمني؟

قال أورورك بإصرار: لا يمكن أن يوصف بكلمة صديق... وليس لأرمني من الجراء ما يجعله يقتل أحداً.

قال السيد باركر باين: "ربما كان عندي قليل إضافي صغير" ثم كثر عليهم حديثه مع سميرست في المقهى في دمشق.

قال أورورك متأملاً: لقد استخدم عبارة "لا أحب أن أحذل صديقاً"، كما كان يفعل أبقراط.

سأل السيد باركر باين: أليس لدى أحد منكم ما يمكن أن يغيبه؟

تتجنح الطيب وقال: ربما لا يكون لهذا أية علاقة بالأمر...

ولما توقف تم تشجيعه على المضي فقال: ليس الأمر بأكثر من أنني سمعتُ سميرست يقول لهينلي: لا يمكنك أن تذكر أنه يوجد في قميصك احتلاسات.

- متى كان ذلك؟

- قبل قليل من انفلاقنا من دمشق صباح أمس طسكُ أيهما يتحدثان في شؤون عملهما فقط، ولم أتدخل.

ثم توقف. فقال الجنرال: هذا مثير يا أستاذي؛ إنكم تجمعون الدليل قطعة قطعة.

قال السيد باركر باين: لقد أشرت إلى قميص زملي أيها الطيب. هل يمكن للمرء تصبغ هذا السلاح؟

قال الطيب بمرود وهو يأخذ بعض الرمل بيده: يوجد الكثير من الرمل هنا.

بدأ أورورك يقول: "إذا ما أخذت قليلاً من الرمل ووضعت في جورب..." ثم تردد. ولذا ذكر الجميع الجميلين الفصيرين اللتين قالهما هينلي الليلة الماضية: إنني أحمل دوماً جورب احتياطية. لا يعرف المرء ماذا يستعد.

ساد شيء من الصمت، ثم قال السيد باركر باين بهدوء: أيها القائد لوتاس، أظن أن جوارب السيد هينلي الاحباطية موجودة في جيب معطفه الموجود الآن في السيارة.

اتجهت أنظارهم -للحفظات- إلى حيث كان هينلي يمضي معصية جبهة وذعاباً في الأفق البعيد. وكان هينلي قد عزل منذ اكتشاف جثة الرجل. وقد تم احترام وغطه في العزلة إدا أن المحمض كانوا يملسون أنه كان صديقاً للغنيل.

قال السيد باركر باين للطبيب: هل لك أن تحصر الجوربين إلى هنا؟

تردد الطبيب، ثم قال: "لا أحب أن..."، ثم نظر -ثانية- إلى هينلي البعيد وهو يندو ويروح وقال: يبدو ذلك تصرفاً مشتبهاً ببعض الشيء...

قال السيد باين: يعني أن تحضرهما، وجاء؛ فالتزوف غير طريفة. إننا مشفعون هنا، وبحسب أن نعرف الحقيقة وإن أحصرت الجوربين فلربما تقدمنا خطوة إلى الأمام.

استدار لوتاس وذاع طائفاً، وسحب السيد باركر باين الحذرنا بولي حجاباً وقال له: أظن أنك كنت تحلس مقابل الكاهن مسيوس عبر العمر.

- صحيح

- هل تهص أحد ومشي في الصبر؟

- الآلة الإنكليزية فقط، العمة تريس، ذهبت إلى المصلحة في آخر السيارة.

- هل تعثرت أو كُتبت بأي شكل؟

- لقد تعاملت فقط مع حركة السيارة، بشكل طبيعي.

- أكانت هي الشخص الوحيد الذي رأته يمشي في الصبر؟

- نعم.

نظر الحذرنا إليه بغضوب وقال: إنني أتناول من أنت؟ إنك تتولى المسؤولية، ومع ذلك فأنت لست عسكرياً.

- لقد رأيت الكثير في هذه الحياة.

- لقد سافرت كثيراً، أليس كذلك؟

- لم أسافر أبداً، بل جلست في مكسي.

عاد لوتاس حاملاً الجوربين فأخذهما السيد باين وتفحصهما. وفي داخل أحدهما كان بعض الرمل الرطب ما يزال حالفاً.

سحب السيد باركر باين نفساً عميقاً وقال: الآن اصحى أعرف.

تحولت كل الأعين إلى الحشد الذي يندو ويروح في الأفق، وقال السيد باركر باين: أُرعب في إلقاء نظرة على الجثة إن أمكن.

ثم ذهب مع الطبيب إلى حيث كانت جثة مسيوست ممددة وقد غطيت بغطاء ثقيل أزاحه الطبيب وقال: لا يوجد ما يُرى.

ولكن عيسى السيد باركر باين كانتا مركبتين على ربطة عند القتل، ثم قال: لقد كان القتل أسعد طلبة كلية إيتون قديماً إذن؟

بناء لوفتاس مدعياً، ثم أدهشه السيد باركر باين أكثر إذ سأله: ماذا تعرف عن الشاب ويليامس؟

- لا أعرف شيئاً أبداً، فلم لمقابلته إلا في بيروت حين بحثت من مصر. ولكن لماذا؟ من المؤكد أن...

قال السيد باركر باين بمرح: لأننا سألنا رجلاً بناء على شهادته هو، أليس كذلك؟ لا بد أن يكون العرب جنوداً.

بدأ أنه ما يزال مهتماً بربطة القتل وبعاقبه، فكأن الأرواح والياقة، ثم أطلق صيحة وقال: أترى هذا؟

على مزحرة الياقة كانت بقعة دم دائرية صغيرة. واتعنى لينظر عن كثب إلى الرقبة المكشوفة، ثم قال بسرعة: هذا الرجل لم يقتل بضربة على رأسه أبداً الطبيب، بل أعلن: - عند قاعدة جمجمته. يمكنك أن ترى تماماً الوحشة الصغيرة هنا

- وأنا الذي لم أراها

- لقد كانت لديك فكرة مسبقة تصورت من خلالها أنه تلقى ضربة على رأسه من السهل تماماً لأن لا يلاحظ العرب هذه الوحشة فهو لا يكاد يرى الحرح. إنها طعنة سريعة بأداة صغيرة حادة، ومن شأن الوفاة أن تحدث مباشرة، ولن يتسنى للمصيبة حتى أن يصرخ.

- اتعنى أنها من تلك الشدى الإيطالية الصغيرة؟ هل تقصد أن الجنرال...؟

قال السيد باركر باين، إن المخيلة الشعبية تربط -دوماً- بين الشدى الصغيرة والإيطاليين، هيا... ها قد أنت سيارة؟

مدت في الأفق سيارة صغيرة قادمة، فقال أورووك بعد أن جاء وانضم إليهما: هذا جيد؛ يمكن للسيارات أن يواصل السفر بهذه السيارة.

سأل السيد باركر باين: وماذا عن ثالثنا؟

- اتعنى هينسلي...؟

- لا، لا أعني هينسلي، لقد صدف أن عرفت أن هينسلي بري.

- أنت... ولكن لماذا؟

- بسبب وجود رمل في جواره.

حدث أورووك إليه، فقال بلفظ أحرف -يا بني- أن ما أقوله لا يبدو معقولاً، ولكنه الحقيقة؛ إذ أن سميرست لم يضرب على رأسه، بل سعن

سكت لحظة ثم تابع يقول: عد بذهتك لفظ إلى المحادثة التي وبينها لكم... تلك التي تبادلناها أنا وسميرست في المشفى. لقد اتفقت أنت ما بدا لك أنه الحملة المهمة، ولكن ما أثار انتباهي

أنا عبارة لحرى فمتدما قلت له إني أصعل في معال دخائل الناس
قال لي: "ماذا أنت أيضاً؟". ألا ترى في هذه العبارة شيئاً غريباً؟
لا أحسب أنك يمكن أن تصنف سلسلة اختلاسات من دائرة معينة
تحت بند «دخائل الناس» هذه العبارة يمكن أن تصنف، بشكل أكثر
دقة، سرّاً يتعلق بهروب السيد ساموئيل لونغ مثلاً.

جطل الطيب وقال أورورك: نعم، وبما...

.. لقد قلت، مازحاً إن السيد لونغ الهارب من ديونه وبما كان
واحداً من مجموعتنا، معذراً لو كانت هذه هي الحقيقة؟

- ماذا... ولكن هذا مستحيل!

- أهدأ. ماذا تعرف عن الناس غير ما تقول؟ جولانث معمرهم
وغير ما يقولونه هم عن أنفسهم؟ هل أنا حقاً السيد باركر باين؟ وهل
الجنرال بولي حقاً ضابط إيطالي؟ وماذا عن الآسنة برايس الكورى
المسترحة التي تكاد تحتاج إلى حلاقة ذننها؟

- ولكن مستبشرت لم يكن يعرف لونغ.

- إن مستبشرت كان طالباً قديماً في كلية إيتونا وكان لونغ
أهياً في تلك الكلية، وربما كان مستبشرت قد عرفه دون أن يقول
لكم ذلك. ربما كان قد مر به بيننا. وإن كان الأمر كذلك، فماذا كان
سيمعل؟ إنه ذو تفكير بسيط، وقد أفلقه الأمر، وقد قرر أخيراً أن
لا يقول شيئاً قبل الوصول إلى بقدره. ولكنه يتحدث بعد ذلك.

قال أورورك والدعشة ما تزال تحبها، أعتقد أن ألدنا هو
لونغ؟

ثم سحب نفساً عميقاً وقال: لا بد أنه الرجل الإيطالي..
لا شك. أو ما عليك بالأرمي؟

- إن التكرار على شكل أصني والحصول على جواز سفر أجنبي
سيكون أصعب من البقاء إنكليزياً.

قال أورورك غير مصدق: أتعني الآسنة برايس؟

قال السيد باركر باين: كلا، هذا هو صاحب!

لم وضع على كتب الرجل الواقف قربه بدأ كادت تبدو ودودة
ولكن لم يكن في صوته ما يوحي بالودء وكانت أصابعه تمسك
بالرجل كالكماشة. ثم مضى قائلاً: قائد السرب لوفتاس أو السيد
ساموئيل لونغ؟ لا فرق كيف تسميه!

صاح أورورك: ولكن ذلك مستحيل.. مستحيل. لقد كان
لوفتاس في الخدمة منذ سنوات.

- ولكنك لم تنتبه به من قبل، أليس كذلك؟ لقد كان غريباً
بالنسبة لكم جميعاً. إنه ليس لوفتاس الحقيقي بالطبع.

وجد الرجل الهادئ صوته أحياناً وقال: ذاكاء منك أن تخمن
ذلك كيف عرفت بالمناسبة؟

- من قولك السخيف الماذح إن مستبشرت قد قُتل نتيجة
انطدام رأسه. لقد وضع أورورك تلك الفكرة في رأسك عندما كنا

واقفين تشكلم في دمشق بالأسس، وفكرت قائلاً نفسيك. ما أبسط ذلك! لقد كنت الطبيب الوحيد بيتاً... وكل ما تفرقه سيقل كنت قد حصلت على عفة ثوفانس الطبية وحصلت على أدواته، وكان من السهل أن تختار أداة حادة صغيرة ثلاثم فرسلك، وقد اتحنت فوقه لتحدث معه، وبينما كنت تحدث أدخلت تلك الأداة في أسفل عنقه، وبقيت تتكلم للدفقة أو اثنتين بعد ذلك. والحر معتم داخل المركبة، فكلذا ينك في شيء. ثم جاء اكتشاف الجثة، وأطلقت حكمك. ولكن الأمر لم يمر بالسهولة التي تصورتها! فقد حاولت بعض الشكوكه. ولذلك لحأتني إلى حط دفاعك الثاني، فقد كور وبليمان المعادنة التي سمعها تجري بين سميرت وبينك، وقد فهم منها أنها تشير إلى هينسلي، وأضحت أنت ذلك الجزء الصغير المستقر الذي لغفته حول وجود اختلاسات في دائرة هينسلي. بعد ذلك نصت باحتبار صغير! إذ أشرت إلى الرمل والجوارب، وكنت تمسك ببعض الرمل في يدك. وأوصلتلك المحضر الجوارب كي يتاح لنا أن نعرف الحقيقة. ولكنني بهذه العبارة لم أقصد ما نحييت أنت أنني أقصده. إذ كنت قد فحصت أصلاً حوري هينسلي، ولم يكن في أي منهما رمل... أنت الذي وضعت الرمل هناك!

أشعل السيد صامويل لونغ ألفة وقال: إنني أستسلم، لقد اتقلب حظي! لقد كانوا يلاحقوني بشكل محسوم عندما وصلت إلى مصر، والتقيت بلوقفانس. كان في طريقة للانضمام إلى الوحدات العاملة في بغداد ولم يكن يعرف أحداً منهم هناك، وكانت فرصة أروع من أن يفوتها المرء. وهكذا فقد رشوته، وقد كلفني ذلك عشرين ألف جنيه. ولكن ما أحبة هذا المبلغ بالنسبة لي؟ وبعد ذلك

جعلني سوء طالعني التقي بسميرت... ذلك الحمار الذي لم أز حماراً مثله! لقد كان طالاً تحت عهدني في كلية إينون باعتباري أعلى منه مرتبة، وكان ينظر إلي في تلك الأيام بشيء مما يسونه عبادة الأبطال، ولم تصبه لكراً إقشاء أوري. وقد حاولت معه جهدي، وفي النهاية وعد أن لا يفرق شيئاً حتى تصل إلى بغداد. مما هي الفرصة التي ستحتون آماني عندما لن تكون هناك أية فرصة. ولم يكن لي سوى غير واحد - وهو نصيبي. ولكنني أؤكد لك أنني لست قائلاً بطلعي! إن مواهبي تكمن لي مجال مختلف تماماً.

تغير وجهه، وتقلص، ثم تربع وسقط إلى الأمام.

اتحن أورورك دوقه، وقال السيد باركو باين: ربما كان هذا نتيجة حارس البروسيك في الثقافة. لقد خسر العقامر لبعته الأخير.

لم نقر حوله إلى المعمراء المسيحة، وكانت الشمس تضربه. إنهم لم يعادروا دمشق إلا بالأمس... من بوابة بغداد

لا نمرى عيري أنها الفائلة. ولا نمرى ولت تلبس. أشجع ذلك الصمت حيث العصاير عينة، ومع ذلك بعد شيء كالعصفور! أعمري عاجلة! أنها الفائلة، فائلة الفقرو، فائلة الميت!

• • •

پست في خبراز

كانت الساعة السادسة صباحاً عندما علم السيد باركر باين
بالتجاء إيران بعد توقف له في بغداد. وكانت الساعة المخصصة
للركاب في الطائرة الصغيرة محدودة، كما كان الانساع المحدود
للكراسي نفسها لا يسمح لحجم السيد باركر باين الضخم بأي
ارتياح. وكان معه رفيقاً سفره الأول رجل ضخم متورده الوجه وأي
السيد باين أنه من النوع الثرثرة، وامرأة تحيلة مزعومة الشفتين يوحى
سمتها بالتصميم.

وفكر السيد باين مع نفسه قائلاً: إنيها لا يدوان من يمكن
أن يلجأ إلى استشارتي في مجال مهنتي على أية حال.

وقد كانا كذلك بالفعل، وكانا قد أعطيا زميلهما في الرحلة
نبذة من حياتهما قبل أن تتطلق الطائرة. وكان السيد باركر باين قد
قال شيء من عدم الاستحسان؛ أما أنا فمجرد سائح؛ سأذهب إلى
طهران وأصفهان وشيراز.

وقد صهرته موسيقى هذه الأسماء بحيث أعاد ترديدها ثانية:
طهران .. أصفهان .. شيراز.

نظر السيد باين من النافذة إلى البلد تحت. كانت صحراء تامة،
وأحسن بموضع هذه المناطق الشاسعة عبر المأهولة. وفي كرمشاه

حطت الطائرة لتفحص جوازات السفر والحصارك. وقد فُتحت حلبة من حقل السيد بلوكر باين وتم تفحص حلبة صغيرة من الورق المتقوى بشي من الحماسة والاتصال، وطُرحت الأسئلة، ولكن بما أن السيد باين لم يكن يتحدث الفارسية أو يهملها فقد كان الأمر صعباً.

حان الطيار مسرعاً، وكان شاباً ألمانياً أنظر وسيم الطلبة ذاك حين عيني الزرقاء ووجه سفعته الأنواء الجوية. سأله بأسلوب مرح: ما الأمر؟

التفت إليه السيد بلوكر باين باوتباح بعد أن كان منظرطاً في عرص إيماني رائع لم يُجد شيئاً، قال للطيار: إنه مسحوق للبعوض. هل تقدر أن يوسعك أن تشرح لهم الأمر؟

بدأ الطيار مدحرجاً وقال: ماذا؟

شرح له السيد ماين الجملة بالألمانية فخرجها الطيار للفارسية. ففرح الموظفون المتحمسون الحزائي، وارتفعت وجوههم الكئيبة، وانسموا. بل لقد بلغ الأمر بأحدهم أن ضحك! فقد وجدوا الفكرة مضحكة.

عاد المسافرون لاحتلال مقاعدهم في الطائرة واستأنفت الرحلة. وقد حطت الطائرة في همدان لرحمة البريد دون أن تتوقف طويلاً، وبطل السيد بلوكر باين من المناقشة محاولاً أن يرى إن كان بإمكانه تمييز صحرة يهيمون، تلك النقطة الرومانسية التي وصف فيها داويوس امتناع اميراطوريته وقنواته بثلاث لغات مختلفة هي البابلية والعيدية والفارسية.

كانت الساعة قد بلغت الواحداً عندما وصلوا إلى طهران، وكانت هناك إجراءات رسمية أكثر من قبل الشرطة. وكان الطيار الألماني قد جاء ووقفه ميسماً بجانب السيد باين فيما أكمل الأخير الإجابة على تحقيقات مطول لم يهتم به شيئاً. وبعد ذلك توجه بالسؤال إلى الطيار الألماني قائلاً: ما الذي كنت أقوله؟

- لقد كنت تقول إن اسم أبيك سائح، وإن مهنتك تشاغل، وإن اسم والدك قبل الزواج بعداد، وبك مولود في الغلظة!

- وهل يهم ذلك؟

- لا يهم أبداً! فقط أجبهم بشي، فهذا كل ما يريدونه.

حان أصل السيد بلوكر باين بطهران، فقد وجدنا حديثاً إلى حدٍ كبير الأسى. وقد قال ذلك مساء اليوم التالي للسيد شلاغال، الطيار الألماني، عندما صادفه وهو يهيم بدخول فندقه. ويوحى اللحظة قام بدعوة الطيار إلى العشاء، فقبل الرجل الدعوة.

حان التناول الجورجي حزيناً، ثم أصدر أوامره فمأثت الطعام أن جاء. وبعد قليل قال الألماني: إذن ستذهب إلى شيراز؟

- نعم: سوف أذهب إلى هناك بالعائرة، ثم سأعود من شيراز إلى أصفهان وطهران عن طريق البر. آتت الذي ستطيرني غداً إلى شيراز؟

- لا، سأعود إلى بغداد.

- هل تعمل هنا منذ فترة طويلة؟

- منذ ثلاث سنين ، فهذه الرحلة لم يداً نعيمها إلا قبل ثلاث سنين ، وحتى الآن لم تعرض لأي حادث... من حسن الطالع !

وبعد أن جرى ، إليهما بفتحيتين من القهوة الحلوة قال الأكماني مذكراً : كان أول وكلاء أقاليم سيدتين إنكليزيتين .

- نعم ؟

- كانت إحداهما شابة من أصل عريق جداً ، ابنة واحد من وزراءكم ، واسمها الليدي إيستر كار . وكانت جميلة ، بل جميلة جداً ، ولكنها محنونة .

- محنونة ؟

- محنونة تماماً ، وهي تعيش هناك في شيراز في بيت محلي ضخم ، وترتدي ثياباً شرقية ، وترفض رؤية أي أوروبيين . أمه حياة تعيشها سيدة عريقة السب .

قال السيد باركر باين : لقد فعل آخرون ذلك .

- ولكن هذه محنونة ، يمكنك أن ترى ذلك في عينيها . كنت قد رأيت مثل ذلك في عيني قائدي في الفواصة أثناء الحرب ، وهو الآن في مصحة عقلية .

واحد السيد باركر باين يتأمل كان يذكر اللورد ماينكلدبير جيداً ، والد الليدي إيستر كار ، فقد عمل نحت إمرته عندما كان اللورد وزيراً للداخلية . كان رجلاً مستحسناً أشرفنا عيشين زواجرين شاحكتين ، وقد رأى الليدي ماينكلدبير مرة ، وتلت ذات حمل إيرلندي ملحوظ

بشعرها الأسود وعينها الزرقاوين العاصفتين . كانا كلاهما شخصين وسعيين عادين ، ولكن بالرغم من ذلك فقد كان في عائلة كار عرق حنون بالفعل ، وكان هذا العرق يظهر بين أرومة وأحرى ، لا يتجو منه جبل حتى يظهر في الجبل التالي . ورأى أن من العريب أن يركز العليار الأكماني على هذه النقطة

سأل متكاسلاً : والمرأة الأخرى ؟

- المرأة الأخرى... مبة .

كان في صوته شيء جعل السيد باركر باين يوقع نظره بعدة .

قال السيد شلاغال : إن لي قلباً مرهفاً . وقد كانت تلك الفتاة بالنسبة لي جميلة جداً . أنت تعلم كيف تحري الأمور ، فهذه المشاعر تتأبك فجأة . لقد كانت زهرة . زهرة .

تهد ثم قال : دعيت لزيورتها مرة... في بيتها في شيراز ، والسيد إيستر هي التي دعيت للحضور . ولكنني وجدت الصعبة ، زهرتي . خالصة من شيء ما . كان بوصفي أن أرى ذلك بوضوح وعندما حدث مرة أخرى من بغداد سمعت أنها ماتت ماتة !

تولب قليلاً ثم قال بتأمل : وبما كانت المرأة الأخرى قد تلتها فقد كانت محنونة كما قلت لك .

• • •

بعد ظهر اليوم التالي تماماً شامد السيد باركر باين منظر شيراز لأول مرة . تأملت الطائرة قد طارت فوق ملاهي جبلية بينها وبين

خليفة معزولة ومجاهل فاحلة حافة، ومحنة ظهرت شيراز... جوهره
من الزمرد الأخضر في قلب تلك المجاهل

أعجب السيد بازكر باين بشيراز أكثر مما أعجب بطهران، ولم
تصدمه الطبيعة البدائية للفنداق ولا الطبيعة البدائية للشوارع. وقد
وجد نفسه وسط عطلة فارسية؛ إذ كان عيد النوروز قد بدأ مساء
اليوم السابق لوصوله، وهو فترة تمتد أسبوعين يحتفل فيها الفرس
ببدء عامهم. وقد تنجول في الأسواق الفارغة، ثم خرج إلى الأراضي
الواسعة في الجانب الشمالي من المدينة. كانت كل شيراز تحتفل.

وفي أحد الأيام خرج يعيش خارج البلدة، ولدى عودته سحرة
أحد البوت. كان يتأ بغضيه الأجر الأزرق والودعي والأصفر ويضع
وسط حديقة حضراء تنساب فيها الأنهار وترتجها الورد وأشجار
البرتقال. وشعر أن هذا البيت هو بيت الأحلام.

في تلك الليلة كان يناول العشاء مع القنصل البريطاني، وسأله
عن ذلك البيت فقال القنصل: إنه بيت ساحر، اليس كذلك؟ لقد بنه
أحد الحكام السابقين الأغنياء لمنطقة لورستان، وهو لا امرأة إنكليزية
الآن. لا بد أنك سمعت بهذا اللبدي إيشر كار، إنها مجنونة جنوناً
نظيفاً.. أصبحت من أهل المنطقة تماماً ولا تريد أي علاقة بأي
شيء أو إنسان بريطاني.

- أهى صغيرة؟

- أسعر من أن تمثل دور المعفلة بهذه الطريقة. إنها في نحو
الثلثين.

- لقد كانت معها امرأة إنكليزية أخرى، اليس كذلك؟ امرأة
ماتت؟

- نعم كان ذلك منذ نحو ثلاث سنين، وقد حدث ذلك في
اليوم الذي تلا احتفالي لمعسى ها في الواقع.

سأل السيد بازكر باين بجرأة: كيف ماتت؟

- وقعت من تلك الشجرة في العائيق الأولى. كانت خلعة اللبدي
ليستر أو مرافقة لها، لا أذكر. على كل، كانت تحمل صينية الإقطار
وتراجعت غطوة عند الحافة. أمر محزن جداً، ولم يمكن فعل شيء.
فقد تهللت حميمتها على الحجر لي الأسفل.

- ماذا كان اسمها؟

- أطلق أن اسمها كان كينغ، وكانت ذات جميلة

- هل حرت اللبدي إيشر عليها؟

.. نعم... لا لا أدري! كانت فريبة الأطوار تماماً ولم أستطع
فهمها إنها مخلوقة... امرأة مهيبة يمكنك أن ترى فيها ذات شأ،
إن كنت تفهم ما أعنيه. لقد أزعجني شخصيتها الأمرة وبهجيتها
السوداوين اللامعين.

ثم صحك بشيء من الاعتذار ونظر إلى صاحبه بفصول ولكن
بدا وكأن السيد بازكر باين يهدف إلى التراجع، وكان عود القنصل
الذي أتمهه ليشتعل لفتته يحترق في يده. حتى إذا وصلت النار إلى
أصابعه فدف العود بحفلة متأنكة. ثم رأى تعابير الدهشة على وجه
القنصل غابشم وقال: أرجو أن تعذري.

- لقد كنت في عالم آخر، أليس كذلك؟

قال السيد باركر باين بمفوضى وراه تحوم بعيدة.



في تلك الليلة كتب السيد باركر باين رسالة على ضوء المصباح الزيتي الصغير، وقد تردد كثيراً في صياغتها، ومع ذلك كانت في النهاية بسيطة جداً.

يقدم السيد باركر باين تحياته إلى أليدي إيشر كاز ويرد
أدبياً مع أنه يقيم في ملق فارس للأيام الثلاثة القادمة
إذا ما رغب أليدي في استشارته.

ثم أرق مع الرسالة فاصصة ورق... وهي إعلانه الشهير: هل
أنت سعيد؟ إن لم تكن سعيداً فاستشر السيد باركر باين، ١٧ شارع
ريشعوند.

قال السيد باركر باين لنفسه وهو يألوي بحذر إلى غرفته غير
المريح: يجب أن تصبح هذه الطريقة. لنقل إنها ثلاث سنوات تقريباً،
نعم... يجب أن تصبح هذه الطريقة.



في نحو الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي جاء الجواب،
وقد أتى به خادم فارسي لا يعرف الإنكليزية: ستكون أليدي إيشر
مسرورة إذا ما زارها السيد باركر باين في الساعة من هذه الليلة.
واسم السيد باركر باين.

كان نفس الخادم هو الذي استقبله في ذلك المساء، وتم
استطاعه خلال الحديقة المغلقة، ثم صعداً على دوج غارحي
يدور حتى يفضي إلى مؤخرة البيت، وهناك فتح باب ومرعه السيد
باركر باين إلى إحدى مركبة كانت مكشوفة تطلها السماء، وكانت
هناك أريكة كبيرة وضعت عند الجدار وعليها مجلس مكتبة مغلقة
تبر الإحباط.

ارتدت أليدي إيشر أثواباً شرقية واسعة، وكان بالإمكان الشك
بأن أحد أسباب تفضيلها لذلك يكمن في حقيقة أن تلك الأثواب تلام
طراز جمالها الشرقي الفني. لقد وصفها التعليل بأنها ذات شخصية
أسرة، وقد بدت كذلك بالفعل. كان دفتها يرتفع إلى الأعلى وحاجباها
يوحيان بالنسل. قالت: أمت السيد باركر باين؟ أحس هنا.

أشارت يدها إلى كومة من الوسائد، وفي أصبعها الثالث
السمت زمردة كبيرة حفر عليها شعاعاً أمرتها. وفكر السيد باين بأن
تلك الفتاة كانت متوارفة في العائلة، ولا بد أنها تساي ثروة.

أحس أليدي إيشر، ولكن بشيء من الصعوبة؛ فليس سهلاً
على رجل يمثل جسمه أن يجلس على الأرض بشكل مؤثر جليل.
ثم ظهر خادم يحمل الفهرة فأخذ السيد باركر باين فتحاته وأورثفت
منه باستحسان.

كانت مصيفته قد اكتسبت العادة الشرقية في أخذ ما نشاء من
وقت، ثم تدفع للحديث، بل ارتفعت هي الأخرى فهوها يعين
نصف مغفقتين. ثم تكلمت أخيراً إذ قالت تساعد الناس الصعاء
هذا ما يرعه إعلانيك على الأكل.

- نعم.

- لماذا أرسلته إلي؟ أهي طريقك هي .. في العمل أثناء السفر؟

كانت في صوتها لهجة محرومة لا تخفي، ولكن السيد باركر باين تجاهل ذلك واكتفى بالرد ساطعاً: لا! إن فكرتي فيما يخص السفر هي التمتع بمطلة كاملة دون عمل.

- لماذا أرسلته إلي إذن؟

- لأن عندي من الأسباب ما يجعلني أظن أنك .. نيسة.

صاد الصمت لحظة، وكان هو في غاية التنبؤ. كيف ستلقى هذه الإجابة؟ أعطت نفسها دقيقة لتقرر ذلك، ثم ضحكت وقالت: أحسبك ترى أن كل من يترك العالم ويبحث كما أبحث، معروفاً من أبناء حبه وعن بعده، لا بد أنه يفعل ذلك لأنه نفس! أتلحن أن الحزن أو غيبة الأمل .. أو شيئاً من هذا القبيل هو الذي دفعني إلى المغنى؟ آه، كيف لك أن تعهم؟ هناك، في إنكلترا، كنت مثل سمكة خارج الماء، أما هنا فأنا أشعر بأنني أحقق نفسي. إنني شرقة في أعمالي. إنني أحب هذه العزلة، وأظن أنك لا تستطيع فهم ذلك؛ فالكسة لك لا يد أنني أبذو...

ترددت قليلاً ثم قالت: مجنون.

قال السيد باركر باين أنت لست مجنونة.

كان في صوته قدر كبير من التأكيد الهادئ، فنظرت إليه

باستغراب وقالت: ولكن أحسب أنهم كانوا يقولون إنني مجنونة. يا لهم من حقى! لا يمكن أن يبقى العالم دون أن يسمح بوجود كل الأذواق. إنني سعيدة جداً.

- ومع ذلك فقد طلبت مني القدوم إلى هنا.

ترددت وقالت: سأعترف أنني كنت فضولية جداً لرؤيتك. وتوقع ذلك فأنسى لم أبدأ العودة إلى هناك، إلى إنكلترا، ولكنني سمع ذلك - أحب أحياناً أن أسمع ما يجري في...

- في العالم الذي تركته؟

والفتت على العبارة بإعادة من رأسها. وبدأ السيد باركر باين يتحدث، وبدأ صوته الهادئ المطنطن يتكلم بهدوء بداية، ثم يعلو قليلاً ليركز على نقطة ما أو موضوع هناك.

تحدث عن لندن، وعن المجتمع الراقى، وعن مشاهير الرجال والنساء، وعن المطاعم والأندية الجديدة، وعن مباحث الخيول. وتحدث عن الملابس والأزياء القادمة من باريس، وعن محلات صغيرة في شوارع قديمة حيث يمكن إبرام صفقات عجيبة. ووصف لها السراخ ودرر السينا وأخبار آخر الأفلام، وحدد لها عن التوسع الجديد في بناء القصور، ثم تحدث عن الزورود والبستنة وأخيراً أتى إلى وصف حميم لمدينة لندن عند المساء بترامتها وحافلاتها، وحشودها المتسارعة من النائم العائدين إلى بيوتهم بعد يوم العمل والأيام الصغيرة التي تنتظر تلك الحشود، وكل النشاط الحميم الغريب للحياة العائلية الإنكليزية.

كانت ذلك عرضاً ورائعاً من طرفه ، عرساً أظهر معرفة واسعة
لغير حادية ومرتياً ذكياً للمحذائق وكان رأس اللبدي إيسر قد لنحتى
ونحلت عن سميت المحرفة ، ولعصى الوقت كانت دموعها قد
انهمرت بصمت ، والآن ، وقد أنهى كلامه ، نخلت عن كل المطاهر
وبكت صراحة .

ثم يقل السيد ياركر يابن شيئاً ، يبل جلس هناك برأبها وعلى
وجهه تعبير ملأى وأخير كمن قد بتجربة وحصل على النتيجة
المطلوبة منها .

وأخيراً رفعت رأسها وقالت بمراوة : حسناً هل عسيت ؟

- أئن ذلك ... الآن .

- كيف سأتحمل ذلك؟ كيف سأتحمل ذلك؟ أن لا أعادر هذا
المكان أبداً وأن لا أرى ... أحداً بعد الآن؟

خرجت منها انصرخة وكأنها فُصرت منها عصراً ، ثم أجمت
مفسها حاجز وجهها وصالت بمحدة : حسناً؟ ألن نساكني ذلك السؤل
الواسع؟ ألن تقول : كان كنت تريدن العودة إلى الوطن بهذا القدر
فماذا لا تعودين؟

مز السيد ياركر يابن رأسه بالثني وقال : لن أنعل ؟ فالأمر ليس
بمثل هذه السهولة بالنسبة لك .

ولأول مرة بدت لمحة بسيطة من الحرف في عيها وقالت :
أتعرف لماذا لا أستطيع الذهاب؟

- أئن ذلك .

مزت رأسها وقالت : خطأ . إن سبب عدم قدرتي على الذهاب
سبب لا يمكن لك أبداً أن تحزروه .

- أنا لا أحزرو . إنني ألاحظ . وأستف .

مزت رأسها مرة أخرى وقالت : أنت لا تعرف شيئاً أبداً .

قال السيد ياركر يابن بصرح : أوى أنني مضطر لإقتاعك . عندما
جئت إلى هنا - يا ليدي إيسر - أطلت أنك جئت جواً في رحلة جديدة
بدأ الطيران الآلماي تتلقبها من مقداد ، أليس كذلك؟

- بلى .

- وقد فادكم طيار ألماني ، السيد شلاعال ، الذي جاء إلى هنا

ليما بعد لرويشله .

- نعم .

قيلت تلك الكلمة ببرة مختلفة قليلاً بشكل يصعب تفسيره ...
كان بها الكثير من الرقة

- وكانت لديك حديقة أو مرافقة .. وعانت .

كان صوت الآن كالقولاذ . بارداً ، هجوماً

- كانت مرافقتي

- وكان اسمها ..؟

- موديل كينج .

- هل كنتِ تعينينها؟

- ماذا تعني بأنني أحبها؟

سكنت قليلاً لتسيطر على نفسها، ثم قالت: كانت مفيدة لي.

قالت ذلك بعجرفة، وتذكر السيد باركر باين قول الانفصل عنها
إن بوسع العره أن يرى أنها ذات شأن.

- هل حزنتِ عندما ماتت؟

- إني... طبعاً! ما هذا يا سيد باين؟ أمن الضروري العودة

إلى هذا الموضوع؟

كانت تتحدث مقصداً، ثم اكملت دون أن تنتظر منه جواباً:
كان من لطيفك أن تأتي، ولكنني متعبة قليلاً. لو قلت لي كم يجب
أن أدفع لك...؟

ولكن السيد باركر باين لم يتحرك ولم يُظهر أية إشارة على
شعوره بالإهانة، ومضى في أمسته يهدوء. ومنذ أن ماتت لم يأت
السيد شلاغال لرؤيته. ماذا لو جاءه هل ستقبلينه؟

- كلا بالتأكيد.

- أترفضين ذلك تماماً؟

- تماماً؟ لن أسمح للسيد شلاغال بالزيارة.

قال السيد باركر باين متأملاً: نعم. لا يمكنك قول أي شيء

آخر.

الكسر قليلاً دبح عجزتها الدماغي وقالت بشيء من التردد:
إني... إني لا أعرف ما الذي تعنيه.

- هل عرفتِ ما ليدي إيستر - أن السيد شلاغال قد وقع في حب
موريل كينغ؟ إنه شاب عاطفي. وهو ما يزال يحترم ذكرها كثيراً.
- أحمقاً؟

- كان صونها أشبه بالهمس، ومضى بالسؤال: كيف كانت؟

- ماذا تعني بكيف كانت؟ كيف لي أن أعرف؟

قال السيد باين يهدوء: لا يد أنك كنت تتلصق إليها أحياناً.

- آه، نعمي شكليها؟ كانت شابة جميلة تماماً.

- في مثل هورك تقريباً؟

- تقريباً.

ماد شيء من الصمت، ثم قالت: لماذا نطن أن... أن شلاغال
قد أحبها؟

- لأنه هو الذي أخبرني بذلك. نعم، أخبرني بكل وضوح.
وكما قلت؛ فهو شاب عاطفي. كان سعيداً بالروح لي. وقد أزعجت
حداً وفاتها بالشكل الذي وقعت به.

فترت الليدي إيستر واقفة وصاحت: أئنس إني قتلتها؟

ولكن السيد باركر باين لم يقفز واقفاً؛ فهو لم يكن من النوع
الذي يقفز واقفاً. قال: لا يا سلفتي المزيرة، أنا لا أظن أنك لتحبها

ولأن الأمر كذلك، فإني أرى أنك كلما عقلت بالكعب عن هذا التعليل والعودة إلى وطنك كلما كان ذلك أفضل.

- ماذا تعني بالتعليل؟

- الحقيقة أنك فقدت شجاعته. نعم، فقدت شجاعته تماماً؛ فقد «ظننت أنك شهمين» مثل سيدتك.

صدمت من الغفلة حركة مفاجئة فيما استمر السيد ياركر باين فثلاً. أنت لست القليدي إيسر كار. لقد عرفت ذلك قبل أن أتى إلى هنا ولكنتي اعتبرتك لكي أؤكد.

ثم اتسعت ابتسامته، هادئة لطيفة، وأكمل فثلاً عندما انفتحت محاسرتي الصغيرة قبل قلبى كنت أراقبك. وفي كل مرة كان رد فعلك هو رد فعل موريل كينغ. وليس إيسر كار. لقد انفتحت للذكر المحاولات الرخيصة، والسيما، والقصوي الجديدة، والعودة إلى البيت بالمحاولة أو الترام أما أخبار التوافي الجديدة وأحداث المناطق الراقية وسفارات الخيل... لهذه كلها لم تعني لثبة شيئاً.

غدا صوته أكثر إفتاحاً وأبوية من ذي قبل، وقال: احسبى وأخبرني عن ذلك الأمر. أنت لم تقتلي القليدي إيسر. ولكنك طنت أنك قد تهمين بقتلها. أخبرني فقط كيف حدث الأمر كله.

سحنت نغمات عبقراً لم عادت فالتت بنفسها على الأريكة وبدأت تتكلم. وقد جاءت كلماتها عجلية، على شكل دفعات سريعة؛ يني أن أبداً منذ البداية. لقد... لقد كنت حائرة معها. فقد كانت مجنونة. لم تكن مجنونة تماماً. قليلاً فقط. أحسرتني معها

إلى هنا، وقد كنت سعيدة بذلك، أنا المفجلة! ظننت أن المسألة رومانسية جداً. كنت مغفلة، مغفلة بالفعل. ثم بدأت تصبح غريبة الأطوار أكثر فأكثر ثم جاءت قصة ذلك الطيار، لقد أذهبت به. وقد جاء ها لروني، وظننت... أنه، أنت تعلم كيف تتطور هذه الأمور. ولكن لا بد أنه أوضع لها موقفه تماماً، وبعدما انقلبت على فحاة كانت قلبية ومنبهة؛ قالت إنني لن أعود إلى الوطن أبداً، وقالت إنني تحت سلطتها تماماً وإني تملك حياتي وموتي.

أوما السيد ياركر باين برأسه متعباً، فقد رأى الوضع يتكثف أمامه القليدي إيسر تنحدر يبطه إلى حافة الجنون، كما التحدر قبلها بعض أفراد أسرته، والغفلة الخائفة الغرة التي لم يسق لها السحر، وهي تصدق كل ما يقال لها.

أكملت الفتاة: ولكن في أحد الأيام بدأ وكأن شيئاً في صبي قد انفجر، فتصديت لها وأخبرتها أن الأمور إذا وصلت إلى ذلك الحد فإني أفري منها، وقلت لها إن من شائي أن أومها من العفوة وقد خافت، خافت بالفعل. وأحب أنها كانت قد اعتبرني - حتى تلك اللحظة - مجرد حشرة. تقدمت منها خطوة ولا أدري ما الذي تخيلت أنني سأفعله، فقد تراجعت إلى الخلف، وخطت... وخطت على حافة الشرفة فسقطت!

قالت موريل كينغ ذلك ثم دفنت وجهها يديها، فقال السيد ياركر باين بلطف: وبعد ذلك؟

- فدفنت عفتي. عشت أنهم سيولون إنني دفعتها. فالتت أن أحداً لن يضيي إلي وإني سأرعى في سجن رهيب هنا.

لوتعدت شفتاهما، وأدرك السيد باركر ماين: «بوصح- حفيظة
الخوف الذي سيطر عليها والذي يُلغى المرء قدرته على الحكم.

- ثم غادر الأمر لي... لو كنت أنا! كنت أعرف أن اتصالاً
جديداً مبانياً لم يسبق له أن رأى أياً مناه، ولأيت أن موسى قد غير أمر
الخدم، فبالنسبة لهم كنا كلاكنا امرأتين إنكليزيتين مجنونتين، وعندما
تموت واحدة تستمر الأخرى. أعطيتهم هدايا ثمينة وأموالاً، وقلته
لهم أن يرملوا في طلب القنصل. وعندما جاء استقبلته باعتباري
الليدي إيسر، وكنت قد وضعت خاتمها في (صمعي) وقد كان
القنصل في غاية اللطف وقام بترتيب كل شيء، ولم يذ أن أحداً قد
شك بأي شيء».

أولاً السيد باركر ماين برامه متأثراً، وضعت موريل قائلة:
وبعد ذلك ذهبت لو أنني لم أقصص شخصيتها أدركت أنني كنت
مجنونة تماماً أنا الأخرى! فقد خُكم علي بالبقاء هنا لتمثيل الدور،
ولم أستطع رؤية طريقة يمكن من خلالها الخروج من هنا أبداً. وإذا
اعترفت بالحقيقة الآن سيبدو الأمر أكثر من أي وقت مضى، وكأنني
أنا التي قتلتها، أم يا سيد ماين! ماذا علي أفعل؟ ماذا أفعل؟

- تعلمين؟

نهض السيد باركر ماين على قدميه بأسرع ما يسمح به جسمه
وقال: يا طففتي العريضة! ستأتين معي الآن إلى القنصل البريطاني،
وهو رجل ودود ولطيف جداً. توجد بعض الإجراءات الرسمية
الكريهة التي ينبغي أن تمرر بها، وأنا لا أعتقد بأن الأمر سيكون

نزعة لطيفة، ولكنك لن تشعقي منعمة القتل. وبالمناسبة، لماذا تم
الغور على حصة الإفطار مع الحفلة؟

- أنا رعبتها فوقها لقد... لقد رأيت أن وجود الصينية هناك
سيجعل الأمر يبدو أكثر إقناعاً بأن القتيلة هي أنا أكان ذلك سخافة
مني؟

- بل كانت لمسة ذكية، والحقيقة أنها كانت النقطه الوحيدة
التي جعلتني أتساءل إن كنت قد فعلت خطأ بقتل الليدي إيسر... إلى
أن رأيتك، فبعدما رأيتك عرفت أنك، مهما عملت في حياتك، فإنك
لا يمكن أن تقتلي (إنساناً أبداً).

- أعني لأنني لا أملك الشجاعة؟

قال السيد باركر ماين منبسماً: إن ودود أفعالك لا تعمل بتلك
الطريقة. والان، هل نذهب؟ أماننا مهمة كريمة يجب مواجهتها،
ولكنني سأساعدك على اجتيازها، وبعدها العودة إلى سترينام جل.
أنت من سترينام جل، أليس كذلك؟ نعم، لقد حققت هذا، فلقد
رأيت وجهك يتخلص عندما ذكرت رقم حافلة محددة. هل ستأتين
يا عزيزتي؟

تلكأت موريل كئيب وقالت يارتباك: إنهم لن يصدقوني... لن
يصدقوا أنها تصرفت بالشكل الذي تصرفته به.

- اتركي ذلك لي، فأنا أعرف بعض الأشياء عن تاريخ العائلة.
هيا يا طففتي، لا تستعري في لعب دور الجانة. نذكرك أن هناك

شاباً يحترق قلبه عليك، من الأفضل أن يرتب بحيث تكون طائرته هي التي تنقلك إلى بغداد.

ابتسمت الفتاة واحمر وجهها وقالت بساطلة: أنا جاهزة.

وفيما هي تتحرك باتجاه الباب انفتحت فجأة وقالت: لقد قلت إنك كنت تعرف أنني لست الليدي إيسر كما من قل أن تراني، فكيف تسمى لك أن تعرف ذلك؟

قال السيد باركر باين: الإحصاء.

- الإحصاء؟! -

- نعم، فقد كان لكل من اللورد والليدي مايتلفيمر عينان ذرقاوان، وعندما ذكر لي الفضل أن ابنتهما ذات عيين سوداوين لاسعين عرفت أن في الأمر شيئاً غير طبيعي. إن ذوي العيون البنية يمكن أن يتجسوا المظالاً ذرق العيون، ولكن العكس غير ممكن، وإؤكد لك أن هذه حقيقة علمية.

- أحسب أنك إنسان واثق!

• • •

ثمن اللؤلؤة

كان أفراد المجموعة قد قضوا يوماً طويلاً مجتمعاً، فقد انطلقوا من عتبان في الصباح الباكر بدرجة حرارة تبلغ مئاً وثلاثين درجة في الظل، ووصلوا أخيراً عندما بدأ يحل الظلام إلى المعسكر الذي أنشئ في قلب تلك المدينة ذات الصخور الوردية الغيابة الغريبة، وهي البراءة.

كانوا سبعة السيد كاليب بلانديل، الثري الأميركي السحيق، وسكرتيره جيم مورست الأسير الوسيم رغم قلّة كلامه، والسير دونالد ملوفيل عضو البرلمان، وهو سياسي بريطاني عظيم الشأن، والدكتور كارفر عالم الآثار الكهل المشهور عالمياً، والتكولوجي دوبرو الفرنسي الضخم القادم من سوريا في إجازة، والسيد باركر باين الذي لا يمكن تعسف مهته بكل ذلك الوصوح، وأخيراً الأتية كارول بلانديل، الجميلة المدللة والواقفة بشدة من نعمها باعتبارها المرأة الوحيدة بين نصف دزينة من الرجال.

ناولوا عشاءهم في الحيمة الكبيرة بعد أن اختاروا خيامهم أو كهوفهم التي سينامون فيها، وتحدثوا في المباشرة في الشرق الأدنى تحدث الإنكليزي بحفزه، والفرنسي بتكتم، والأميركي بشكل غارغ إلى حدّ ما، ولم يتحدث عالم الآثار ولا السيد باركر باين على

الإطلاق، وهذا أن كلمة منهما قد نُفِضَ دور المجتمع، وهو ما يدعيت أيضاً على جيم هيرست.

ثم تحدثوا عن المدينة التي حلّوا إزيارها.

قالت كارول: إنها أكثر رومانسية من أن تصعب الكلمات. أن يفكر العروء بأولئك... ماذا أصبحتوهم؟ الأبطال... وبأنهم عاشوا هنا في ذلك الزمن السحيق، قبل أن يبدأ الزمن تقريباً؟

قال السيد باركر باين بلطف: ليس إلى هذا الحد، ما رأيك يا دكتور كارهر؟

- آه، ثم يكن ذلك إلا مثل نحو التي سنة، وقد واجهت المدينة الكثير من المصوص.

سألت كارول: أنظني أنه كان يوجد سارقون؟

- كلمة السارق ليست رومانسية يا أنسة بلانديل، فهي تروحي بسوقات بسيطة نافذة. أما المصوصية فتوحي بما هو أكبر وأعظم.

قال السيد باركر باين مُرمضاً وهو يرمش بجمته: أنسه برجل مال معاصراً

صاحت كارول: هذه واحدة عليك يا أبي!

قال السيد بلانديل بشيء من الوعظ: إن الرجل الذي يربح المال إنما يفيد البشرية

تتمتع السيد باركر باين: ولكن البشرية جاحدة جداً هذا الفضل.

سألت الفرنسي: ما هي النزاعة؟ إنها لون يتغير، تقليد يختلف معناه باختلاف البلدان وباختلاف تعليم المرء.

دخل السير دونالد في الحديث دون كثير اهتمام: إن التعليم لا يعدو أن يكون مفسداً، يعلم المرء الكثير من الأمور التي لا فائدة منها.. أعني أنه لا يغير طبيعة المرء.

- وماذا تعني بذلك؟

- ما أعني أنك -مثلاً- إن كنت أيضاً مرة فستبقى كذلك.

ساد صمت ثقيل للحظات، ثم بدأت كارول تتكلم بشكل محموم عن العوض، وقد ساندتها والدها.

تستمع السير دونالد مع جواره السيد باين وقد نحير قليلاً: يبدو وكأنني فخرت قبلة، ما الأمر؟

أجاب السيد باركر باين: أمر عريب.

وكتبت ما كان الحرج الذي ساد مؤقّتاً فإن شخصاً واحداً قد فنلى تماماً في الانتداء إليه؛ فقد كان عالم الأثوار قد حُسِنَ صانداً وحينئذ حالمتان شاردتان، وعطفاً ساد شيء من الصمت تحدثت فجأة وبسرعة: أنعلمون؟ اتني أنفق مع هذا الثرائي... من وجهة النظر المتعاقبة على الأقل؛ فالمرء إما أن يكون زليهاً في جوهره، أو لا يكون... لا نستطيع إنكار ذلك.

سأله السيد باركر باين: ألا نظن أن إطراره مفاجئاً، مثلاً، يمكن أن يبدل رجلاً زليهاً إلى محرم؟

قال كارول: مستحيل؟

هو السيد بلوتر ماين وأمه منطبة وقال: ما كنتُ لأقول إن هذا مستحيل؟ والكثير من العوامل يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار. نقطة الإنهيار مثلاً.

قال الشاب هزمت متحدثاً لأول مرة - ما الذي نسميه نقطة الإنهيار؟

كان ذا صوت عيى لا يخلو من عذوبة وقال السيد ماين: إن الدماغ شيئاً لحمل وزن معين، وقد يكون الشيء الذي يعتل في وقوع الأزمة والذي يقلب رجلاً قريباً إلى رجل مجرم مجرد شيء تافه بسيط. ولذلك فإن معظم الجرائم سببية، والسبب فيها شيء أغلب الحالات - هو ذلك الشيء، إضافة البسيط من الدخولة الزائفة. أي الفشة التي تقصم ظهر اليعير

قال الفرنسي: أنت تتكلم في علم النفس هنا يا صديقي

قال السيد باركر ماين: "إن كان المجرم عالم نفس فما نوع من المجرمين سيكون؟". بدأ أنه يفكر في هذه الفكرة باستنماع، ثم قال: عندما تذكر أن من بين كل عشرة أشخاص تقابلهم تسعة على الأقل تستطيع إغراءهم بالتصرف بأية طريقة تريدها عن طريق استعمال الحافز المتناسب.

صاحت كارول: آه، اشرح ذلك!

- مثلاً الرجل الذي يستجيب للترهيب. لا يحتاج المرء إلا

للصباح به بصوت عال حتى يطيح. أما الرجل المعتاد فما على المرء إلا أن يدفعه في الاتجاه العكسي لما يريد منه. ثم هناك الشخص القليل المتأثر بالإجاء. وهو أكثر الأنواع شيوعاً، ومولاه الناس هم الذين يرون سيارة لمجرد أنهم سمعوا يوق سيارة، ويرون سكباً في الجرح لأنهم سمعوا من قال لهم إن الرجل قد طعن، أو الذين يسمعون صوت المدس لأن فلاناً قال لهم إن النار قد أطلقت على شخص ما.

قالت كارول شيء من عدم التصديق: لا أظن أن أحداً يستطيع أن يمارس معي مثل هذا الإجاء

قال لها أيوها: أنت تفكرين بكثير من أن تتعرضي لذلك يا حبيبي. قال الفرنسي مثلاً: إن ما تقول صحيح تماماً؛ إن الفكرة المسببة نخدع الحواس.

تأملت كارول وقالت: أنا ذائعة إلى كهي، أكاد أحلث شيئاً. وقد قال عباس أفندي إذ علمنا أن نعتلق مكرين صباح غد، حيث سيأخذنا إلى مكان النصحبة. كأننا ما كان ذلك يعني.

قال السير دوتالد: إنه المكان الذي كانوا يسخنون بالفتيات الصغيرات الحميلات فيه.

- يا إلهي، يا له من أمر منقطع! حسناً طاب مساكم جميعاً. آه، لقد أسقطت فرطتي.

التفت لها الكولونيل دويو من حيث ندرح هير العارولة وأعادته

إليها

سأل السير دونالد فحلاً: هل قرطاك حفيضان؟

وكان يحدق، وقد انتابه الوقاحة للحظات، إلى اللؤلؤتين في
أذنيها فقالت: إنهما طيورمان دون شك.

قال أبرما متلذذاً: لقد كففتي ثمانين ألف دولار، وهي
لا تحسن تبيتهم بحيث يبعان ويندحرجان عبر الطاولة. أتريدين
تدميري يا بنت؟

قالت كارول سحب لا أظن أن هذا يدموك حتى لو اضطررت
لشراء زوج حديد لي.

واقفها والدها قائلاً: أظنك محقة في هذا. يمكنكين أن تشتري
لك ثلاثة أزواج من الأثاث من دون أن لاحظ ذلك في حسابي
المصرفي.

ثم نظر حوله بفخر، فقال السير دونالد: كم هذا واقع بالنسبة
لك؟

قال بلا تديل: حسناً، أظنني سأوي إلى فراشي الآن. طابت
لياليتكم

وخرج الشاب هيرست مع فيما إيسم الأربعة الباقون معهم
لبعض، وكانهم متعاطفون لفكرة معينة.

قال السير دونالد: 'من الملتفت أن يعرف أنه لن يفقد أمواله'،
ثم أضاف يهزئ: حزين فخور بهالة!

قال دويو: إن لدى هؤلاء الأميركين كثيراً من المال.

قال السيد باترك باين بلطفاً: من الصعب أن يجد الشيء
استحساناً من الفقير.

ضحك دويو وقال: الحمد والشفقة؟ أنت محق يا سيدي!
إننا -جميعاً- نتمنى أن يصبح الغني، وأن تشتري أفراس اللؤلؤ عدة
مرات، ولكن ربما باستثناء السيد هنا

ثم أضحى للدكتور كلوفر الذي كان قد سرد ثانية فيما يبدو أنها
عادة لديه. كان يعيث بشيء صغير في يده، ثم قال وقد انثبه: ماذا؟
كلا، علي الاعتراف بأنني لا أرغب كثيراً باللؤلؤ الضخم، أما المال
فهو مفيد دائماً بالطبع.

كلمت نرته تضع المال حيث ينبغي أن يوضع، وأصاف غافلاً:
ولكن اظنوا إلى هذه إنها شيء غير أكثر بعدة مرة من أنه لاكن

- ما هذا؟

- إنه حتم أسفواني من حجر الهيماتيت الأسود. وقد خُفر
عليه مشهد أحد الآلهة مقدم شخصاً يحمل عريضة إلى إله آخر
أعلى شأناً، وصاحبه العريضة يحمل طفلًا على سبيل القرعان،
وخادم يقوم بكنس الذباب من الإله الذهب على العرش بواسطة
مكشة ذباب من أفضال النخيل. وهذا نقش الدقيق هنا يذكر الرجل
على أنه خادم لحموواي، ولذلك فلا بد أن هذا الختم قد ضاع قبل
نحو أربعة آلاف عام.

أخذ قطعة من المعجون من جيبه ووضعه معها على المائدة،
ثم مسحها بقليل من الفازلين وضغط الختم عليها وهو يدهره، ثم

قالت كارول: نعم، ولكن عن ماذا يبحث؟ ما هي الأشياء التي نلتفت إليها دكتور كارفر؟

ريابسة غريبة حد الدكتور يده وفيها شطباتان موحلتان من القمطارة فصاحت كارول بأصوات: هذه القملولة!

قال الدكتور كارفر: إن القمل أكثر إثارة من القمل.

ولكن كارول بدت غير مصدقة ثم وصلوا إلى منطف حاد، وعبروا بشفة نهر قُدَّت من الصخر. كان المرتفع حاداً متنباً بعض الشيء، وكان الحرس من السود يتقدمونهم صاعدين المتحدرات الشديدة الخطيرة من دون اهتمام، ومن دون النظر إلى الأسفل حيث الهوة الساحقة تحتمهم.

بدت كارول ضاحكة قليلاً، والتعنى أحد الحراس من الأعلى ومد يده، فقامت هيرست أمامها ومد عساه لتصبح متكاً لها على الحائط المصنوع، شكرته بنظرة سيئة، وبعد لحظة كانت تلف بأمان على عر عربص من الصخر، وتبعها الآخرون سداً.

كانت الشمس قد ارتفعت الآن وزادت الحرارة، وفي النهاية وصلوا إلى أرض مستوية عريضة في القمة تقريباً، وكان قليل من التسلق كافياً للوصول إلى ذروة قطعة مربعة ضخمة من الصخر. أشار بلانديل إلى الدليل بأن أفراد المجموعة سيعدون بمردمهم، فالتفت إليهم بأنفسهم مرتاحين على الصخور ويدقون يديهم. وما هي إلا بضعة دقائق قليلة حتى وصل الآخرون القمة.

كان المكان مكتوفاً غامضاً، وكان المنتظر أمامهم والتعاني يظهر

استخدم مكيلاً ليقطع اطراف قطعة المعجون بحيث أصبحت على شكل مربع. ورفضها بعدوه عن الطاولة وقال: أترون؟

كان المشهد الذي وصله قد استوى أمامهم في المعجون واضحاً دقيقاً للتحصيلات. واللحظات هيئت عليهم وروح الماسي. ثم جاء من الخارج صوت السيد بلانديل عالياً نثارة: أنت أيها العامل! تعال ونخذ أمتعتي. من هذا الكهف التمس إلى خيمة من الخيم، إن تلك البهائم تفرس بقوة وشبهة ولا تستطيع إعداها جفني أبداً.

سأل السير دونالد: البهائم؟

- ربما قصد ذئاب الرمي.

قال السيد يوكو باي: أحب اسم البهائم، إنه معتبر أكثر من غيره.

انطلقت المجموعة في وقت مبكر من صباح اليوم التالي شاكلاً طريقها بعد العديد من هبات الصب من كون الصخور وأشكالها. وقد كانت المدينة المودية حقاً عجيبة من عجائب الطبيعة.

تقدمت المجموعة بسداً، إذ أن الدكتور كارفر كان يمشي وعينه في الأرض ويتحس بين وقت وآخر ليلقط أشياء صغيرة.

قال الكولونيل ديو وهو يشتم بوسع المرء -دوماً- أن يميز عالم الأثار عن غيره... هذا الشكل، فهو لا ينظر إلى السماء أبداً، ولا إلى الهضاب وجبال الطبيعة، بل يمشي متطأطأ الرأس يبحث.

الوادي من جميع جوانبه ، وقد وفوا على أوصى مستطيلة مستوية ذات
أحواض صخرية نُقِدت على الجانب ومكان أشبه بمذبح القرابين.

قالت كارول بحماسة : إنه مكان رائع لتقديم التضحيات . لكن
لا بد أن أنفاسهم كانت تقطع إذ يحملون أحصيتهم إلى هنا!

أوضح الدكتور كارفر : لقد كان يوجد في الأصل طريق صخري
مترج ، وسوف يرى آثاره ونحن نأخذون من الجانب الآخر.

واخوا يعلقون وينحنون لحبس الوقت ، ثم سمع صوت رنة
ضعيفة ، وقال الدكتور كارفر : اعتك قد أسقطت قرعك ثانية يا آنسة
بلانديل.

مدت كارول يدها إلى أختها وقالت : آه ، لقد أسقطته بالفعل.

بدأ دوبر وهيرست يتحدثان في الأرض ، وقال الفرنسي : ينبغي
أن يكون هنا ، لا يمكن أن يكون تدرج بعيداً ، فلا يوجد مكان
ينحني إليه المكان أنه يستغرق مربع.

سألت كارول : أمكن أنه يكون قد تدرج إلى شئ ما ؟

قال السيد باركر باين : لا توجد أية شقوق هنا... يمكنك أن
تري ذلك بنفسك : فللمكان شئ تماماً. آه هل وجدت شيئاً أيها
الكولونيل ؟

قال الفرنسي متسماً : "مجرد حصاة صغيرة" ، ثم رماها
بعيداً

وتدريجياً غيمت روح مختلفة على عملية البحث... روح من

المتور . ولم تكن أية كلمات قد قيلت ، ولكن عبارة "ثمانين ألف
دولاراً" كانت حاضرة في عقول الجميع.

صاح والدهاء : أأنت وثقة أنك كنت تلمسبه يا كارول ؟ أعني
أنتك ربما أسقطته على الطريق ونحن صاعدون.

- لقد كنت ألبه عندما صعدنا إلى تلك الصخرة العريضة
هنا أعرف ذلك لأن الدكتور كارفر أشار إليّ قائلاً إنه مرتفع وقام
بشده لي.

وافقها الدكتور كارفر . ولكن السير دونالد هو الذي عثر صبا
يحول في ويوس الجميع من أفكاره قال : إن هذا الموقف كرهه فعلاً
يا سيد بلانديل . لقد كنت تحبنا مساء أمس عن قيمة هذا القرع ،
فإن لم يتم العثور عليه (وهو ما يبدو أنه سيحدث) فإن كل واحد منا
سيكون عرضة للشكوك.

قال الكولونيل دوبر فجأة : وإني ، بدءاً من نفسي ، أعطيك بأن
يتم تفتيشي . وأنا لا أطلب هذا فقط ، بل أطلب به حقاً لي !

قال هيرست وقد بدا صوته أجش : فتشوني أنا أيضاً.

سأل السير دونالد وهو ينظر حوله . ما رأي الآخرين جميعاً ؟
قال السيد باركر باين : بالتأكيد.

وأضاف الدكتور كارفر . فكرة ممتازة.

قال السيد بلانديل : وسوف أفتش أنا أيضاً أيها السادة . إن لدي
أسباباً لذلك ، رغم أنني لا أريد ذكرها.

قال السيد دونالد بلهاف: كما ترغب بالطبع يا سيد بلاندول.

- عزيزتي كارول، هل لك أن تتري، ونظري مع أدلائنا؟

فادرهم الفناء دون أن تنسب مكلمة، وكان وجهها يرمأ متجهماً عليه نظرة يأس لفتت انتباه واحد من أفراد المجموعة على الأقل. وقد تسأل عن معنى تلك النظرة.

تم المشي في الشمس، وكان قاسياً نفسياً.. وغير مريح على الإطلاق. ولكن شيئاً واحداً أصبح أكيداً وهو أن القرم لم يكن لدى أي فرد من أفراد المجموعة، ووزلت المجموعة متحفصة المعنويات تعاليم المتحدو وتصحي من دون حساسة لوصف الدليل ومعلوماته.

كان السيد باركر يابن قد أنهى لثوبه التعداد ملاييه استعداداً لتناول التعداد عندما ظهرت كارول على باب عيبت ومألت: هل لي أن أدخل يا سيد يابن؟

- بالتأكيد يا فتاتي العزيزة، بالتأكيد.

دخلت كارول وحلست على طرف السريو، كانت على وجهها نفس النظرة المتحممة التي لاحظتها عليه في وقت سابق من ذلك النهار.

سألت: أنت نزعك أنك تحمل الأمور للناس عندما يكونون نساء، أليس كذلك؟

- أنا في إجازة يا آنسة بلاندول، إنني لا أتولى أية قضايا.

قالت الفتاة يهدوء: حسناً، ولكنك ستولي هذه القضية. اسمعني يا سيد يابن، إنني فبسة بقدر تعاسة أي امرئ في هذه الدنيا.

- ما الذي يشايقك؟ أهي قضية القرم؟

- إنها هي بالضبط. لقد قلمت ما فيه الكفاية. إن جيم هيرمت لم يأخذ ذلك القرم يا سيد يابن.. إنني أخبره أنه لم يأخذه.

- أنا لا أفهمك تماماً يا آنسة. ولماذا يفترض أحد أنه أخذه؟

- بسبب صوابغه. لقد كان جيم هيرمت نعباً ذات يوم يا سيد يابن، وقد فُحص عليه في بيتنا. وقد... وقد شعرت بالأسف عليه! فقد بدا شاباً صغيراً يائساً..

فكر السيد باركر يابن قتلاً لنفسه: "وسيماً أيضاً". ومضت الفتاة قاطلة: وقد أقتعت والذي بأن يعمله فرصة ليتحسن. والذي مستعد لعمل أي شيء من أجلي! ولذلك فقد أعطى جيم فرصة. وقد تحسن جيم بالفعل، ثم أصبح والذي يعتمد عليه ويثق به ويأمنه على كل أسره. وكان والذي صيغر في النهاية موقفه تماماً، أو كان من شأنه أن يغيره لو لم تقع هذه الحادثة.

- ماذا تعنين بتغيير موقفه؟

- أهي لمي أريد الزواج بحميم وهو يريد الزواج بي.

- وماذا عن السير دونالد؟

- السيد دونالد هو العريس الذي يريد والدي، وليس خياراً.
أنا أعطيتي لأغرب المزارع رجل مغرور كالسيد دونالد؟

سألها السيد باوكر باين: وماذا عن السيد دونالد نفسه؟

قالت كارول باوكر: أنه يرى أنني سأكون مفيدة له قطعاً.

فكر السيد باوكر باين بالوضع ثم قال: أود أن أسألك عن أمرين: ففي الليلة الماضية قبلت جملة مفادها أن المرأة إذا كان لها مرة واحدة ميكون لها دوماً.

أومأت كارول برأسها موافقة، فقال السيد باين: يمكنك الآن أن أفهم المرح الذي سببه تلك الجملة.

- نعم، لقد كان موقفاً شديد المرح بالنسبة لحميم، وبالنسبة لي ولأبي أيضاً. لقد خشيئاً كثيراً أن يظهر وجه جيم شيئاً، ولذا فقد لطفت بأول ملاحظة وردت على ذهني.

أومأ السيد باوكر باين برأسه متأسلاً ثم قال: لماذا أصرر واندك على أن يكون من بين من يتم تقييدهم اليوم؟

- ألم نفهم سبب ذلك؟ لقد فهمته أنا. فالذي رأى أنني قد أظن أن أمر اللطافة كله قد يكون مؤامرة وُضعت ضد جيم، وهو يريدهني بكل إلحاح أن أتزوج ذلك الإنكليزي، ولذلك فقد أراد أن يريتي أنه لم يخطط لمؤامرة ضد جيم.

- يا إلهي! هذا يوضح الكثير من الأمور بالمعنى العام. أعني أنه لا يعبأنا بنيتي، في سماعنا الخاص هذا.

- لا أشكك سوف نستسلم؟

- كلا، كلا.

صكت لحظة ثم قالت: ما الذي تريد مني فعله يا آنسة كارول؟

- إن تبتي أن من أحد تلك الفلولوة لم يكن جيم.

- أرحو أن تعلمي، ولكن ماذا لو كان قد أخذها؟

- إن كنت تظن ذلك فأنت مخطئة... مخطئة تماماً.

- نعم، ولكن لو فكرت في الغشية بضعاً، ألا تظنين أن الفلولوة ربما شككت إغراء مفاجئاً للسيد هيرست؟ إن يبعها سيؤمن مبلغاً ضخماً. ولنقل إن هذا المبلغ قد يكون أساساً لاستثمار ماء الأمر الذي سيوفر له الاستقلالية، بحيث يستطيع الزواج بك سواء وافق والدك أم لم يوافق.

قالت كارول ببساطة: إن جيم لم يفعلها.

قبل السيد باوكر باين هذه المرة قولها وقالت: حسناً، سأبذل ما في وسعي.

أومأت رأسها بسرعة وعادرت الحبيبة، وجلس السيد باوكر باين -بدوره- على السرير وراح يفكر. وحملة صحك وقال لنفسه بصوت عالٍ: إنني أغفو بعني، التفكير!

وعند الغداء كان مرحاً جداً.

مرت فترة العصر بهدوء، وتام معظم الفراء المجموعة. وعندما دخل السيد باركر باين إلى الخيمة الكبيرة في الساعة الرابعة والربع لم يكن فيها إلا الدكتور كافور. وكان يلحظ بعض شطابا القضاة.

قال السيد باركر باين وهو بحر كرسياً: أه! أنت تماماً الرجل الذي أردت رؤيته. هل يمكنك أن تعطيني قطعة المعجون تلك التي تحصلها معك؟

تلمس الدكتور جييه وأخرج إصبعاً من المعجون أعطاه للسيد باركر باين، ولكن السيد باركر باين أعاده وقال: لا ليس هذا هو ما أريد. أريد تلك الكرة من المعجون التي كانت لديك الليلة الماضية. وحتى أكون صريحاً فإن المعجون ليس هو ما أريده، بل ما يحتويه المعجون.

ساد شيء من الصمت ثم قال الدكتور كافور بهدوء: لا أظنني ألهمك تماماً.

- بل أظن أنك تفهمي. أريد قرط الأتسة بالتدليل.

ساد صمت ثقيل للمحادثات. ثم مد الدكتور كافور يده إلى جييه وأخرج كرة معجون وقال ووجهه لا يظهر أي تعبير: هذا هكذا منك.

قال السيد باركر باين ويده مشتتة بكرة المعجون: أظنني أن تخبرني بالأمر. ثم أخرج قرط اللؤلؤ وأضاف بلهجة معتدلة: أعرفه أن ذلك قسول مني، ولكنني أحب سماع الموضوع.

- سأخبرك إن أنت أخبرني كيف استطعت أن تعرف بأمرى بالضبط. لا أظنك رأيت شيئاً، أليس كذلك؟

مد السيد باركر باين رأسه وقال: أنا لم أَر شيئاً أبداً، ولكنني فكرت بالأمر فقط.

- لقد كان الأمر -هذبة- مجرد مصادفة. كنت أنا وراعيكم جميعاً هذا الصباح، ووجدت القرط أمامي. لا يد أنه سقط من أذن الفتاة قبل لحظة من ذلك ولم تلحظه. بل لم يلحظه أحد، فأخذته ووضعته في حبي. بقصد أن أعطيها إياه عندما ألتحق بها في الأعلى. ولكنني نسيت. وبعد ذلك، ونحن في وسط ذلك العرقلي بدأت أفكر، فهذا القرط لا يعني شيئاً لتلك الفتاة السخيفة. بل من شأن والدها أن يشعري لها غيره دون أن يؤثر عليه ذلك شيء. ولكنه سيعني الكثير بالنسبة لي، فإن ثمن هذا القرط من شأنه أن يجبر عدة آثار.

تلوى فمحة وجهه الحالي من التعابير وابتسم به الحياة، وأكمل قائلاً: هل تعرف مقدار الصعوبة هذه الأيام في جمع تبرعات لأعمال التنقيب؟ لا، لا تعرف. إن ثمن تلك اللؤلؤة من شأنه أن يجعل كل ذلك سهلاً جداً. يوجد موقع أريد التنقيب فيه في بلورستان، حيث تصل كامل من الماسي. كامن ينتشر من يكشفه. وقد خطر في ذهني ما قلته أنت في الليلة الماضية... حول المشاهد الذي يتأثر بالإبحاء. وقد رأيت أن الفتاة من هذا النوع. وعندما وصلنا إلى القبة قلت: لفتاة إن قرطها شرنج وتظايرت بأني أبتئ لها، ولكن ما فعلته -لي الحقيقة- هو أنني ضنطت رأس فلم وأصاح صغير في شحمة أذنها. وبعد بصع دقائق رمت حصوة صغيرة، وكانت مستعدة تماماً لأن

نفس - وقتها - ما ان القوط كان في أذننا وأنه قد سقط لنوء . وفي غضون ذلك صفتك القوط داخل المعجون في جيبي. هذه هي قصتي، ليس فيها ما يفتخر به. والآن جاء دورك.

- ليس لدي الكثير مما يمكن أن أقوله، فقد كنت الشخص الوحيد الذي يلتقط الأشياء من الأرض، وهذا ما جعلني أفكر بك. كما أن القوط على تلك الحصة الصغيرة كان ذا مغزى، فقد أوحى بالحيلة التي اتبعتها. بالإضافة إلى

- استمر.

- حسناً، لقد تكلمت عن التزامه بشكل متحمس بعض الشيء في الليلة الماضية. إنك تعرف ما يقوله شبكسبر... لقد بدأ الأمر - على نحو ما - وكأنك تحاول إقناع نفسك، كما تعاملت مع المال بشيء من الازدراء المبالغ فيه.

بدأ وجه الرجل أمامه متفجعاً شتياً وقال: لقد انتهى أمري الآن. أحسب أنك ستعيد الفتاة تحتها، ليس كذلك؟ عريية هي تلك الغريزة البدائية للتهن والتزين! إنها تعود إلى العصور الحجرية الأولى، وهي واحدة من أولى غرائز الجنس الأنثوي.

- أظن أنك نسي. الحكم على الآسة كارول. إن لها عقلاً واجتهاداً... والأهم من ذلك أن لها قلباً. وأظن أنها ستبقي هذا الأمر سرّاً.

- ولكن والدما لن يبقيه.

- انه مينيغ سرّاً هو أيضاً! إذ أن له أمياً خاصة به تدفعه لذلك، يا صاحبي، ليس في هذا القوط ما يساوي أربعين ألف دولار. مجرد خمس دولارات تكفي لشراؤه!

- ماذا تعني؟

- نعم، والفتاة لا تعلم بذلك، بل تظن أنهما قرطان حقيقيان. نعماً! لقد واودني الشكوك ليلة أمس؛ فقد تحدثت السيد بلانديل بشيء من الإفراط عن الأموال التي يملكها. وعندما نسوء الأحوال وتصاب نهارناك بركود وغسائر فإن أفضل ما تفعله هو أن تتظاهر بعدم التأثر وتخادع، وقد كان السيد بلانديل يخادع.

فجأة ابصر الدكتور كارفر، وكانت ابسامته إشاعة طفل يستغرب أن ترى على رجل كهمل مثله. قال: إذن فنحن جميعاً في الهواء سواء!

- والفيسط يا صديقي.

• • •

موت على الثيل

كانت الليدي غريل عصبية، ومنذ أن وطقت قدمها لأرض السفينة العمساء «الفيوم» كانت تشتكي من كل شيء؛ فهي لم تحب حرقتها لأنها تستطيع تحمل شمس الصباح ولكنها لا تتحمل شمس الظهيرة، وقد قامت ابنة أخ زوجها، بامبلا، بالتخلي لها عن غرفتها في الجانب الآخر راضية، وقد قبلتها الليدي غريل بنظر.

صاحت بمرضاها، الأنسة ماكناولن، لأنها أخطأت في الوشاح الذي أحضرته لها، ولأنها وضعت الوسادة الصغيرة في الحقيبة بدل أن تتركها قيد الاستعمال، وصاحت بزوجها، السير جورج، لمجرد أنه أخطأ في نوع السباحات التي اشتراها لها؛ فقد أرادت سباحات اللازورد لا من العتيق الأحمر، ولذلك اتهمت زوجها بالمفعل!

قال السير جورج بلهفة: آسف يا عزيزتي، آسف! سأعود وأبدلها، فلدينا منسج من الوقت.

ولكنها لم تبيع في وجه بيسل وست، سكرتير زوجها، لأن أحداً لم يبيع بيسل وست أبداً؛ فاهتمامه تهذيبك حتى قبل أن تبدأ.

أما أسوأ المواقف فقد نزلت على رأس الدليل السباحي...

وهو شعاع مهيب ذو ثياب زاهية لا يمكن أن يعكر صفوه شيء.
صعدنا لمحت الليدي غريل غريباً يجلس على كرسي من الفساش
وأدركت أنه رفيق سفر صيِّث جام غصصها كالحمم: لقد قالوا لي في
المكتب بوصوح إتنا المسافرون الوحيدون، وإن الموسم في نهايته
ولا يوجد مسافر غيرنا.

قال محمد بهدوء: لا بأس يا سيدتي، أنت فقط والمحرمرة
ورجل واحد فقط، هذا كل ما في الأمر.

- ولكنكم قالوا لي إتنا ستكون سفرتنا.

- لا بأس يا سيدتي.

- بل يوجد كل البأس! لقد كانت كذبة. ما الذي يفعله ذلك
الرجل هنا؟

- لقد جاء لاحقاً يا سيدتي، بعد أن قطعتم نفاذكم. لم يبق
المحيي، إلا هذا الصباغ

- هذا احتمال يمت!

- لا بأس يا سيدتي، هو رجل هادئ، لطيف جداً وهادئ
جداً.

- أنت مغفل ولا تعرف عن الأمر شيئاً. أتمنى ماكنونين، أين
أنت؟ أهـ ها أنت ذي. لقد طلبت منك مراراً أن تبقي قربي، فربما
أحسست بالإغواء. ساعدني في الذهاب إلى غرقتي وأعطيني حبة

أسبيرين ولا تدعي محمداً يقرب مني؛ فهو لا يتفك يقول "لا بأس
يا سيدتي" حتى أشعر مرغية في الصراخ

مدت لها الأتمنى ماكنونين بدعا دون أن تفس بكلمة.

كانت امرأة طويلة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها،
وسيمة على نحو هادئ خامس. وقد وضعت الليدي غريل في
عزقتها وأسندتها بالوسائد، وقدمت لها الأسبيرين وأصغت لسبل
شكاواها.

كانت الليدي غريل في الثامنة والأربعين من عمرها، وقد
عانت منذ أن كانت في سن السادسة عشرة من علة املاك الكثير
من العال، ثم تزوجت ذلك البارون المعترف، السير جورج غريل،
قبل عشر سنوات.

كانت امرأة ضخمة الجسم ليست بالثيخة فيما يخص قسما
وجهها، ولكن وجهها كان يادي الغبط حاد الخطوط، ولم تغف
المساحيق الكثيرة التي تضعها عليه إلا في إبراز العيوب التي تركها
الزمن والمزاج السيء. وكانت تبائع في ارتداء الكثير من الملابس
والجواهر

وأبداً كانت الأتمنى ماكنونين الساكنة تنظر بوجه خالٍ من
التعبير، أنهت الليدي غريل حديثها قائلة: أبلغني السير جورج بأن
عليه أن يُنزل ذلك الرجل عن السفينة! يجب أن أتمتع بقدر من
الخصوصية بعد كل ما عانيت مؤحراً

ثم أقعصت عينها، فقالت الأيسة مائكاتون: "نعم يا ليدي غريل"، ثم غادرت الغرفة.

كان المسافر المتطفل الذي جاء في آخر لحظة ما يزال جالساً على الكرسي على سطح السفينة. كان يعطي ظهره للأتصر ويحذو بعيناً عر النبل إلى الهشامب العيلة التي بدت ذهية فوق خط من الخضرة المائكة.

نظرت إليه الأيسة مائكاتون نظرة تقويم سريعة وهي تمر قريه. وقد وحدت السير جورج في البهر، وكان يمسك بسبيحة في يده ويطر إليها باونابيد. قال: أحييتي يا أيسة مائكاتون، هل تطنين أن هذه السجة مستكون مفبولة؟

أقلت الأيسة مائكاتون نظرة سريعة على اللارود وقالت: إنها رائمة جداً بالمقل.

- أنظنين أن الفليدي غريل مشر بها؟

- آه، لا، ما كنت لأقول ذلك يا سير جورج؛ فما من شيء يسرها... هذه هي الحقيقة، وبالمناصة، فقد أرسلتني برسالة إليك. إنها تريد ملك التخطن من هذا الراكب الإصافي.

ففر السير جورج فمه وقال: وكيف لي أن أتخلص منه؟ ماذا أقول للرجل؟

قالت إليسي مائكاتون بصوت سريع ولطيف: "لا يمكنك ذلك

بالطبع قل - فلفظ - إنه لم يكن بالإمكان فعل شيء"، ثم أنشامت يني من التشجيع: سيكون الأمر على ما يرام.

قال ووجهه يثر الشفقة: أنظنين أنه سيكون على ما يرام؟

قالت إليسي مائكاتون بصوت أكثر لطفاً: لا ينبغي لك أن تتأثر كثيراً بهذه الأمور يا سير جورج، إنها بسبب صحتها فقط. لا تأخذ الأمر على محمل الجد.

- أنظنين أن صحتها سيئة حقاً؟

عير حبال وجه الممرصة، وكان في صوتها شيء غريب عندما أجابت: "نعم، إني... لا يعجبني وضعها تماماً، ولكن أرجوك أن لا تقلق يا سير جورج... يجب أن لا نقلق حقاً". ثم ابتسمت له ابتسامة رد وذهبت.

دخلت بلعيل بكثير من الشكاسل واليرود مملأها البيضاء وقالت: مرحباً يا عماء.

- مرحباً يا عزيزتي بلعيل.

- ما هذا الذي معك؟ آه، إنها رائمة.

- يسعدني أن يكون هذا رأيك. أنظنين أن عمك متراها كذلك أيضاً؟

- إنها لا تستطيع حب أي شيء. لا أفهم لماذا تزوجت هذه المرأة يا عم

سكنت السير جورج، ولقيت أمام منزله ياتورا ما كاملة من
المصور المشغورة لسياقات خيل فاشلة... وذلك في سنة ١٩٠٠... وامرأة
وسيمة رغم تسليطها.

قالت بامبلا: يا لعمري المكين! أحسب أنك اضغرورت إلى
ذلك. ولكنها تفضلهذا كلبا، أليس كذلك؟

بدأ السير جورج يقول: منذ أن مرضت...

ولكن بامبلا قاطعت قائلة: ليست مريضة، ليست مريضة أبداً
إنها تستطيع القيام بأي شيء تريده، وعندما كنت في أسوان كانت في
غابة الانشراح. أراهم على أن الأتسة ماكانتوتن تعلم أنها محتالة.

قال السير جورج منتهداً: لا أعرف ماذا كنا سنفعل دون الأتسة
ماكانتوتن؟

- إنها لغالة ولاجعة في عملها... مع أنني لا أحبها تماماً كما
تحبها أنت يا حم أوه أنت تحبها لا تنافس نفسك! إنك ترى
أنها واثمة، وهي كذلك بالفعل نظرياً ما، ولكنها لا يسير غورها.
إنني لا أعرف أبداً ما الذي تفكر به، ومع ذلك فهي تدبر أمر لقطعة
العجوز بشكل رائع.

- اسمعي يا بامبلا، لا ينبغي لك أن تتكلمي عن عمك هذا
الشكل! فهي طيبة جداً معك.

- نعم، إنها تدفع كل غوايرنا، أليس كذلك؟ ومع ذلك فإنها
حياة أشبه بالبحيم.

انتقل السير جورج إلى موضوع أقل ليلاً. ماذا سنفعل بهذا
الرجل الذي التحق بالرحلة؟ عمك تريد السفينة لها وحدها.

قالت بامبلا بيروود: لا يمكن لها ذلك. إن الرجل مهذب جداً،
واسمه باركر باين أخته كان موثقاً في دائرة التسجيل - إن كان لعزل
هذه الدائرة وجود. الغرب عرفتني أحس بأنني سمعت بهذا الاسم
في مكان ما. يسيل!

كان السكرتير قد دخل لشيء فقالت له: أين يسكن أن يكون قد
رأيت اسم باركر باين؟

أجاب الشاب بسرعة في الصفحة الأولى من صحيفة التايمز،
عمود «مشكلات القراء» على أنت معبد؟ إن لم تكن كذلك فاستشر
السيد باركر باين؟

- يا إلهي! هذا مثقّل جداً. دعونا نحذله عن كل مشكلاتنا
نحو الطريق إلى القاهرة.

قال يسيل يساقة: ليست لدي أية مشكلات. إننا منبحر فوق
النيل الذهبي ونرى المعابد...

ثم نظر بسرعة إلى السير جورج الذي كان قد أخذ صحيفة
وقال هامساً: ... معاً.

سمعت بامبلا الكلمة الأخيرة، والفت عيناها بعينيه فقالت
من دون اهتمام: أنت على حق يا يسيل! من الرائع أن يكون المرء
حيّاً.

نهض السيد جورج وجرح، وتجهم وجهه مائلاً، فقال يسلم
ما الأمر يا غاليتي؟

- زوجة عمي الكريمة...

قال بيسل بسرعة: "لا تقلقي. ما أهمية ما يدخل عقلها؟
لا نعارضها". ثم ضحك وقال: ألا ترين؟ إنها تمر به جيد.

ظهر جسد السيد باركر باين وهو يدخل البهو. وعقله دخل
محمد وهو مستعد لإلقاء مقلوعته: سيداتي وسادتي، سنطلق الآن
وخلال بضع دقائق سنمر بعد الكرنك على النجدة البعثة...

* * *

صاح السيد باركر باين جيبته، كان قد عاد ثوبه من زيارة لمعبد
فندبراء، وقد شعر بأن وكوب الحمارة كان معارضة لا تلائم جسمه،
وقد كان في طريقه لتغيير قميصه عندما تلقت انتباهه رسالة أمدت
على طاولة زينة، فتحها وقرأ:

سبدي المرفزة

سأكون متة إن أنت لم تترك معبد أيدوس وبيت في
السبت؛ إذ أنني أوجب باستشارتك.

المخلص: إيربادين غريل

تجمد وجه السيد باركر باين الهادي بالترتيب، وأخذ ورقة
وأخذ قلمه وكتب:

السبدي المرفزة غريل،

إنني آسف إذ أغيب أمك، فلأنا في إجازة في الوقت
الحاضر ولا أقوم بأي عمل.

ثم وقع الرسالة باسمه وأرسلها مع أحد المضيفين. وما أن انتهى
لتعير ملاحظته حتى جاءته رسالة أخرى:

عزيزي السيد باركر باين،

إنني أقدر حقيقة أنك في إجازة، ولكنني مستعدة لدفع
مئة جنيه أجراً للاستشارة

المخلص: إيربادين غريل

ارتفع حاجبا السيد باركر باين وتقر على أسنانه قلمه وهو
يتأمل. لقد كان يريد وثيقة معبد أيدوس، ولكن مئة جنيه تبقى مئة
جنيته. وقد طهر له أن معبر كانت ذات غلاء، وحش لم يكن يتصوره؟
وهكذا أخذ قلمه وكتب من جديد.

عزيزي السيد غريل،

أنا لن أوزر معبد أيدوس.

المخلص: باركر باين

كان رفض السيد باركر باين مغادرة السفينة مصدر ألم كبير
لمحمد الذي اندفع يقول: إنه معبد رائع جداً... كل السادة يحبون
وثيقة ذلك المعبد، سأتى لك بعربة... سأحضر لك كرسياً يحملك
عليه البجاجة.

رفض السيد باركر ما بين كل تلك العروشي المعرية، والطلق
الأحرون.

انتظر السيد باركر ما بين على ظهر المركب، وسرعان ما فتح باب
حرقة الليدي غريل وخرجت الليدي نفسها إلى ظهر المركب.

قالت بشيء من الأبهة: يا لها من ظاهرة حارداً أرى أنك
تخلفني يا سيد باين. إنه فراو حكيم مثلك. هل تناول بعض الشاي
في اليوم؟

نهض السيد باركر ما بين بسرعة ونمعا لا مجال للإنكار بأنه
كان مضوياً. وبدا أن الليدي تشعر بشيء من الصعوبة في الدخول
في الموضوع؛ فقد انتقلت من موضوع لآخر، وفي النهاية تكلمت
بصوت مختلف: سيد باين، إن ما سأقوله لك هو في غاية المعرية؛
أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟

- طبعاً.

سكت قليلاً ثم أخذت تنسأ عبيقاً وانتظر السيد باين

- أريد أن أعرف إن كان روجي يشقي أم لا.

وكأنها ما كانت توقعات السيد باركر ما بين طه لم يتوقع ذلك،
وقد أظهر دهشة بوضوح وقال: هذا اتهام خطير جداً يا سيدني

- أنا لست بالمعلقة ولم أركله بالأذى. لقد كانت لدي شكوك
منذ بعض الوقت؛ فكلما سافر جورج نحتت حالتي لا يعود طعمي
بإذني وأشعر أنني امرأة مختلفة لا بد أن يكون لذلك سبب.

- إن ما تقوليته خطير جداً يا ليدي غريل. وينبغي أن تذكرني
أنني لست رجل نحر؛ أنا متخصص بالقلوب إذا صح التعبير.

فاطمته قائلة: إيه... ألا تعتقد أن كل ذلك يقلقني؟ أنا لا أريد
شرطياً؛ إنني أستطيع العناية بنفسه، شكرًا لك. إن ما أريده هو
اليقين. يجب أن أعرف. أنا لست امرأة شريرة يا سيد باين؛ إنني
أتصرف بإنصاف مع من يتصرفني. إن الصفة تبقى صفة ينبغي أن
تُحترم. وقد احترمت الجانب الخاص بي من الصفة. لقد دعيت
كل ديون زوجي ولم أؤثر عليه بالمال.

شعر السيد باركر ما بين بشيء من الشفقة على السيد جورج،
ومضت هي تقول: أما بالنسبة للفتاة فقد قرأت لها الملايس وغير
ذلك الكثير. إن كل ما أظنه هو شيء من الامتنان.

- إن الامتنان ليس شيئاً يُفتح عند الطلب يا ليدي غريل.

قالت: 'هراء'، ثم مضت قائلة: حسناً، هذا هو الأمر؛ اضطر
لي على الحقيقة؛ عندما أعرف..

نظر إليها بفصول وقال: عندما تعرفين، ماذا يحدث يا ليدي
غريل؟

قالت: 'هذا شامي أنا'، ثم أغلقت شفتيها يحدث

نزد السيد باركر ما بين لحظة ثم قالت: اعدوني يا ليدي غريل،
ولكن اعدني انطباعاً بأنك لم تكوني صريحة تماماً معي.

- هذا سخيف؛ لقد أخبرتك بما أريدك أن تحده بالضبط.

- نعم، ولكنك لم تخبرني بالسبب؟

التقت بهنّهما، وكانت حينها هما اللتان المحففتان أولاً. ثالثاً:
أظن أن السبب واضح تماماً.

- لاء، لأنني متشكك حول نقطة واحدة.

- وما هي؟

- هل تريد أن تثبت صحة شكوكك أم غلطها؟

- يا لهذا السؤال يا سيد باين!

نهضت على قدميها وهي ترتجف سخطاً، ولو ما السيد
باركر باين مرأته بالصف وقال: نعم، نعم. ولكن هذا لا يجب من
سؤالي

- آه!

بدأت الكلمات قد خالتهما، وخرجت من الغرفة بسرعة

وما أن بقي السيد باركر باين وحيداً حتى أخذ يتأمل بتركيز.
وقد كان عارفاً في الفكر أنه إلى الحد الذي جعله يهتف عندما جاء
من يجلس على الجانب الآخر من طاولة. وكانت تلك هي الآنسة
ماكناتون.

- لا شك أنكم عدتم سريعاً

- لم بعد الآخرين. لقد قلت إن لدي صداعاً وعدت
بمعددي.

ترددت قليلاً وقالت: أين الليدي غريل؟

- يخليل إلي أنها متعددة في عرقها

- آه، هذا حسن؟ لا أريدها أن تعرف أنني عدت.

- ألم تأتي من أهلها إذن؟

هزت الآنسة ماكناتون رأسها وقالت: بل عدت لزيارتك أنت.

تدعى السيد باركر باين كان من شأنه أن يقول - مداعبة - إن
الآنسة ماكناتون قلادة تماماً على معالجة مناعها بنفسها من دون
الحاجة إلى مساعدة خارجية، ولكن ماذا أنه مخطئ في ذلك.

- لقد وافقتك منذ أن صعدنا ظهر السفينة، وأحسب أنك ذو
خبرة واسعة وحكم صائب، وأنا بحاجة ماسة إلى النصيحة.

- ومع ذلك (وأرجو أن تعذريني يا آنسة ماكناتون) فلو لمست
من النوع الذي يطلب الصانع عادة. أحسب أنك امرأة واضحة تماماً
بالاعتماد على أحكامها الخاصة.

- في الأحوال الطبيعية، نعم، ولكنني لم وضع طرفي جيداً.

ترددت لحظة ثم قالت: أنا لا أتحدث عن عرضي في العادة،
ولكنني أحسب أن ذلك ضروري في هذه الحالة. سيد باين، عندما
خادمت (كثرتا مع الليدي غريل كانت حالتها واضحة، وبصراحة
لم يكن بها شيء. ربما لا يكون هذا صحيحاً تماماً، ولكن الكثير من
الغراغ والكثير من المال يؤيدان فعلاً إلى حالة غريغية معينة... ولو

كان لدى الليدي غريل بضعة طوائف ينسلي مسحها وتطيفها وحمسة
أطفال أو ستة تعنتي بهم ليرحدثها في أحسن صحة وأتم معادة.

أوما السيد ياروكر باين برأسه، فيما حفت الممرضة تقول: إن
ممرضة مستشفى مثلي ترى الكثير من هذه الحالات العصبية. لقد
كانت الليدي غريل تستمتع بصحتها البينة، وكان دوري أن أخفف
من معاناتها وأن أكون لبقاً ما وسعني. - وإن استمتع شخصياً بالرحلة
فقد الإمكان.

- فكرة عاقلة جداً.

- ولكن الأمور لم تعد كما كانت يا سيد باين؛ فالمعاناة التي
تشكو الليدي غريل منها الآن حقيقية وليست مُتخيلة.

- عافاً تعني؟

- لقد بدأت أشك بأن الليدي غريل تتعرض للتسميم.

- منذ متى شككت بذلك؟

- خلال الأسابيع الثلاثة الماضية.

- وهل تشكين... بأي شخص محدد؟

أسلت عينيها، ولأول مرة اعتقد صوتها المصدق. قالت: لا.

- اعتقد - جازماً - يا آنسة ماکناوتن بأنك تشكين بشخص
محدد، وبأن ذلك الشخص هو السير جورج غريل.

- آه، لا، لا، لا. لا أستطيع تصديق ذلك! إنه مستكين جداً، أنه
بطل لا يمكن أن يكون قاتلاً متبحر القلب.

كان في صوتها نبرة التهم، وود السيد ياروكر باين: ومع ذلك فقد
لاحظت أن السير جورج كلما غاب تحسنت حالة زوجته وإن فترات
مرضها تتزامن مع عودته.

لم تجبه.

- ما السم الذي تشكين فيه؟ الزرنيخ؟

- شي، من هذا الغيل، الزرنيخ أو الأنيبون.

- وما هي الخطوات التي اتخذتها؟

- لقد فعلت كل ما أستطيع للإشراف على ما تأكله الليدي
غريل أو تشربه.

أوما السيد ياروكر باين برأسه وقال بشكل عرسي: أنتظين أن
لدى الليدي غريل نفسها أية شكوك؟

- آه، لا، أنا واثقة من أنها لا تشك بشي.

- في هذا أنت مخطئة، فالليدي غريل تشك بالفعل.

أهدت الأنسة ماکناوتن دهشتها وقال السيد باين: إن الليدي
غريل أكثر قدرة على حفظ السر مما تتصورين... إنها امرأة تعرف
تمام المعرفة كيف تتكتم على أسرارها.

قالت الأنسة ماکناوتن سطر: هذا يدعشني كثيراً.

- أوه أن أسألك سؤالاً آخر يا أستاذة مانتاوتن. هل تعلمين أن اللبدي غريل تحبك؟

- لم أفكر في هذا الأمر أبداً.

ولكن محمداً قاطعهما إذ جاء، مثلث الوجه وزيكشات لياه تطار خلفه وقال: لقد سمعت اللبدي أنك عدت، وهي تسأل عنك ونسأل لماذا لم نذهب إليها؟

بهتت إليهما مانتاوتن بسرعة، وبهت السيد باركر باين أيضاً قائلاً: هل يناسبك أن تتجاوز لحداً في الصباح الباكر؟

- نعم، سيخون ذلك أفضل وقت؛ فاللبدي غريل تمام حتى ساعة متأخرة، وفي غضون ذلك سأكون حريصة جداً.

- أظن أن اللبدي غريل ستكون حريصة أيضاً.

لم يز السيد باركر باين اللبدي غريل حتى ما قبل العشاء بقليل كانت حالمة تدعى لمانا وتغرق ما بدا أنه رسالة، ولم تلتفت لوجوده أبداً، الأمر الذي بهمته أنها ما تزال تشعر بالإهانة

وبعد العشاء لعب اليريدج مع السير جورج وباميليا ووصل وبدأ الجميع شاربين بعض الشيء وانقضت لعبة اليريدج في وقت مبكر.

بعد بضع ساعات تم إيقاف السيد باركر باين. كان محمد هو

الذي أتاه قائلاً: إنها اللبدي... إنها مريضة جداً، والممرضة خائفة جداً، وقد حاولت الاتصال بطبيب.

سارع السيد باركر باين يارتداء بعض الملابس، ووصل إلى مدخل غرفة اللبدي غريل في نفس الوقت الذي وصل فيه بيسل وست. كان السير جورج وباميليا في الداخل، وكانت إليسا مانتاوتن تعمل بياض على مريضتها. وعند وصول السيد باركر باين أصاب حسد المرأة المسكينة تشنج أعير؛ تلوى جسدها المتقوس وتصلب، ثم سقطت إلى الخلف على وسانتها.

سحب السيد باركر باين باميليا بلفظ إلى الخارج، وكانت الفتاة تشنج قليلاً وتقول: ما أفعل هذا؟ ما أفعله! هل... هل...؟ - تقصدين ماتت؟ نعم أعني أن كل شيء قد انتهى.

تركها في عهدة بيسل، وخرج السير جورج من الغرفة مشدوهاً وهو يتمتم: لم أحسب أبداً أنها مريضة حقاً... لم أظن ذلك أبداً.

تجاوز السيد باركر باين ودخل إلى الغرفة، وكان وجه الممرضة مانتاوتن شاحباً متحهماً، سألت: هل أرسلوا في طلب طبيب؟

- نعم. أهو السريكتاين؟

قالت: نعم؛ فهذه التشنجات لا شك في سببها. آه لا يعني تصديق ذلك! ثم ألتفت نظرها على كرسي وهي تبكي، ورويت السيد باين على كسها.

ثم بدا أن لكة قد خطرت له، فغادو الغرفة مسرعاً وذهب إلى

الهور، كانت قطعة صغيرة من الورق قد بقيت غير محترقة في بعض
النخ وكان بالإمكان تصوير كلمات فيها... سنوكة الاحلام...
احرقني هذه...

قال السيد باركر باين لنفسه، هذا مثير تماماً.

جلس السيد باركر باين في غرفة مسؤول بارز في القاهرة وقال
بتأمل، هذا هو الدليل إذن؟

- نعم، وهو دليل كامل تماماً. لا بد أن الرجل كان مغفلة
تماماً.

- ما كنت لأصف السير جورج بأنه رجل راجع العقل.

قال الرجل الآخر ملخصاً القصيدة. ولحق مع ذلك: لقد أرادت
الليدي غريل هجلاً من المشاي وقد أعدته المعرصة لها، ثم طلبت
وضع بعض الحليب فيه، ذاتي السير جورج بالحليب. وبعد ساعتين
ماتت الليدي غريل بعلامات لا تُحصى على التسليم بالستريكتين.
وقد وجدت علة من هذا السم في غرفة السير جورج وعلة أخرى
في جيب السترة التي تناول العشاء وهو يلبسها

- أمر متكامل تماماً. من أين أتى الستريكتين بالمناخ؟

- في هذا الأمر بعض الشكوك؛ فلدى المعرصة شيء منه
(نحسباً لمناخ قد يتعرض لها قلب الليدي غريل) ولكنها ناقضت

نفسها مرة أو مرتين. قالت في البداية إن مخزونها من تلك المادة
صليم لم يسه أحد، والأآن نقول إنه ليس كذلك.

علق السيد باركر باين قائلاً: ليس من طبيعتها أبداً أن لا تكون
وافقة من مثل هذه الأمور.

- إنهما مشتري كان في الأمر معاً برأيي. السير جورج متورط في
المسألة وليست له أية فرصة أبداً.

قال السيد باركر باين: "حسناً، حسناً. يجب أن أرى ما الذي
استطيع فعله". ثم خرج يبحث عن ابنه الأخ الجميلة.

كانت بامبلا شاحبة صاعطة وقالت: عني لم يفعل مثل هذا
الأمور أبداً، أبداً... أبداً؟

قال السيد باركر باين يهدده: من الذي فعله إذن؟

تقدمت منه بامبلا وقالت: أتعلم ما الذي أردت؟ أرى أنها هي
التي فعلت ذلك بنفسها. لقد كانت غريبة الأطوار بشكل لا يُصدق
مؤخراً، وكانت تتخيل أموراً.

- أية أمور؟

- أموراً غريبة. ببساطة... كانت تُفصح إلى أنه يحسها، مع
أنتي أنا وببساطة... أعني،

قال السيد باركر باين مبسماً: أنتي أدرك ذلك.

- كل ذلك الحديث عن ببساطة كان محض عيال. أعني أنها

كانت لا تطيق عمي الممكنين، وأحسب أنها لعنت تلك القصة وأحسرتك بها ثم وصعت الستريكتان في حرقته وفي جيبه وسمعت نفسها. لقد فعل الناس أموراً كهذه، اليس كذلك؟

اعترف السيد باركر باين قائلاً: لقد فعلوا... ولكنني لا أبتل أن الليدي غريل لعنت ذلك؟ فهي لم تكن من هذا النوع، إذا سمحت لي بقول ذلك.

- ولكن ماذا عن مزاعمها؟

- نعم، إني أود سؤال السيد وست عن ذلك.

وجد الشاب في عرقته، وقد أجاب يسيل عن أسئلته بكل جاهزية: لا أريد أن أبدو مخيفاً، ولكنها أصعب بي؟ ولذلك لم أجزؤ على إطلاعها على أمري مع بامبل. لقد كانت ستعمل السبر جورج بطرفي.

- انظرن أن نظرية الأنسة غريل محتملة؟

- أحسب أنها ممكنة.

بدأ الشاب متشككاً فقال السيد باركر باين مهدوياً: ولكنها ليست جيدة بما فيه الكفاية. لاه يعني أن تعثر على شيء أفضل.

تاه في تأملاته للحظات ثم قال بسرعة: سيكون الاعتراف أفضل شيء.

ثم فتح فمهم وأخرج ورقة وقال للشباب: هل لك أن تكبه؟

حذق يسيل وست إليه مدهوشاً وقال: ما الذي تعنيه بالله عليك؟

قال السيد باين بليحة كادت تكون أروية: يا عزيزي الشاب، إني أعرف كل شيء عن الأمر... كيف كنت تغازل السيدة البقية وكيف كان واقع السير لديها منزلها، وكيف وقعت في حب ابنه الأخ الحميلة المفلسة، وكيف وثبت خطبك: التسعيم البليهي يمكن أن يمر مرور الكرام بأعضائه موتاً طليعياً بسبب أعراض معدية. وإن لم يعتبر كذلك صوف يُعزى الأمر إلى السير جورج طالما أنك حرصت على جعل العرض يشتد أثناء وجوده ثم اكتشفت أن الليدي قد بدأت تشك وتحدثت معي في الموضوع، فمأوتت إلى التصرف السريع! أخذت شيئاً من الستريكتان من مخزون الأنسة ماكناوتن فوضعت بعضه في عوفة السير جورج وبعضه الآخر في جيبه، ووضعت كمية كافية منه في كيسولة وضعتها داخل رسالة صغيرة إلى الليدي، تخبرها فيها بأنها «كسولة الأحلام». فكرة رومانسية! إذ أنها ستأولها بمجرد خروج الممرضة، وإن يعرف أحد شيئاً عن الموضوع. ولكنك لرنكت خطأ واحداً يا فتاتي العزيزة، فلا فائدة من أن تطلب من سيده أن تحرق رسائلها. إنهن لا يعلنن ذلك أبداً! لقد حصلت على كل الرسائل الزائفة بما فيها الرسالة الخاصة بالكيسولة.

استحال وجه يسيل وست أصفر شاحباً، وانضمت كل رسالته وبدأ كالجرذ المعاصر. صاح قائلاً: تباً لك! فأنت تعرف كل شيء إذن... أيها المتطفل الخبيث.

وقد نجا السيد باركر باين من العنف الجسدي بظهور الشهود

الذين وقفوا بذلكاء- وجودهم خارج الباب الذي بقي مفتوحاً قليلاً بحيث سمعوا اختراقات الرجل.

كان السيد باركر باين يناقش القضية ثانية مع المسؤول البارز ويقول: ولم يكن لدي أي دليل باستثناء قصاصة صغيرة عليها نصف عبارة يصعب فهمها مع عبارة «أحرفي هذه». وقد استنحت القصاصة كلها وحاولت أن أجربها عليه وقد نجحت... وفكرة الرسائل هي التي أجيحتها ومع أن اللبني عريل قد أحرق كل قصاصة كتبها لها، فإنه لم يكن يعرف ذلك، لقد كانت امرأة غير عادية بالفعل، وقد ذهبت وتحيرت عندما جاءت إلي، وكان ها أرادت -حذاء- هو أن أخبرها بأن زوجها يسممها، ففي تلك الحالة كانت ستهرب مع الشاب وست لقد أرادت أن تنصرف بشكل مصنف... شخصية غريبة

قال صاحبه - متعاني تلك العنة المسكينة.

قال السيد باركر باين بهرود: مستغلب على الأمر؛ فهي ما قرأت شايك إيني حريص على أن ينال السير جوج بعض السعادة قبل أن يفوت الوقت. لقد كان يُعاقب وكان حشرة طوال عشر سنوات، ولكن إلسي ماكتارين ستكون لطيفة جداً معه الآن.

لم نهلك وجهه ونهتد وقال: إيني أفكر بالذهاب إلى البوتون شخصياً شخصيتي إذ ينبغي -حذاء- أن أسمع بإجازة!

قضية ديلفي

لم تكن السجدة يبرز تهتم باليونان أبداً، ولم يكن لها -في
دخيلة إليها- أي اعتماد يدلقي على الإخلاق

كان قلب السجدة يبرز في باريس ولندن والريغراء، وكانت امرأة
تستمتع بحياة القنادق، ولكن فكرتها عن عرف القنادق كانت تشمل
وجود السجاد الثمين، والحرير الناعم، والإضاءة الكهربائية (بما في
ذلك المصباح المثقل قرب السرير)، والماء الحار والساود، ومختلف
قرب السرير تستطيع بواسطته أن تحلب الشاي والماء المعدنية
والوجبات وتحدث به مع صديقاتها.

ولكن أبداً من هذه الأشياء لم يكن موجوداً في هذا المثقف في
ديلي، كان المنظر من المناقطة والنساء، وكان السرير بطيخاً، وكل ذلك
هذه الغرفة البيضاء التي كان لها كرسي ومعلقة وحزاة أراج أما
الاستحمام فيتم بترتيب شين، وكان -عند- شحياً للأمال فما
يحصل الماء الحار.

رأت أنه سيكون من الجيد أن يقول المرء إنه كان في ديلقي،
وقد حاولت -جاهدة- أن تهتم باليونان القديمة ولكنها وجدت ذلك
صعباً فقد بدت تماثيلهم غير مكتملة أبداً، تنقصها الرؤوس والأذرع
والسكان، وكانت تفضل -سراً- التمثال الرخامي الصغير الذي نصب
لوف قبر زوجها الراحل ويلارد يبرز. ولكنها حرصت على إخفاء

كل هذه الآراء السرية غريبة أن يزدريها ابنها ويلاد. وهي لم تأت
إلى هذا المكان إلا إكراماً لويلارد، لتقيم في هذا الفندق البارز غير
المرجح مع خادمة نكدية وسائق متذمر.

ذلك أن ويلارد (الشمسي - حتى عهد قريب - ويلارد الأصغر)
وهو اسم كان يكرمه) كان ابن السيدة ويلارد البالغ من العمر ثمانية
عشر عاماً، وهي تحبه جداً لا يمكن أن يوصف. وكان ويلارد التحيل
الشاحب المكتئب ذو المفارقات هو الذي تعلق كل هذا التعلق بالنسبة
القديمة. وهو الذي انتفى أمه المحبة بهذه الرحلة عبر اليونان.

كانوا قد زاروا أولمبيا (التي اعتزلتها السيدة بيترز فوصى
محزنة)، وأثينا التي اعتزلتها مدينة نعمة، وقد كانت زيارة كورنث
وميسينا عذماً لها واللسانق. وفكرت السيدة بيترز، يحزن، بأن يلقى
جاءت لزيد من معاناتها، وليس فيها ما يمكن أن يفعله المرأة - البدء -
بإستثناء المشي في الشوارع والنظر إلى الأكل... وقد قصي ويلارد
ساعات طويلاً على دكتيه بفك رموز النقوش الإغريقية قاتلاً: "أمامه"
اسمعي ما يقول هذا الفس. ليس هذا واقعاً؟.. ثم يقرأ عليها شيئاً
نحوه في غاية الضحكة.

وكان ويلارد قد انطلق مبكراً في ذلك الصباح لزيارة بعض
النسب، أما السيدة بيترز فقد اعتذرت عن الذهاب، وقد
تهددت الآن واستعدت لتنهوض لتناول إفطارها.

نزلت إلى غرفة الطعام لتحلها عارضة إلا من أربعة أشخاص،
لم وانتهى ترتيبان ما لنا للسيدة بيترز أنه طراز غريب جداً، وذلك
الرجل اللين المتوسط العمر الذي صانعه باستلام حفياتها عندما

نزلت من الفطار، واسمه توميس، وقادم جديد أصلح الرأس وصل
في الليلة الماضية.

وكان هذا الشخص هو آخر الباقين في غرفة الإفطار. وسرعان
ما انحطت السيدة بيترز في حديث معه، فقد كانت امرأة ودودة
نحب أن نعد من نكلم معه، وقد كان أسلوب توميس شبيهاً جداً
لها (وقد عزت ذلك إلى ما تسببه بالتحفظ (الإنكليزي)، وكانت
المرأة وابنتها متعجرتين كثيراً وعاليتين الثقافة.

وجدت السيدة بيترز في القادم الجديد شخصاً لطيفاً جداً. فقد
كان كثير المعلومات دون أن يتعامل بتعالي المتعجبين، وقد أخبرها
بالكثير من التفاصيل الصغيرة المثيرة عن الإغريق، مما جعلها
تشعر أكثر بأنهم كانوا أناساً حقيقيين وليس مجرد تاريخ معلى ضمن
الكتب. كما أخبرت السيدة بيترز صديقها الجديد كل شيء. عن
ويلارد ومدى ذكائه وكيف أن الثقافة أصبحت طامعه وشرايه. لقد
كان في هذا الشخص الهادئ اللطيف شيء، يجعل من السهل على
المرء أن يتحدث معه.

أما ما هو عمله وما هو اسمه فهذا ما لم تعرفه السيدة بيترز
إذ لم يكن متعجباً في حديثه عن نفسه، باستثناء أنه كان في سفر وأنه
يشعر براحة كاملة من العمل (ولكن أي عمل؟).

وقد مر اليوم بأسرع مما كان متوقفاً، وبقيت المرأة وابنتها على
نفس سلوكهما غير الاجتماعي، وقد قابلا السيد توميس وهو يخرج
من المتحف لسارع إلى تعبير انجلاعه فوراً.

نظر صديق السيدة بيرتز الجديد خلف الرجل متحمساً وقال:
إنني أتساءل من هو هذا الرجل!

أعطت السيدة بيرتز اسم الرجل، ولكنها لم تستطع إعطاء شيئاً
فوق ذلك.

- تومبسن... تومبسن؟! لا أظن أنني قابلت من قبل، ومع ذلك
يبدو لي وجهه مألوفاً بشكل أو بآخر، وإن كنت لا أستطيع تحفيظه
تماماً.

وبعد الظهر تمتعت السيدة بيرتز بقيلولة هادئة في بقعة مظلمة.
لم يكن الكتاب الذي أخذته معها لتقرأه ذلك الكتاب الممتاز الذي
أوصلها إليها بفراغته عن الفن الإغريقي، بل كان قصة بعنوان «الغزو»
علاء على الظهر، وفيها أربع جرائم قتل، وثلاث حوادث اختطاف،
وعصابة ضخمة موعة من عصابة المجرمين. وقد وجدت السيدة بيرتز
أن قراءة هذه القصة قد نشتتها وهذأتها في الوقت ذاته.

كانت الساعة قد بلغت الرابعة عندما علمت إلى الفندق، وقد
أحست مائلة بأن ويلارد سيكون قد عاد إلى الفندق في مثل هذا
الوقت. وقد كانت بعيدة جداً عن أي توقع للشر بحيث أنها كانت
أدنى تنسى لنوع رسالة قال مالك الفندق إن رجلاً غريباً قد تركها لها
بعد الظهر.

كانت الطرف متسحفاً جداً، وفتحته بتكاسل، وبعد أن قرأت
الأسطر الغليظة الأولى شحبت وجهها ومدت يداً لتستند نفسها.

كان الحظ أحياناً، ولكن اللغة المستخدمة كانت الإنكليزية. قالت
الرسالة:

أيتها اليتيم،

لقد سلمنا هذه الرسالة لنظفك بأن ابنك قد أعاد رجعة
من إنجلترا في مكان آمن جداً. لن يحدث أذى للشباب
المحترم إن أنت أعطت الأوراق. إننا نطلب مقابلته عدة
ساعات عشرة آلاف جنيه إسترليني، وإذا ما تحدثت بهذا
لمالك الفندق أو الشرطة أو أي شخص آخر فيغفل
ابنك. وقد أعطيتك هذه الرسالة لتفكر في، وسوف
نعتيك - غداً - تعليمات حول طريقة دفع المبلغ، وإنك
لم تعلمها وسوف يتم قطع أذي ابنك الشاب المحترم
ورسالهما إليك، ولذا لم نعلمها في اليوم التالي وسوف
يقتل. ونكرر ثانية بأن هذا ليس تهديداً فارغاً، فلتفكر في
ملية. ولكن الأهم أن تأتي مسكناً

ديترويت ذو الحاجب الأسود

لم يكن ثمة داع لوصف حالة المرأة المسكينة، فرغم السجاعة
الروحية الطعوية لذلك العلب إلا أنه أشعرها بنحو وحيد من الحظر.
ويلارد، ابنها المثلث، صبيها الرقيق الجاد.

سندهب فوراً إلى الشرطة، وسوف تثير المنطقة كلها. ولكن
إن هي فعلت ذلك فربما... أوتهددت. ثم تعاضت وخوجت من غرتها
مخافاً عن صاحب الفندق. الشخص الوحيد في الفندق الذي يستطيع
تكلم الإنكليزية.

قالت له: إن الوقت متأخر، وإني لم يعد بعد.

ابسم لها الرجل الضليل المرح وقال: صحيح لقد صرف السيد البغال وقال إنه يرغب بالعودة ماشياً، كان ينبغي أن يكون هنا في هذا الوقت، ولكن لا شك أنه نكثاً قلباً في الطريق.

ثم ابسم لها بسعادة فقالت: قل لي، هل لديك أي أشخاص سيئين في المنطقة؟

لم تكن عبارة «أشخاص سيئين» داخلة في قاموس إنكليزية الرجل الصنيل، وقد شرحت له السيدة بفرز بشكل أوضح، فتلقت إجابة أكد فيها أن كل من هم في دبلن أناس طيبون جداً وعادلون جداً... ويحترمون الأجانب أبداً احترام.

ارتعدت الكلمات على شفاهها، ولكنها أجبرتها على التراجع. لقد ربط ذلك التهديد الخبيث لسابها قد يكون هذا كله مجرد خداع، ولكن ماذا لو لم يكن كذلك؟ لقد حُطفت طفل لصديقة لها في أميركاه وعندما أبليت الشرطة قاموا بقتل المصبي. إن مثل هذه الأمور تحدث.

وكاد يحن جوفها ماذا تعمل؟ عشرة آلاف جنيه... كم كان ذلك؟ ما بين أربعين وخمسين ألف دولاراً وماذا كان هذا يعني بالنسبة لها مقارنة بسلامة ويلارد؟ ولكن كيف تحصل على مثل هذا المبلغ؟ لقد كانت أمامها صعوبات لا نهاية لها الآن في مسألة العمال والصحب النقدي، وكان كل ما تحمله معها لا يعدو رسالة اعتماد يبيع مئات من الحبيبات.

هل سينهم قطاع الطرق ذلك؟ هل سيكونون عقلايين؟ هل سينظرون؟

وعندما جاءت حاضمتها صرقتها بشدة ثم أفرج جرس العشاء، وقد نزلت المسكبة إلى غرفة الطعام حيث أكلت بشكل آلي. ولم تمر أحياناً، ولعل الغرفة كانت فارغة تماماً بالنسبة لها.

ومع وصول الفاكهة وُجعت أمامها رسالة. وقد تقبضت لرؤيتها، ولكن الحمد كان محتفظاً تماماً عن ذلك الخط الذي غشيت رؤيته... فقد كان حطاً أيضاً كخط الموحطين الإنكليز. لتحتها دون اهتمام كبير، ولكنها وجدت محتوياتها أسوأ للاهتمام!

في دبلن لم يعد بإمكانك استشارة آلهة الإربيز، ولكن بإمكانك استشارة السيد باركر باين.

ونحت ذلك كانت قصاصة لإعلان أوفت مع الورقة يدبوس، وفي أسفل الورقة أُنصفت صورة، وكانت صورة صديقتها الأصلع الذي قامت معه فترة الصباح.

قرأت السيدة بترتو قصاصة الصحيفة مرتين: «هل أنت سعيد؟ إن لم تكن كذلك فامتنع السيد باركر باين»

سعيد؟ سعيد؟ هل سبق لأمرئ أن كان يمثل هذه التماس؟ كانت تلك كعكة هبطت عليها من السماء.

وسرعة كتبت على ورقة صدف أن كانت في حقية بعدها:

لأرجوك أن تساعدني، هل لك أنا تلقيني خارج القندق
بعد عشر دقائق؟

وضعت الورقة في محفظ ومطيت من الباب أن يأخذها إلى
الميد الجالس على الطاولة قرب النافذة، وبعد عشر دقائق خرجت
السيدة بيترز من القندق متلعة بمحفظ فرو بسبب برودة الليل، ثم
مشيت بخط في الطريق نحو الأثاث، وكان السيد يلوكر يمين يتنظرها
فالتفت لأفاس متفطرة: إنه لمن رحمة الله أنك موجود هنا. ولكن كيف
خففت المشككة المقلبة التي وقعت فيها؟ هذا ما أريد معرفته.

- إنها مسحة الإنسان يا سيدتي العزيرة. لقد خرجت فوراً أن
شيئاً ما قد حدث، أما ما هو هذا الشيء، فهذا ما أنتظر منك أن
تخبريني به

وخرج منها الموضوع متدحفاً كالسيل، ثم أعطته الرسالة فقرأها
على ضوء مصباحه اليدوي، ثم قال: حمم... وثيقة مهمة. وثيقة
مهمة جداً، إن فيها نقاطاً معتة

ولكن السيدة بيترز لم تكن في مزاج يسمح لها بالإصغاء إلى
تفليس حول أهم ما تضمنته الرسالة من نقاط، فالأهم هو ما الذي
ستفعله لويلارد؟ لاسها العزيز الرقيق وويلارد.

مضى السيد يلوكر مابين يهلهها، وقد رسم صورة جميلة لحياة
تطاع الطريق اليونانيين قتالاً إنهم سيكونون في عاية الحرص على
وهبتهم، إذ أنه بشكل منكم ذهب بالنسبة لهم. وشيئاً لشيئاً امتناع
تهديتها

تاحت السيدة بيترز قائلة: ولكن ماذا يمكنك أن تفعل؟

- انتظري حتى الغد. هذا إلا إن كنت تريدين الذهاب إلى
الشرطة.

فطمعت السيدة بيترز بسيحة وعيب قائلة إن من شأن ذلك أن
يؤدي إلى مقتل ليها العزيز وويلارد وغياحه! ثم سألت: أنتن لني
سأستعيد وويلارد سالماً معافى؟

- لا شك في ذلك، السؤال الوحيد هو ما إذا كان يوسعك
استعادته دون دفع عشرة آلاف جنيه.

- كل ما أريده هو انني.

- نعم، نعم. من الذي أحضر الرسالة بالصافية؟

- رجل لا يعرفه صاحبه المتفق... رجل غريب.

- آه! هذا يقدم لك فرصة جيدة فالرجل الذي يحضر الرسالة
عداً يمكن أن يخلق حسناً، ماذا ستخبرين الناس في القندق عن
غياب ابنك؟

- لم أفكر في ذلك.

فكر السيد بلير قليلاً وقال: إنني أتساءل. أظن أن يوسعك
أن نعري عن ذكرك وقلقك على غيابك بشكل طبيعي تماماً، ويمكن
إخراج فريق بحث للبحث عنه

- ألا نظن أن أولئك المجرمين قد...

ثم غلبت الكلمات في حلقها فقال: لي يحصل مكروء. طالما لم يجر ذكر للاحتفاظ أو العدة فإنهم لن ينصرفوا بشكل دموي، وأنت لا يمكنك في نهاية المطاف - أنه تعاملني مع احتفاء ابتك دون ضجة على الإطلاق.

- هل يمكنك إكمال الأمر لك؟

- هذا هو عملي.

ثم انطلقا حاملين نحو الفندق ثلثة، ولكنهما كادا أن يصطدما بجسم رجل قوي النية.

سأل السيد بلوكر ما بين سبعة: من هذا؟

- أظنه كان السيد تومبسن.

قال السيد بلوكر ما بين بتأمل: آه تومبسن، اليس كذلك؟

تومبسن - همم

شعرت السيدة بترؤ، وهي تأتي إلى قرانها، بال فكرة السيد بلوكر حول الرسالة كانت جيدة؛ لذلك الذي أحضرها لا بد أن له علاقة بالمختفين وقد شعرت ببعض العزاء وامتت بأسرع مما كانت تتصور.

وعندما كانت تليس في صباح اليوم التالي لاحظت -فجأة- وجود شيء على أرض الترفة قرب النافذة. وقعت، ودق قلبها بقوة.

نفس المختلف القدر الرخيص، ونفس الأحرف الكريمة. شعرت وقرأت:

صباح الخير يا سيدتي. هل فكرت؟ ابتك بخير ولم يتعرض لأذى .. حتى الآن. ولكن ينبغي أن تحصل على المال. ربما لا يكون من السهل عليك الحصول على هذا المبلغ، ولكن قبل أن أتركك غداً من الأمان، من حبر لآخر غداً وسوف نكفي بذلك بدل المال.

اسمي، هذا ما يجب أن تفعل. يسمي عليك لأو على أي شخص ترسله أشد العقد وإحضاره إلى الشدح، ومن هناك تصعدون إلى حيث توجد شجرة قزم مسترة كبيرة وسرايقك الأعين لتأكد من قدوم شخص واحد فقط، وهذا ستم مبادلة ابتك بالعقد. وينبغي أن يكون الوقت عدداً في الساعة صباحاً بعد طلوع الشمس تماماً، وإذا ما أتميرت الشرطة عما فيما بعد لمسلطن انظر على ابتك وأنها ذاهبة بالسيارة إلى المحطة. هذه آخر كلمة لنا يا سيدتي. إن لم يحصل العقد صباح غد فترسل لك أذن ابتك، وفي اليوم التالي سيعود.

مع تحياتي يا سيدتي.

ديميتريوس

سأوت السيدة بترؤ لرقية السيد بلوكر ما بين الذي قرأ الرسالة بنم، ثم سألتها: أهذا صحيح؟ أهني عقد الأمان؟

- بالتأكيد! فقد دفع زوجي مئة ألف دولار لتأته.

تتمتع العبد بآين: يا لخصوصنا الشُّعُتَين؟

- ماذا قلت؟

- كنت أفكر فقط ببعض حواشي التقفية.

- يا إلهي يا سيد ناين! لم يعد لدينا وقت للجواش. يجب أن استعد اني

- ولكنك امرأة شجاعة يا سيدة بينروز. هل يعجبك التخلي عن ألباسك بمنزلة لمجموعة من الأشياء؟

- طبعاً لا، إن كنت تسمع الأمر بهذه الصيغة...!

ثم تصارعت المرأة الشجاعة داخل السيدة بينروز مع الأم، فقالت: لقد ما أود الانضمام معهم... أولئك فوجوش الجبناء! بمجرد أن أمتدعي ابني - يا سيد ناين - فإنني سأثير عليهم شرطة المظفنة كلها، وإذا تطلب الأمر لسوف أمتاجر سيارة مصفحة لتأخذني أنا وويلارد إلى محطة القطار!

كان وجهها قد احمرّ وبدا فيه التحدي، فقال السيد باركر ناين: نعم ولكن يا سيدتي العزيزة، أحشى أنهم سيكونون مستعدين لهذا التصرف من طرفك، إنهم يعرفون أنك قور امتردادك لويلارد لن يمتنع شيء عن إثارة شرطة المظفنة كلها عليهم، مما يدلع التمره للاعتقاد بأنهم سيكونون مستعدين لهذا الاحتمال.

- حسناً، ماذا تريد أن تفعل؟

ابسم السيد باركر ناين وقال: أريد تجربة خطة صغيرة.

ثم نظر حوله إلى غرفة الطعام، فوجدها فارغة وقد أغلق بابها من كلا الطرفين، فقال: سيدة بينروز، يوجد رجل أعرفه في أثينا. حواشي، وهو متخصص بالجواهر الزائفة قامت التزوية العالمية.

ثم لبعض صوته ليصبح هماً وأمر يقول: سأنتقل به هاتفاً، ويوسعه أن يصل إلى هنا بعد ظهر اليوم ومعه مجموعة جيدة من أحجار الألماس الزائفة

- ماذا تعني؟

- سيقوم بترح الألماسات الحقيقية من العقد ووضع ألباسات زائفة مكانها.

حدثت السيدة بينروز إليه وقالت: هذا أدنى شيء سمعته لي حياتي؟

- حس! لا ترفعي صوتك. هل لك أن تفعلني شيئاً من أصلي؟

- بالتأكيد.

- تأكدني من عدم اقتراب أحد بحيث يسمحني وأنا أتحادث في الهاتف.

لومات السيدة بينروز برأسها موافقة. وكان الهاتف في مكتب المدير. وقد قام المدير بإغلاقه عن طيب خاطر بعد أن ساعد السيد

باين على الحصول على الرقم، وعندما خرج وجد السيدة يترز في الخارج، فقالت: إني أظن السيد باوكر باين، فمنى خان حان للسير قايلاً

- أه، نعم يا سيدتي.

كان السيد تومبس أيضاً في الحالة، وقد تقدم نحوهما وشاغل المدير حديث قائلاً: هل توجد أي قبالة ممكنة استتحوما في ديلني؟

- توجد واحدة لسيدة أميركية، إنها في الطرف الآخر من القرية، وهي معلقة الآن، وتوجد واحدة لرجل إنكليزي، وهي على الحافة الصخرية التي تشرف على القرية.

تدخلت السيدة يترز فخالفة بصوت عال: لقد أجبت المكان كثيراً، وأنت يا سيد تومبس؟ لا بد أنك أجبت أيضاً طالما أنك تبحث عن قبالة أمي ويؤتلك الأولى إلى هنا؟

ثم مضت في حديثها بإصرار إلى أن خرج السيد باين من المكتب، وقد انشم لها ابتسامة باهتة لا تكاد ترى

فشى السيد تومبس يده فزال الدوج وخرج إلى الطريق وقد مضى كل شيء على ما يرام، فقد وصل السيد نعري قبل العشاء تماماً في سيارة مليئة بالسواح الآخرين، ثم أحضت السيدة يترز عدها إلى غرفته. وقد انشم بإعجاب حين رآه وتحدثت بالفرنسية فقال:

ألمحتي يا سيدتي، فلما جمع في ذلك، ثم أخرج بعض الأدوات من حقيبته الصغيرة وبدأ عمله.

وفي الساعة الحادية عشرة فرح السيد باوكر باين باب السيدة يترز وقال لها: "تفصلي"، ثم أعطاهم الكيس الصغير المصغر من الشامواه نظرت داخل الكيس وقالت: ألامايتي!

- هي! ها هو العقد وفيه الأكماسات المزينة بذلك الحديقة. أليس رائعاً جداً؟

- معترف تماماً.

- إن أريستوولس فنان.

- ألا تظن أنهم سيراتيون في الأمر؟

- كيف سيراتيون؟ إنهم يعرفون أن العقد معك، وقد سألتهم، وكيف يرايون في الحيلة؟

كررت السيدة يترز خالفة وهي تعيد العقد له: حسناً، أظن أن ذلك واقع، هل لك أن تأخذهم؟ أم أنني أطلب الكثير؟

- سأعطيه بالتأكيد، أعتني الرسالة فقط لكي تكون تعليماتهم واضحة بالنسبة لي. شكراً. والأه، طابت ليالك، وتشجعي! سيكون أهلك معك عدداً على الإسطار.

- أه، يا ليت ذلك يكون!

- لا تقلني، دعي الأمر كله لي.

القصة قد تم بشكل غير مقنع أبداً. كان ينتظر للنسمة الغنية، هذا أقل ما يمكن أن يقال عنه

لم تكن السيدة يترز لتعكر إلا فكرة واحدة في هذا الوقت. قالت وجهها كعبي نيرة غاضبة: أين ليني؟

- إنه خلف هذا الباب تماماً في الحديقة.

- ويلارد؟

فُتح الباب بقوة واندلع ويلارد الحبل ذو النظارات وقد طالت لحيته إلى حضن أمه، ووقف السيد تومسن ينظر بعطف.

قالت السيدة يترز وقد استعادت نفسها فجأة والتفت إليه. ودعم ذلك فرائي ملاحقك غامولاً على ذلك. نعم، سأفعل.

قال ويلارد: لقد فهمت الأمر خطأ يا أمي؟ فقد أئذني هذا بالرحل.

- أين كنت؟

- في بيت على الحالة المشرقة على بعد ميل من هنا فقط.

قال السيد تومسن: "واسمحي لي - يا سيدة يترز - بأن أمد لك جواهرك". ثم سلمها صرة صغيرة ملفوفة بمنديل ورقي، وقد سقط المنديل ليظهر عقد الألماس.

قال السيد تومسن مستعاً: ولا حاجة بك لإعطاء محمودة الأحجار الثمينة تلك يا سيدة يترز! فالأحجار الحقيقية ما تزال في

لم تقص السيدة يترز ليلة مريحة، وعندما نامت رأت أحلاماً قاتبة. أحلاماً عن محرمين مسلمين في سيارات مصفحة يملئون زخات من الرصاص على ويلارد وهو يركض نازلاً السبل. وقد حدث الله على امتثالها حين مرغ - أخيراً - أول غيط من غيوط المحر. بهفت وارتدت ملابسها، ثم جلست - تنظر

* * *

في الساعة السابعة قرع باب غرفتها، وكانت حمرتها جافة بحيث لم تكد تستطيع الكلام. قالت: تعصلي.

فُتح الباب ودخل السيد تومسن لحدقت إليه وقد عانتها الكلمات، وأحس بثر الشر ومع ذلك فقد كان صوته - عندما تكلم - طبعياً وواقعياً تماماً. كان صوتاً غنياً هادئاً: صباح الخير يا سيدة يترز.

- كيف تحرر أيها السيد؟ كيف تحرر...

- يجب أن نعلمني على أيادي غير الثعلبية في وقت مبكر كهذا، ولكن لدي مسألة عمل يجب تسويتها.

استدعت السيدة يترز للأمام بعينيهما الاتهام وقالت: أنت إذن من عطفني! لم يكونوا قطعاً عرق أبداً.

- لم يكونوا قطعاً عرق بالتأكيد. وأحسب أن هذا الجزء من

العقد، وكيس الشامواه لا يحتوي إلا على مجموعة من الأحجار الزائفة المثقولة وكما قال صديقك فإن أريستوبولس عبثي تماماً

قالت السيدة بيرز بصوت ضعيف: إنني لا أفهم حرفاً واحداً من هذا كله.

قال السيد تومبسن: يجب أن نظري إلى الأمر من وجهة نظري أنا، لقد أثار انتباهي استخدام اسم معين، وقد سمحت لنفسى بأن أتبعك أنت وصديقك السمين خارج الفندق وأسفي (وأعترف بذلك صراحة) إلى حديثكما السثير جداً. وقد حدثت هذا الحديث موحياً بالكثير من الأمور، موحياً إلى الحد الذي جعلني أفتسي بالأمر إلى مدير الفندق. وقد سجل الرقم الذي اتصل به صاحبك، كما جعل خادمياً يصني إلى حديثكما في غرفة الطعام هذا الصباح. وقد أصبحت الخطة واضحة تماماً، لقد كتبت صحيفة لاثون من لصوص الجواهر الأذكيا. وقد كنا نعرف أن كل شيء عن عقدك الثمين، وقد لحقنا بك إلى هنا، فاعتصمنا بئيك وكتبنا تلك الرسالة المضحكة قليلاً حول «قطع الطرق». ثم رتبوا الأمر بحيث تغيب بالعقل المدير للمعمل. وبعد ذلك غدا كل شيء بسيطاً فقد سلمك الرجل العليب كيساً من الجواهر الزائفة. وهرب مع صاحبه. وصباح اليوم، عندما لا يظهر بئيك، ستفطن وسببمك غياب صديقك تغيب أنه قد احتجف هو الآخر. وأظن أنهم قد رتبوا الأمر بحيث يذهب أحدنا ما إلى النايلا عدداً ومن شأن ذلك الشخص أن يكشف وجود بئيك. وما أن تبدي مناقشة الأمر مع بئيك حتى تبدأ غيوم المؤامرة تتبين لك. ولكن علي ذلك المين - سيكون الانتقام قد كسوا من الوقت

ما يمكنكم من الهروب

- والآن؟

- آه، إنهم الآن لي اليد أسيجة وفي عهدة اعتقال ثقيلة، لقد حيرت أمر ذلك.

قالت السيدة بيرز بعفوا وهي تتذكر ثقتها المطلقة بالرجل: يا له من وعداً يا له من وعد متعلق خبيثاً

والله السيد تومبسن قانلاً، نعم، لم يكن رجلاً لطيفاً أبداً.

قال ويلارد بإعجاب: إن ما يحيرني هو كيفية معرفتك بالأمر. إنه دكاء بالغ مثله.

هز الآخر رأسه تعامساً وقال: لقدأه أبداً، فعندما تكون مسافراً مخفياً هويتك وتسرع اسمك لتستخدم من قبل غورك.

حدثت السيدة بيرز إليه وقالت بسرعة: من أنت؟

أوضح الرجل قانلاً: أنا السيد باركر باين.

لمزيد من الروايات تابعونا علي منتدي ليلاس

www.liilas.com/vb3

<http://www.liilas.com/vb3/showthread.php?t=16090>